

صَوْتُ الْوَسْطِيَّةِ



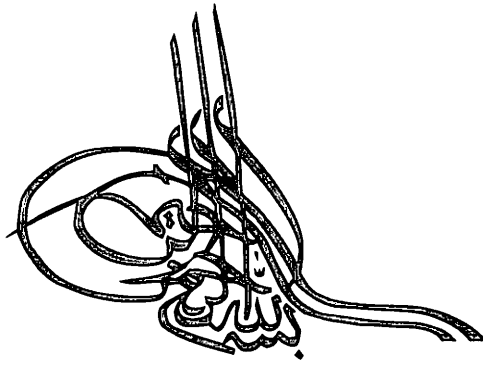
السَّيِّحُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِجَوِيِّ
السِّيَرَةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالنُّوْجُ الْإِسْلَامِيَّةُ

King Abdulaziz Center for
National Dialogue



مركز الملك عبد العزيز
للحوار الوطني

صَوْتُ الْوَسْطِيَّةِ
السَّيِّدِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِ
السَّيِّدِ الْفَكْرِيِّ وَالْمَوْجِدِ الْأَنْسَلِيِّ



ح) مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

صوت الوسطية: الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين السيرة الفكرية والنموذج

الإنساني. / مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني - الرياض، ١٤٣٧ هـ

٣٢٠ ص: ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٣٥-٠٩-٩

١ - الحصين، صالح بن عبدالرحمن، ت ١٤٣٤ هـ - ٢ - العلماء المسلمون - السعودية

أ - العنوان

١٤٣٧/١٣٦٩

ديوي ٩٢٢،٥٣١

رقم الإيداع: ١٤٣٧/١٣٦٩

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨١٣٥-٠٩-٩

الطبعة الأولى 1437هـ / 2016م

جميع حقوق الطبع محفوظة، غير مسموح بطبع أي جزء من أجزاء هذا الكتاب، أو اختزانه في أي نظام لاختران المعلومات واسترجاعها، أو نقله على أي هيئة أو بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو شرائط ممغنطة أو ميكانيكية، أو استنساخًا، أو تسجيلًا، أو غيرها إلا في حالات الاقتباس المحدودة بفرض الدراسة مع وجوب ذكر المصدر.

King Abdulaziz Center for
National Dialogue



مركز الملك عبد العزيز
للحوار الوطني

P.O Box 89866 Riyadh 11692
Kingdom of Saudi Arabia

ص. ب: 89866 الرياض 11692
المملكة العربية السعودية

✉ info@kacnd.org
🌐 www.kacnd.org

☎ +966 11 2665777
📠 +966 11 2665778

صَوْتُ الْوَسْطِيَّةِ

السَّيِّدُ صَبَّاحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِي
السِّيَرَةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالنَّمُودَجُ الْإِنْسَانِي

King Abdulaziz Center for
National Dialogue



مركز الملك عبد العزيز
للحوار الوطني



المحتويات

| | |
|----|--|
| ٩ | مقدمة |
| ١٦ | تقديم |
| | الفصل الأول |
| | عتبات لسيرة عطرة |
| | تمهيد |
| | النشأة الأولى |
| | التكوين العائلي والبدايات في بلدة شقراء |
| | مولده ونشأته الأولى |
| | في دار التوحيد بالطائف |
| | الدراسة في القاهرة |
| | في وزارة المالية |
| | لزوم طاعة الوالدين |
| | تولي رئاسة شؤون الحرمين |
| | في رئاسة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني |
| | أخلاق الشيخ صالح في ذاكرة الآخرين |
| | نماذج من سيرته في العمل الإداري |
| | موقفه من بعض المعاملات المصرفية |
| | جهود الشيخ صالح في تطوير إدارة الحرمين |
| | منهج الشيخ في الكتابة والتأليف |
| | رؤيته للعمل الخيري |
| | لسان الصدق |
| | ذكريات ومواقف مع الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين |

الفصل الثاني

| | |
|-----|---|
| ٧٧ | هوية الزهد في حياة الشيخ صالح الحصين |
| ٧٨ | تمهيد |
| ٨٢ | الاتساق الأخلاقي كهوية للذات |
| ٨٣ | السمات العامة للتصالح مع الذات |
| ٨٦ | الزهد كمرجعية للتصالح مع الذات |
| ٩١ | علامات القبول |
| ٩٤ | الشيخ صالح الحصين كرمز مجتمعي |
| ٩٨ | الأمانة كالتزام أخلاقي في وعي الشيخ صالح الحصين |
| ١٠٦ | الحركة بالإسلام في واقع الحياة المعاصرة |
| ١١٥ | حجية الزهد في حياة الرفاهية |
| ١٢٢ | الشخصية المتكاملة: معيار القبول |

الفصل الثالث

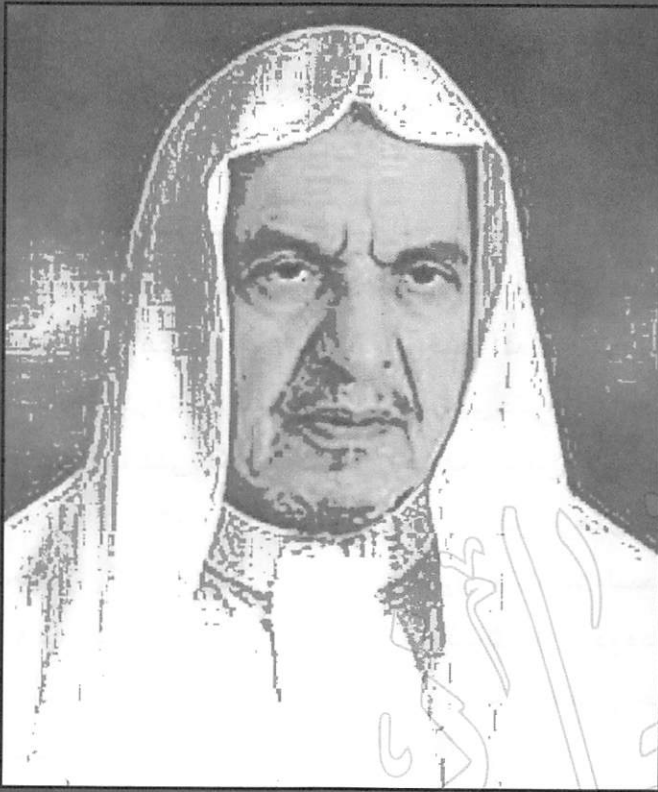
| | |
|-----|--|
| ١٣١ | الخطاب الفكري للشيخ صالح الحصين قراءة تحليلية |
| ١٣٢ | تمهيد |
| ١٣٣ | التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب |
| ١٣٨ | قضايا كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب |
| ١٣٨ | قضية انتشار الإسلام بالسيف |
| ١٤٠ | قضية اتهام الإسلام بالإرهاب |
| ١٤٢ | الاحتجاج بتجربة محمد أسد |
| ١٤٨ | التسامح جذور وثمار |
| ١٥٣ | حسن الخلق |
| ١٥٦ | التسامح في ظلال الوجود |
| ١٦٤ | عقبة في طريق فهم الغرب للإسلام: جدل التصورات |
| ١٦٨ | الاعتدال والوسطية |
| ١٧٣ | الإسلام وقضايا التمييز والطبقية |

- الإسلام وإشكاليات التعددية الثقافية
 العلاقات الدولية
 جدل الحرية الدينية في السعودية
 دعوى الإخلال بالنظام العام بين الحقيقة والتبرير
 حول كتاب خاطرات حول المصرفية الإسلامية
 في التأصيل لوطنية سعودية

الفصل الرابع

- الشيخ صالح الحصين: ريادة الحوار بين الوسطية والاعتدال
 تمهيد
 السياقات الممهدة
 الحصين والرؤية الحوارية
 قضايا الواقع
 الإسلام والغرب
 مختارات
 كلمات مضيئة
 نصوص كلمات الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين رحمه الله في
 اللقاءات الوطنية للحوار الفكري
 اللقاء الأول للحوار الوطني
 اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري
 اللقاء الثالث للحوار الوطني
 اللقاء الوطني الرابع للحوار الفكري
 اللقاء الوطني الخامس
 اللقاء الوطني السادس للحوار الفكري
 اللقاء الوطني السابع للحوار الفكري
 تجربتي في الحوار مع الآخر في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

مقدمة



أطرت حياة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين - رحمه الله - جملة من الأفكار والعناصر التي تنتظم حول المدارات التي انبثقت من رؤاه وتصوراتهِ للعالم، والتي مثلت الناظم الجوهري لسيرته العلمية والعملية. وهي أفكار وعناصر ترتكز على الإيمان العميق بالله، والرؤية الأكثر دراية ببواطن الحياة ومنازعها، وحين يرى المفكر الذي يعمل روحه وقلبه وعقله في جوهر الإيمان. فإن الرؤية تتحول إلى رؤيا أكثر كشفاً وأكثر بصيرة. إنه في هذه الحالة يرى أبعد وأعمق، وتتضح له جواهر الأشياء.

هكذا فإننا حين نقرأ شخصية الشيخ صالح الحصين بجلاء، وحين نتدبر أكثر في سيرتها ومواقفها وتجاربها لن نستغرب كثيراً حياة الزهد التي أفضت إلى الحكمة، وحياة العلم التي أفضت إلى الرؤيا، وحياة الفكر التي أفضت إلى التميز في طرح الآراء بحصافتها وقوتها وانطوائها على فكر ينحاز إلى جوهر الدين الإسلامي، وإلى كل ما جاء به الإسلام من تشريع ومبادئ وقيم ومثل. إن الشيخ صالح الحصين كان يرى في الإسلام دستوراً متكاملًا لسعادة الدنيا والآخرة وهو ما يتبين في كل مواقفه ونقاشاته وردوده الضافية المقنعة على كل من يتعرض للإسلام بشكل سلبي خاصة من مفكري الغرب.

وفي هذا الكتاب الذي يصدره مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بشكل يوثق فيه أطرافاً من السيرة الإنسانية والفكرية للشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، سعى المركز

إلى الوقوف على بعض ملامح صورة الشيخ فيما تيسر من مصادر وأدلة، وقد حاولنا في هذا الكتاب أن نقدم هذه الملامح من أجل أن يقف القارئ والباحث على مشاهد من حياة الشيخ، وعلى معالم من تجربته العلمية والفكرية ورؤيته لمختلف القضايا المعاصرة، وما تلامسه من تيارات وأفكار وما تطرحه من نقائض سواء على مستوى الحوار أو الجدل أو النقاش حول قضايا الغلو والتطرف والاعتدال والتعليم والعلاقة مع الآخر وغيرها من القضايا، أو ما يتعلق ببعض المواقف التي حدثت للشيخ أو مر بها خلال مسيرته الحافلة .

ويتضمن الكتاب أربعة فصول حاولنا فيها أن نحدد بعض ملامح السيرة الفكرية والإنسانية للشيخ صالح الحصين، وجاء الفصل الأول بعنوان: «عتبات لسيرة عطرة» وفيه وقفنا على نشأة الشيخ وبداياته، وإضاءة لبعض معالم البدايات التي ارتبطت بنشأته وتعليمه، ومكانه الأول، بالإضافة إلى تكوينه العائلي الذي شكل شخصيته، وعكس فيها التفرد الذي جمع في شخصه صفات خيرة قل اجتماعها في غيره، وقد ألحق الفصل أيضا بعدد من الشهادات القيمة ممن عرفوا الشيخ صالح الحصين، فعرضوا لذكرياتهم ومواقفهم معه، كذلك تضمن جملة من أقوال العلماء والمثقفين والكتاب في الشيخ صالح الحصين .

وجاء الفصل الثاني بعنوان: «هوية الزهد في حياة الشيخ صالح الحصين» وفيه تناولنا الاتساق الأخلاقي والسلوكي كهوية للزهد الذي كان يتمتع به الشيخ الحصين. ذلك أن السلوك الأخلاقي النابع من وعي عميق بالذات وبالمعنى، وباحترام إنسانية الإنسان

لا يحصر معاملته وفق مجالات فتوية أو اعتبارية أو قرابية. فمن خلال هذه التحديدات سيأتي السلوك مبررا بجملة من الاعتبارات النفسية، ومن ثم يفقد طابعه الإنساني والأخلاقي والديني، أما حين يتجلى السلوك الأخلاقي متوافقا مع جميع الفئات والمستويات في الحياة العامة، وينعكس بمستوى واحد من الدلالة على الجميع عند ذلك يكشف عن مغزاه العام، وعن منبعه الصادق في النفس، وهو ما نراه بجلاء في شخصية الزاهد الحكيم الشيخ صالح الحصين - رحمه الله -

وتضمن الفصل رسدا لهذه الحياة الزاهدة، والاتساق الأخلاقي كهوية للذات، والزهد كمرجعية للتصالح مع الذات، والشيخ صالح الحصين كرمز مجتمعي، والأمانة كالتزام أخلاقي في وعي الشيخ صالح الحصين، وصولا إلى حجية الزهد في حياة الرفاهية، والشخصية المتكاملة ومعيار القبول حيث إنه من النادر أن نجد من يجمع تلك الصفات المتعددة والفذة في منظومة واحدة من الفكر والسلوك.

وفي الفصل الثالث المعنون بـ: «الخطاب الفكري للشيخ صالح الحصين: قراءة تحليلية» عرضنا لمشاهد من الآراء الفكرية التي صدرت عن الشيخ صالح الحصين عبر عدد من مؤلفاته وكتبه ومحاضراته، فقد قدم جهدا فكريا رصينا في مؤلفاته عن القضايا الإسلامية، كان هدفه الأساس منها: تأسيس رؤية معاصرة بمرجعية إسلامية وتكوين خطوط عريضة كمقدمات قابلة للتفصيل والإضافة، ذلك أن الشيخ صالح لم يكن يكتب لحاجة وضرورة تقتضيها الكتابة. وحين يكتب في قضية ما لا يكتفي فقط بالمرور عليها وإنما يبحثها

ضمن رؤية متماسكة وأفق فكري رصين، بالإضافة إلى دقة في الأسلوب ومنهجية في الطرح، وعمق في المضمون واختصار غير مخل.

ومع اختلاف الموضوعات التي تناولها إلا أنها تميزت بالحيوية من ناحية، وبالاندراج في مشروع حياته المتصل بهدفين اثنين هما: إعادة الثقة للمسلمين بدينهم العظيم، ونزع الانبهار بحضارة الغرب المعاصرة عبر نقد الأفكار السلبية التي تنطوي عليها مع الإقرار بقيمتها الإيجابية بلا إفراط ولا تفريط.

وقدم هذا الفصل محاولة لقراءة واستبطان رؤية الشيخ الكلية في مجمل كتبه من خلال تحليل الأفكار الرئيسية لها، اعتماداً بالأساس على كتابه: «التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب» إلى جانب كتبه الأخرى.

أما الفصل الرابع فحمل عنوان: «الشيخ صالح الحصين : ريادة الحوار بين الوسطية والاعتدال» وفيه نقدم قراءة تحليلية تسعى إلى تبيان ملامح الرؤية الحوارية لدى الشيخ وهي رؤية لم تتشكل إلا عبر خبرات وتجارب طويلة في معاشة المنهج الإسلامي أولاً، ومتابعته في مختلف مظانه ومصادره، وعبر قراءات وتأملات مستديمة قام بها الشيخ سواء من خلال خطبه ومحاضراته أم من خلال كتبه ومؤلفاته ومشاركاته في الحياة العلمية العامة.

إن هذه القراءة وهي تهدف إلى ملامسة التجربة الحوارية للشيخ صالح الحصين إنما تهدف إلى تقديم نموذج إنساني له جهده البحثي والعلمي المتميز الذي يستند إلى فكر إسلامي راسخ، وإلى هوية ثقافية وفكرية تعلي من شأن الخطاب الديني الإسلامي الذي يعتمد على الوسطية والتسامح والحق وفي التعبير عن الرأي

والحق في الاختلاف، ولكن ضمن الأطر التي لا تمس العقيدة ولا تقترب من الثوابت الدينية، ذلك لأن الإسلام ليس محل بحث ونظر وحوار لأنه هو الدين السماوي الخاتم، ولكن القضايا الإنسانية والاجتماعية وبيان موقف الإسلام منها هي محل النظر والحوار والبحث.

واختتم الكتاب بمختارات من الكلمات التي ألقاها الشيخ صالح الحصين في الجلسات الافتتاحية للقاءات الوطنية للحوار الفكري. ومقالة له مهمة كتبها بنفسه، بعنوان: «تجربتي في الحوار مع الآخر في مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني».

وقد اعتمدنا في هذا الكتاب جملة من المؤلفات والكتب التي أصدرها الشيخ صالح الحصين منها: «التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب» و«الحرية الدينية في السعودية» و«خاطرات حول المصرفية الإسلامية» فضلا على عدد كبير من محاضراته وكلماته.

وقد قام الفريق البحثي المكلف بإعداد الكتاب بزيارة الأماكن التي عمل بها الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - واللقاء مع مجموعة ممن عاصروه في العمل، كذلك اللقاء مع عدد من عائلة الشيخ الحصين، والحصول على عدد من الصور النادرة والكلمات والمحاضرات والكتب.

لقد كان الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين - رحمه الله - نموذجا فريدا للشخصية الزاهدة الحكيمة البصيرة بالأمر والأشياء، كان صاحب مكانة ضالعة في العلم والمعرفة، مبحرة في تخصصها، موقنة بالله تعالى، في كل أحوالها وأمورها، مؤمنة

بما يقدمه الدين الإسلامي الحنيف للإنسان في مختلف مجالات حياته، ومن هنا كان حضوره، وكان تأثيره، وكانت حواراته الضافية التي أسهمت بشكل كبير في ترسيخ مبادئ الحوار، وإشاعة حيويته ومفاهيمه القائمة على التسامح والوسطية والاعتدال.

نأمل أن يقدم هذا الكتاب ملامح واضحة من صورة الشيخ الحصين، وسيرته، وفكره، ومعرفته، وثقافته.

والله ولي التوفيق

الرياض

غرة محرم ١٤٣٧هـ

أكتوبر ٢٠١٥م



تقديم

الشيخ صالح الحصين كما عرفته

فيصل بن عبد الرحمن بن معمر

الأمين العام لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

ارتبطت معرفتي بمعالي الوالد الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين - رحمه الله - منذ مرحلة مبكرة حين كان يتداول اسمه وسيرته في مجالس والدي وأعمامي، وتروى قصص له تجمع بين المعرفة والعلم والزهد والخبرة في مجالات عدة يصعب حصرها، وشاء الله تعالى أن أكون أحد العاملين معه في مشروع تاريخي أعلنه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان ولياً للعهد: مشروع الحوار الوطني لمدة طويلة من الزمن. فقد كان الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، بالنسبة لي مدرسة تعلمت من خلالها دروساً لا يمكن أن يتعلمها الإنسان إلا مع أمثال معالي الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين رحمه الله. لقد تميز الشيخ صالح، بمجموعة من الصفات والخصال الكريمة التي سجلت له

قبولا بين الناس ووضعت له حبا في قلوبهم، قل أن يحظى به أحد من الناس في هذا الزمن.

كان الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - زاهداً متواضعاً، لكن الملفت للنظر في زهده أنه ليس ذاك الزهد المرتبط بالمظهر الفقير أو العلامات الدالة على شظف العيش، بل لقد كان زهده ينبع من داخل نفسه الكبيرة، وروحه السمحة، ومواقفه في مواطن لا يصمد أمامها كل الناس، لقد كان في زهده ستر أراد أن يكون بينه وبين الله، لذا لا يدرك معنى الزهد وحقيقته ودرجاته العليا إلا من عاش مع الشيخ صالح الحصين أو زامله في مجال العمل.

أما تواضعه فقد كان معروفاً لكل من عرفه، أو عاشه، أو اجتمع معه ولو في موقف واحد، من علامات تواضعه رحمه الله عدم التكلف، والرضا بما يتيسر واستواء الحال مع الجميع عبر سوية واحدة من التعامل والبشاشة والإقبال على الناس، مع حفظ مقاماتهم.

لقد مثلت التجربة المعرفية للشيخ صالح الحصين تخصصاً فريداً، جمع له بين الإطلاع على العلوم الإنسانية، والعلوم الشرعية، ولم يكن ذلك التخصص الذي جعله يدرس القانون، ويطالع العلوم العصرية إلى جانب علوم الشريعة مجرد معرفة ذهنية بالنسبة له، بل كان توظيفاً حياً واستثماراً ذكياً تمكن به من فهم الناس، ومعرفة ميولهم، ومخاطبتهم بمختلف ذهنياتهم وثقافتهم، وهذا ما انعكس في القبول الذي وجدته عند جميع فئات المجتمع، والمنزلة التي حظي بها - رحمه الله -.

لقد كان الشيخ صالح الحصين، من رواد الفكر، والرؤية العقلانية، بما أصاب من علوم العصر التي مكنته من الاطلاع الواسع على أنماط التفكير، والذهنيات المتعددة، كما أن إجادته للغة الإنجليزية والفرنسية أدت دورا في انفتاحه واطلاعه على الثقافات الأخرى.

فالشيخ صالح الحصين، من القلائل الذين مارسوا المعرفة كأبداع، ولهذا كان يعمل فكره، ويحرر رأيه في الناس برؤية عقلانية، ويبنى جسورا مع الجميع، لإيمانه العميق بأن حب الناس ومعايشتهم هي المظهر الأعمق لتأكيد مفهوم المعاملة الذي جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (الدين المعاملة). ولهذا أيضا كانت نظرته لفئات المجتمع منفتحة على تفهم أحوال الناس وإدراك ظروفهم، ومستويات وعيهم، والتبسط في تأطير تلك العلاقة مع كافة الناس دون تعقيد أو حواجز، لأن تواضعه المقرون بالزهد جعل من طبيعة تعامله مع الناس كتابا مفتوحا، ونيات يدرك حقيقتها كل من تعامل معه. وكان من أهم أسباب تمتين علاقاته مع جميع أفراد المجتمع وفئاته حسن الظن فيهم فحسن الظن الذي كان يتبادلته معهم مد بينه وبينهم جسور الثقة كما أن أفعاله المطابقة لأعماله جعلت من مواقفه هي الشاهدة عليه لا أقواله. لقد كان الشيخ، من ناحية أخرى يعرف بوعيه أن الاختلافات التي تحدث بين أفراد المجتمع سواء أكانت ذات طبيعة دينية أو اجتماعية أو سياسية، هي اختلافات، لم تكن تمنع بنظره، من إنشاء علاقات الصداقة والمودة بينه وبينهم. بل كان يعتبر ذلك سببا لأن تكون بينه وبين الجميع من جسور المحبة والمودة ما يجعله قادرا على رؤية الاختلاف

واحترامه، ومراعاة حقوق إبداء الرأي والقناعة المختلفة. فثمرة النجاح في علاقاتنا الإنسانية تكون علامته الظاهرة في القدرة على استيعاب الآخر المختلف وليس المتوافق معنا. ولهذا كان الشيخ صالح الحصين رحمه الله لا يحمل أي موقف سلبي تجاه من يختلف معهم من الناس، وذلك اتساقاً مع فهمه العميق بأن الحكم على الناس لا يكون بمثل ما يفعله بعضهم تجاه بعضهم الآخر من مواقف تكون فقط لمجرد سماع أو سوء ظن أو خلافه. لقد وطن الشيخ صالح الحصين نفسه على أن لا يكون حكمه على الناس سبباً لاختلافه معهم، بل لإدراكه أن الحكم على الناس أمر يحتاج إلى روية ومعرفة وإحسان ظن وتغليب الخير فيهم على الشر.

كما عرفت في الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، ما توافر لديه من إدراك عميق للثوابت الدينية والوطنية لهذه البلاد. فقد كان رحمه الله، يدرك بحكم معرفته العميقة واطلاعه الواسع أن معنى الوطنية السعودية هو الوجه الآخر لقيم دينها وتاريخها، ولهذا كان اقتراحه لمفهوم الوطنية في محاضراته الشهيرة بهذا العنوان نابعا من قناعاته تلك. فهو يعرف أن الهوية المؤسسة للدولة السعودية هي الشريعة الإسلامية السمحاء، والفهم الوسطي للإسلام والتراث التاريخي لبلاد الحرمين وما تحتوي عليه من مقدسات المسلمين، لهذا لم يكن يجد تناقضا بين انتمائه الوطني وفهمه للإسلام، وهذا ما جعل من شخصيته شخصية متصالحة مع ذاتها، ومتفهمة للناس وقادرة على تقديرهم وإحسان الظن بهم. فهم جميعاً أبناء وطن واحد، ويستحقون سوية واحدة من الاحترام والتقدير والتقبل مهما اختلفت توجهاتهم السياسية أو الاجتماعية

أو الثقافية. ومن هنا تأتي أهمية التأكيد على منهج الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - في رؤيته لمشروع الوطنية السعودية القائم على فهم وسطي للإسلام، وضرورة تعريف الناس بهذه الرؤية المتقدمة والمنفتحة بوعي على الجميع.

لعل من أبرز صفات الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، التي عرفتها فيه، رحمه الله: ثباته على موقفه، إذا ما تأكد له صواب موقفه ذلك، وعدم ترحزحه عن ذلك الموقف، وهذه صلافة مشهودة له، ومعروفة عنه، لكنه في دفاعه الرصين عن مواقفه يعرض أدلته وحججه بكل هدوء، ويعذر مخالفيه بكل لطف، ولا يتظاهر بذلك أو يجعل منه لافتا للأنظار فهو بقدر ما عرف عنه اللين مع الناس والرفق وحسن التلطف في القول والفعل إلا أن صلافة مواقفه على الحق الذي يظهر له في ما يذهب إليه من رأي أو حكم، يعبر عنها بذلك اللطف نفسه. وفي هذا المثل الذي يضربه الشيخ صالح رحمه الله، ما يشير إلى زهده، واحتسابه لله في أفعاله من خلال الإخلاص الذي يحذر فيه من الرياء، كما يقدم النصحية لكل ذي مقام بحسب ما تقتضيه الحكمة، وبحسب أفضل الطرق التي تؤدي إلى تبيان موقفه دون لبس.

ومن أهم ما تميز به معالي الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، رحمه الله، دون غيره من علماء المملكة العربية السعودية، نظرا لإجادته للغتين الانجليزية والفرنسية وثقافته العصرية الواسعة: أنه توفر على قدرات عالية في إدارة الحوار والنقاش مع الآخر المختلف بمنهجية واعية، وأسلوب حجاجي رصين وحكيم، ونفس طويل وصدر رحب على المناقحة عن الإسلام والاعتزاز

به وتفنيد شبهات الاستشراق المنتشرة في الغرب عن الإسلام، وقبوله للمناظرات العقلانية في أي منبر ومن كل مكان، مصححا المفاهيم المغلوطة عن الإسلام، ومبينا التصورات المنهجية والمعرفية للغربيين عن حقيقة. وكان أسلوبه في قواعد الحوار أسلوبا منطقيا عقلانيا لا ينطلق من مسلماته الخاصة بالإسلام، بل ينطلق من قواعد عقلانية، وحقائق معرفية محايدة كي يضمن بذلك إدارة محايدة للحوار بهدف الوصول إلى نتائج إيجابية، وكان ذلك من أهم مظاهر اعتزازه بالإسلام، ووضوح رؤيته، وعمق معرفته بمنهجيات الجدل الحضاري. هذا بالإضافة إلى الاستشهادات التي يسوقها من تجارب الغربيين أنفسهم حول قضايا الإسلام، ولعل أبرز شاهد في هذا الصدد استشهاده المكثف بمقولات وأفكار الكاتب النمساوي الشهير محمد أسد (ليوبولد فايس ١٩٠٠-١٩٩٢م).

لقد كانت السنوات التي قضاها الشيخ صالح الحصين رئيسا للجنة الرئاسية في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، حافلة بالعطاء، والتجارب والخبرة. فقد كانت شخصيته رحمه الله، محل إجماع وقبول من الجميع، حيث كان اختيار الملك عبدالله بن عبدالعزيز - رحمه الله - له اختيارا صائبا لما يتمتع به من منهجية وموضوعية في قراءة الأفكار، وفي الحكم على المواقف المختلفة، وقد حظي هذا الاختيار بقبول جميع الأطياف الفكرية في المملكة، وكان له أثره في مختلف اللقاءات الوطنية والندوات الثقافية التي عقدها مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني.

ولعل عبارته المأثورة: «أتمنى أن يكون الحوار طبعا من طباع المجتمع السعودي، وأسلوبا من أساليب حياته» من أبرز العبارات

المؤسسة التي استند عليها المركز بوصفها هدفا جوهريا من أهدافه واستراتيجياته الحوارية.

وفي الوقت نفسه كان الشيخ صالح الحصين يدير أعمال المركز ولقاءاته ومشروعاته بروح تتجلى فيها الحكمة والوسطية، والإحاطة بطبيعة الموضوعات، والمقاربة المنهجية الدقيقة لحثياتها، وإظهار اهتمامه بالمشاركين الآخرين وبأهمية ما عندهم، والإيمان العميق بجدوى مشاركاتهم واستمزاج آرائهم ليقينه بأن كل قضايا المجتمع والوطن، لا يمكن أن يحيط بها شخص، أو أشخاص، ولم لا وهو القائل حيث أتذكر عبارته: «لقد تم اختياري لرئاسة اللجنة الرئاسية للمركز لأنني كالماء، لا لون لي، وهو يقصد أنه لا ينتمي إلى تيار ما أو إلى طيف وطني محدد، لكنه بالتأكيد ينتمي لهذا الوطن، ولمبادئه المتسامحة المعتدلة.

وليقينه أيضا بأن التنوع هو الذي يسمح برؤية المشكلات والقضايا من زوايا متعددة تحيط بها، وتكشف عن مختلف الجوانب السلبية والايجابية فيها.

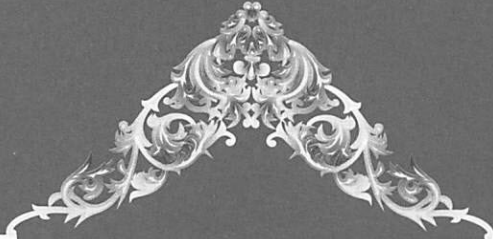
لقد جسد الشيخ صالح الحصين، خلال عمله بالمركز وحتى وفاته، رحمه الله، نموذجا حيا للتفاني في العمل، والاجتهاد والمثابرة والمتابعة، رغم كبر سنه، وتقدمه في العمر. وكان مثالا للمسؤول الملتزم بواجباته على أكمل وجه وأحسن صنعة.

لقد لمس جميع المشاركين في الفعاليات اللقاءات الوطنية التي نظمها ورعاها مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني؛ تلك الحيوية الفاعلة والأداء التطويري المستمر في ندوات المركز

ولقاءاته التي كان يضي عليها الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - من روحه المعطاءة، وعطائه المقبول وإدارته الصبورة لمختلف فعاليات اللقاءات الوطنية، وقدرته على تقبل وجهات النظر المختلفة ومحاورتها بروح التفاهم والتفاعل، وإحساسه العميق بضرورة إدارة الحوار أكثر من فرض الرأي أو تغليب وجهة نظر دون أخرى. كما تميزت خطبته الافتتاحية في كل لقاء بقدرته عالية على تناول الموضوع مثار النقاش، وتبيان نقاط أساسية فيه، مع سهولة في الأسلوب، وإحاطة بالموضوع، وإثارة للأسئلة أكثر من الاطمئنان إلى إجابة واحدة . . .

كان الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، رحمه الله، شخصية وطنية فذة، وقائدا حكيما من قادة الرأي الوطني، والحوار المجتمعي، ليس فقط بعلمه، وحسن تعامله، وطيب معشره، بل كذلك بإيمانه العميق بجدوى الحوار بين جميع أطراف المجتمع من أجل تحقيق الأمن الفكري للمجتمع وتحسين عقول المواطنين من الأفكار الخاطئة، إلى جانب قدراته القيادية والإدارية الفريدة. فالشيخ صالح، رحمه الله، كان عدة شخصيات في شخصية واحدة، فهو عالم، ومفكر، ومربي، ومسؤول وإداري ولقد أجاد جميع أدواره المختلفة في تلك المهام التي تولاها ليكشف بذلك عن شخصية فريدة قل أن يجود الزمان بمثلها. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

الفصل الأول



عتبات
لسيرة عطرة



النشأة الأولى

منذ بدء حياته كان الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، رحمه الله، ميالاً إلى النظر العميق في أحوال الدنيا، وسرعة تحولها وفنائها، مدركاً ببصيرته معنى الآخرة وحقيقة البقاء فيها. وحين وطَّن نفسه على هذه الحقيقة انقادت له الدنيا، فأعرض عنها من أجل الآخرة آملاً في رضوان الله.

رحل الشيخ بجسده، وبقيت ذكراه حية في قلوب الناس وذاكرتهم. فكانت حياته درساً بليغاً في كتاب الصدق والزهد، حين علم وعمل متوسلاً إلى غاياته؛ أنبل السبل وأطهر المسالك في علاقاته مع الناس.

أيقن الشيخ أن الله مطلع على عبادته ومراقب لهم، فعمل في حياته بطاعة الله وتخيّر المعرفة منهجاً والعلم سبيلاً، باحثاً عن الحقيقة ومستضيئاً بها، معرضاً عن الزيف وغروره، ومدركاً ببصيرته الواعية تلك الفروق الدقيقة بين الزيف والحقيقة في الحياة ففتح الله عليه ما ألهمه سبيلاً وسطاً أجمع الناس على حكمتها وصوابها.

في الصفحات الآتية من هذا الفصل^(١) محاولة لاستعراض بدايات مسيرة الشيخ صالح وإضاءة لبعض معالم البدايات التي ارتبطت بنشأته، وتعليمه، ومكانه الأول، بالإضافة إلى تكوينه العائلي الذي شكل شخصيته، وعكس فيها التفرد الذي جمع في شخصه صفات خيرة قل اجتماعها في غيره.

التكوين العائلي والبدايات في بلدة شقراء

ينتمي الشيخ صالح إلى جذر عائلي كريم، فهو سليل قبيلة عربية عريقة من منطقة نجد؛ حيث يعود نسبه إلى بني الحارث بن عمرو بن تميم بن مر؛ فهو صالح بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد (الملقب بالحصين) ابن ماجد الناصري من بني الحارث الحبط بن عمرو بن تميم^(٢).

(١) معظم بيانات هذا الفصل حُصل عليها من خلال مقابلات شخصية أجراها معد الفصل مع كل من:

الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين. . في منزله بمكة المكرمة ظهيرة يوم الجمعة الموافق ٢٨ من ذي القعدة ١٤٢٤هـ.

معالي الشيخ محمد الخزيم. . في مكتبه برئاسة شؤون الحرمين بمكة المكرمة عصر يوم الجمعة الموافق ٢٩ من ذي القعدة / ١٤٢٤هـ. و الدكتور الشيخ يحيى اليحيى. . في مكتبته بالمدينة المنورة عصر يوم السبت الموافق ٢ من ذي الحجة / ١٤٢٤هـ وقد تم ذلك بحضور الزميل الإعلامي عبدالله الشمري أحد منسوبي مركز الملك عبدالعزيز لحوار الوطني.

(٢) يأتي إسناد هذا النسب بالاعتماد على كتاب الدكتور عبدالعزيز بن محمد بن عبد الله السدحان، المعنون بـ (الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبدالعزيز الحصين) والكتاب يعرض لحياة الشيخ إبراهيم وهو أخو الشيخ صالح رحمهما الله إلا أن الدكتور عبداللطيف بن محمد الحميد زاد في نسبه على النحو الآتي: معالي الشيخ العالم الوقور، الزاهد التقى، الإداري القدير، صالح بن عبد الرحمن بن عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن (أيضا) بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد وهو الملقب بالحصين بن ماجد الناصري العمري التميمي. . (صحيفة الجزيرة)

<http://www.al-jazirah.com/2013/20130601/fe49.htm>

عاش آل (الحصين) منذ البداية ببلدة (الوقف) قرب شقراء، ثم انتقلوا إلى شقراء عند تعيين الشيخ عبد العزيز الحصين (جد الشيخ صالح) قاضيا على منطقة (الوشم) من طرف الشيخ عبد العزيز بن محمد بن عبد الوهاب، في أواخر القرن الثاني عشر الهجري. والشيخ صالح ذو عائلة عريقة في العلم برز في تاريخها علماء أفذاذ بمنطقة نجد؛ ورد ذكرهم في كتاب (علماء نجد خلال ثمانية قرون) للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام كان منهم: الشيخ أحمد بن محمد بن ماجد الحصين، الذي انحدر من ذريته علماء أخصار^(١).

مولده ونشأته الأولى

ولد الشيخ صالح في مدينة (شقراء) عاصمة إقليم الوشم بمنطقة نجد، في عام ١٢٥١هـ الموافق ١٩٣٢م. كان البيت الطيني الذي ولد فيه قريبا من مركز البلدة.

بدأ حياته العلمية الأولى عبر الكتابات المنتشرة في بلده حينها. فدرس القرآن على بعض فقهاء شقراء منذ سن الرابعة إلى السادسة، كالشيخ عبد العزيز بن حنطي؛ ليلتحق بعد ذلك بالدراسة النظامية في المدرسة الابتدائية عام ١٣٦٠هـ.

منذ طفولته أحب العلم، وشغف بتحصيله؛ فكان أنيسا للكتب، لا يراه الناس في البلدة إلا والكتاب في يده. ومع مرور الوقت أصبح الكتاب شغله الشاغل إلى درجة بدت فيها القراءة عنده كما لو أنها مهنته الوحيدة

(١) الدكتور عبداللطيف بن محمد الحميد، في مقاله (العلم والزهد والتواضع في سيرة الشيخ صالح الحصين) صحيفة الجزيرة عدد رقم ١٤٨٥٦ تاريخ السبت ٢٢ رجب ١٤٢٤هـ (٢٠١٣/٦/١م)

التي لا يكاد يعرف سواها. يقول شقيقه الشيخ سعد الحصين: (لم يكن يجيد العمل بيده أبداً إلا القراءة والكتابة، ولم يكن يميل إلى الزراعة أو الصناعة أو أي شيء فكان يقرأ كل ما يقع تحت نظره).

في دار التوحيد بالطائف

في عام ١٣٦٠هـ كانت مدرسة دار التوحيد بمدينة الطائف مرحلة جديدة في طلب العلم، حيث درس فيها الشيخ مرحلي المتوسطة والثانوية. ثم واصل تعليمه بكلية الشريعة في مكة المكرمة عند بداية تأسيسها في عهد الملك سعود بن عبد العزيز^(١).

كان الشيخ ينهل من العلوم الشرعية بموازاة العلوم العصرية؛ إذ كان منفتحاً على مختلف أنواع القراءة بخلاف أقرانه في ذلك الزمن.

(١) يذكر الدكتور عبداللطيف الحميدترجمة أخرى على هذا النحو: درس الابتدائية في شقراء عام ١٣٦٤هـ، ثم انتقل للدراسة بدار التوحيد بالطائف ومكث فيها من عام ١٣٦٦هـ إلى عام ١٣٧٠هـ، ثم انتقل إلى مكة المكرمة. وعمل مدرسا بالمرحلة الابتدائية عام ١٣٦٨هـ، وعمل مدرسا بمعهد الرياض العلمي عام ١٣٧٢هـ واستمر به إلى عام ١٣٧٥هـ، ثم عين مستشاراً قانونياً بوزارة المالية والاقتصاد الوطني في الفترة من ١٣٨٠هـ إلى عام ١٣٩١هـ، ثم عين وزيراً للدولة وعضواً في مجلس الوزراء من عام ١٣٩١هـ إلى عام ١٣٩٤هـ، ثم أحيل إلى التقاعد بناء على طلبه والحاحه إلى أن عين رئيساً عاماً لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي بمرتبة وزير في ذي الحجة عام ١٤٢٢هـ، وفي عام ١٤٢٤هـ اختاره خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - رحمه الله - عندما كان ولياً للعهد رئيساً لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، وقد عقد المركز برئاسته لقاءات وطنية للحوار الفكري.

يضيف موقع الموسوعة العالمية الإلكترونية "ويكيبيديا": وللشيخ صالح الحصين دور في التعليم العالي، من خلال عضويته في المجلس الأعلى لخمس جامعات سعودية. . . حصل على ماجستير في الدراسات القانونية من جامعة القاهرة بمصر، ودرس بها من عام ١٣٧١ هـ إلى عام ١٣٧٤ هـ، وهو رئيس جمعية هدية الحاج والمعتمر الخيرية، ورئيس الجمعية الخيرية الصحية لرعاية المرضى (عناية) وغيرها، ورئيس اللقاء الوطني للحوار الفكري ورئيس الهيئة الشرعية في قناة المجد <http://ar.wikipedia.org/wiki/>

امتك الشيخ صالح قاموسين للإنجليزية والفرنسية وهو لا يزال في مدينة شقراء بنجد. كما قرأ كتباً في علم النفس آنذاك. وحين أبدى نبوغاً في التحصيل العلمي استدعاه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس في المعهد العلمي بمدينة الرياض، فزاول الشيخ صالح في عهد مبكر من حياته التحصيل والتدريس، وزاوج بين إفادة العلم وطلبه في الوقت نفسه، مما سمح بالتردد بين كلية الشريعة في مكة أوقات الاختبارات و المعهد للتدريس حتى تخرج متفوقاً بالمرتبة الأولى على دفعته في الكلية. كما اشتغل الشيخ بالتدريس في بعض المدارس الابتدائية أثناء دراسته.

تزوج الشيخ رحمه الله في عام ١٣٦٨هـ زوجته الأولى وله منها ابنه الوحيد الدكتور عبد الله بن صالح الحصين الأستاذ بجامعة الملك سعود حالياً إلى جانب شقيقاته الأربع. ثم تزوج مرة أخرى عام ١٤٢٤هـ بسيدة من جنوب إفريقية.

الدراسة في القاهرة

نظراً لاطلاعه الواسع على العلوم العصرية، وبعد تخرجه في كلية الشريعة بمكة، كان الشيخ يبحث عن دراسة منهجية مؤسسة فهاجر إلى مصر ليدرس القانون في معهد الدراسات العربية العليا بجامعة القاهرة بين عامي ١٣٧١هـ - ١٣٧٤هـ (١٩٥٠ - ١٩٥٤م) حتى أكمل دراسته للقانون، ثم نال فيه درجة الماجستير. وكان من أبرز أساتذته في الجامعة القانوني المصري الشهير الدكتور عبد الرزاق السنهوري رحمه الله.

كانت القاهرة آنذاك منفتحة على الكثير من صور الحياة العصرية المرتبطة بكل جديد، فعاش فيها الشيخ صالح، واستفاد من ضروب المعرفة التي وفرتها المكتبات الكبرى في القاهرة، مثل مكتبة الجامعة،

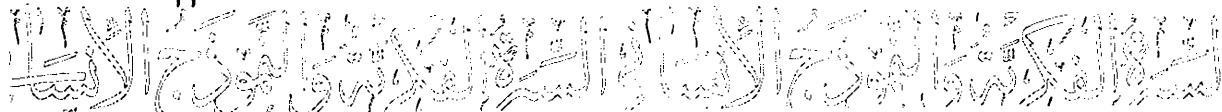
دار الكتب، وغيرها. وهناك أشبع هوايته الأصيلة في القراءة؛ فقرأ معظم الكتب التي وقعت بين يديه في مختلف ضروب المعرفة. كان وقت دراسته مساءً. فسمح له ذلك أن يذهب في بعض الأحيان إلى السينما لمشاهدة بعض الأفلام الانجليزية الرصينة التي تعتمد على المناقشة الفكرية في سيناريوهاتها، والتي تنسجم مع شخصيته رحمه الله مثل فيلم (12 Angry men)^(١) إلى جانب دراسته للغتين الفرنسية والإنجليزية في معهد (برلتس).

في وزارة المالية

بعد محطة القاهرة، عاد الشيخ إلى الرياض ليتولى وظيفة المدير العام للإدارة القانونية بوزارة المالية تحت إشراف الأمير مساعد بن عبد الرحمن، الذي أوصى بتعيين الشيخ وزيرا وعضوا بمجلس الوزراء، فلقي اقتراحه قبولا أصبح به الشيخ صالح وزير الدولة المسؤول عن حقيبة التأديب في هيئة الرقابة والتحقيق.

وبمرور ثلاث سنوات على تعيينه وزيرا، حاول الشيخ صالح الاستعفاء من الوزارة لدى الملك فيصل؛ فأمضى عامين آخرين قبل أن تُقبل استقالته؛ ظل خلالها مبتعدا عن ترتيبات المراسم المتصلة بحيثية الوزراء بموجب استثناء اختص به بناء على طلبه. حتى حصل على الاستقالة من الملك فيصل رحمه الله. وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد الخزيم نائب رئيس شؤون الحرمين: (لم يكن الشيخ صالح يستقبل الوفود الرسمية بصفته رئيساً أو مسؤولاً. ولا أذكر أنه استقبل رئيس دولة،

(١) يقول ابنه الدكتور عبد الله، تعليقا على ذلك (الأفلام الغربية لم تكن قد تدهورت كحالها اليوم)



أو وزيراً أو غير ذلك؛ ليس من باب التعالي أو الكبر وإنما اتساقاً مع شخصيته البسيطة وغير المتكلفة؛ فكان يرحمه الله لا يستقبل الضيوف الرسميين الذين يأتون إلى الحرمين وكنت أتولى ذلك نيابةً عنه).

لزوم طاعة الوالدين

بعد تركه للعمل الحكومي، ظل الشيخ صالح أربعين عاماً متفرغاً للعلم وحفظ القرآن، وخدمة والديه رحمهما الله لكنه كان يُستدعى بين حين وآخر للإفادة باستشارات قانونية، وإبداء الرأي حيال بعض القرارات لا وبالرغم من أن الملك فهد - رحمه الله - خصص للشيخ صالح مكتباً بمجلس الوزراء، وسيارةً وسائقاً، إلا أن الشيخ صالح لم يدخل ذلك المكتب ولم ير السائق إلى أن توفي رحمه الله، زهداً منه وحرصاً على التفرغ للعلم والعبادة وخدمة والديه رحمهما الله.

ومع ذلك بحسب ما يذكر أخوه الشيخ سعد الحصين في إفادته: (إن الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله حين عاد إلى الرياض ذات مرة، قادماً من الطائف طلب مقابلة الشيخ صالح الحصين في مدينة عفيف قرب الرياض واستشاره بخصوص بعض الوزراء الذين عينهم في حكومته الجديدة، فأثنى عليهم خيراً)^(١).

كان الشيخ مرتبطاً بخدمة والديه، ثم والدته التي لم يكن يفارقها من حرصه على البر بها. وظل يخدمها ملتزماً العيش معها حيث تعيش حتى إذا سأله بعض محبيه عن قدومه إلى الرياض أو جدة؛ كان يجيبهم قائلاً (إذا جاءت الوالدة).

(١) من مقابلة مع الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين: شقيق الشيخ صالح

تولي رئاسة شؤون الحرمين

ظل الشيخ صالح - رحمه الله - على هذه الحال إلى أن كُلف برئاسة شؤون الحرمين في عام ١٤٢٢هـ.

يقول الشيخ سعد الحصين، في هذه المناسبة (علاقة الشيخ صالح بالملك عبد الله - يرحمه الله - قديمة جداً؛ منذ أن كان الملك يستشيريه قانونياً في عقود رئاسة الحرس الوطني حين كان الملك رئيساً لها، عندما كانت تسمى رئاسة الحرس الوطني، وكان الشيخ صالح يرفض أن يتقاضى على تلك الاستشارات مبالغ مالية فأيقن الملك أنه الرجل المناسب للمسؤولية والأمانة، وطلب منه أن يتولى رئاسة شؤون الحرمين؛ فاعتذر الشيخ صالح ببعده عن نظام العمل الحكومي طيلة ما يقارب أربعين سنة، ونزولاً على إصرار الملك عبد الله وافق الشيخ صالح على أن يتولى رئاسة شؤون الحرمين لدورة واحدة مدتها سنتان بدلاً من ٤ سنوات. حينها طلب الشيخ من الملك أن يسمح له بالإسهام في سقف مقرءاء زمزم في الحرم المكي الشريف من رواتبه أو مستحقاته التي لم يكن يتقاضاها فاعتذر الملك قائلاً: لو طلبت شيئاً آخر ما ترددت للحظة واحدة أما هذا فلم نسمح لأحد أن يدخل معنا فيها)^(١) ثم استمر الشيخ صالح الحصين على رئاسة شؤون الحرمين لمدة اثني عشرة سنة ظل فيها الشيخ صالح مضطراً للعمل في هذا المنصب إلى أن تركه حين مرض مرضه الأخير، وقد روى معالي الشيخ عبد العزيز السالم أنه سأل الملك قائلاً: كيف استطعت أن تقنع الشيخ صالح الحصين؟ فأجاب الملك عبد الله - يرحمه الله - قائلاً: (والله ما زملت في حياتي لشيء مثلما زملت له).

(١) من مقابلة مع الشيخ سعد بن عبد الرحمن الحصين: شقيق الشيخ صالح



وبحسب إفادات الدكتور يحيى اليعحي صديقه الذي لازمه لأكثر من عشرين عاماً فإن الشيخ صالح: (بعد أن عُين رئيساً لشؤون الحرمين؛ كتب خطاباً إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز، فحواه: «لا تبرأ بي ذمة لهذا المنصب» وقد وجدت الخطاب في كتاب كنت أقرأه في بيت الشيخ بمكة في حج العام الذي عُين فيه. ولم يكن يعلم أنني سأقرأ ذلك الخطاب ولم أخبره بأنني قرأته).

ويقول الشيخ سعد الحصين شقيق الشيخ: (كان الشيخ صالح يكتب خطابه لأولياء الأمور بخط يده ويختتمها ويرسلها للمعنيين، ولم يكن يعطيها لناسخ أو كاتب، كما لم يكن يحتفظ بنسخ منها حفاظاً على السرية. كان رحمه الله شخصية عميقة، وكان يقتضي منه الجلوس في كرسي المسؤولية تواضعاً، بعكس بعض الذين إذا جلسوا في كرسي المسؤولية احتاجوا إلى التكبر ليكونوا في حجمه).

أما الشيخ محمد الخزيم فيقول في هذا الصدد: (لما صدر القرار السامي بتعيينه رئيساً لشؤون رئاسة الحرمين الشريفين بمرتبة وزير بعد عصر يوم الثامن من شهر ذي الحجة عام ١٤٢٢ هـ حاولت الاتصال بالشيخ صالح هاتفياً ولم أتمكن إلا بعد العشاء وحين هنأته بذلك استغرب قائلاً: كنت قد نسقت مع المسؤولين ألا يصدر القرار إلا بعد انتهاء الموسم لأنني سأحج ماشياً مفترشاً، ولا أريد أن أرتبط بالعمل، ثم أضاف: أكملوا عملكم وبعد الموسم سأكون معكم بحول الله. وعند ما مُدِّد له سنتان أخريان بعد انقضاء مدته الأولى رحمه الله حاولت أن أتصل به عن طريق هاتف البيت لأنه لم يكن يحمل هاتفاً نقالاً «جوال» فباركت له، فلما التقينا قال: كنت أتوقع أنك أنت الذي مدد له وباركت لك. ولم يكن يعلم أنه هو من جاء التمديد له من المقام السامي).

في رئاسة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

ثمة حيثيات عديدة جعلت من الشيخ صالح - رحمه الله - الرجل الأنسب لتولي رئاسة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني إلى جانب رئاسته لشؤون الحرمين. وفي هذا المعنى يقول شقيقه الشيخ سعد الحصين: (كان الشيخ صالح وسطياً، وغير منتم إلى أي من التيارات الأيدلوجية أو الفكرية، لهذا كان من أنسب الناس لهذه المهمة؛ كان مقبولاً من الجميع: من العلماء، والمسؤولين، وعامة الناس بمختلف أطيافهم الاجتماعية والفكرية) كان الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - يتقن أكثر من لغة، فقد ذهب للدراسة في فرنسا بعد الماجستير وتمكن من إتقان اللغة الفرنسية، ولكنه قطع دراسته ليعود إلى المملكة في مهمة عمل، ثم ذهب إلى بريطانيا، وعاد منها إلى السعودية مرة أخرى. وبحسب قول الدكتور يحيى اليحيى فإن الشيخ: (لشدة تكتمه لا يوحى للآخرين بأنه يجيد تينك اللغتين؛ إلا عندما يضطر للحديث بهما. ومع ذلك فإن من مصاحبتي له كنت أراه يتحدث مع شخصيات أجنبية مختلفة بعدة لغات، وبطلاقة كاملة).

أخلاق الشيخ صالح في ذاكرة الآخرين

يروى شقيقه الشيخ سعد الحصين: (كان الشيخ صالح الحصين، يرحمه الله، سمحاً له سمت وخلق وهدوء كبير، لم يكن كثير الكلام، وإذا اختلف معه أحد في الرأي لم يكن يرد أو يجادل بل كان كثير التحمل صبوراً في كل شيء، حياً إلى درجة كبيرة جداً. لم يكسب في حياته أعداء أو خصوماً، لا رسمياً ولا اجتماعياً ولا شعبياً. ولم يطلب في يوم ما لنفسه حقاً أبداً كان كريم النفس. حتى عندما يأتيه شخص لا يحبه؛ كان يعامله

وكانه لا يعرف أحداً في الدنيا سواه من شدة تودده وإقباله على ذلك (الشخص).

أما الشيخ محمد الخزيم نائب رئيس شؤون الحرمين فيقول: (كان، رحمه الله، أسراً بأسلوبه وألفاظه، وجميل معانيه، وبحضوره الهادئ والمتزن، وتواضعه الشديد، متبسطاً في كل شيء ومع أي شخص يقابله. مظهره البساطة، ومنهجه العمق في التفكير حرصاً على إنضاج الأفكار التي يدلي بها. كان يحارب المظاهر بجميع أشكالها؛ ومن ذلك أنه كان يجلس في الحرم في أي مكان وكيفما اتفق له دون تخصيص لمكان معين، وليس له مقر ثابت. بالإضافة إلى قدرته الإقناعية في الحديث ولباقته في الكلام، كان يجيد الإنصات والاستماع وكان ذكياً فطناً في استيعابه لكل كلمة وكل فكرة دون أن يقاطع المتحدث).

ويقول الدكتور يحيى يحيى عن بعض صفات الشيخ وأخلاقه: (كان يحمل رؤية عظيمة منطلقاً من مقولة طالما ردها دائماً: «كن كما أنت» أي لا تتصنع أو تتكلف أو تمثل أو نحو هذا.) ويضيف: (هناك من لم يفهم الشيخ أو فهمه فهماً ظاهراً أو اختزله في الزهد الورع. والحقيقة أن الشيخ لم يكن يعيش في زمنه المعاصر؛ لأنه كان يعيش الحقيقة. أما نحن فنعيش الوهم. كان رحمه الله يعيش: حقيقة الناس، وحقيقة النفس، وحقيقة الإسلام وحقيقة العالم، وحقيقة النظام؛ لذلك عاش لذة الحياة الحقيقية).

فيما يرصد شقيقه الشيخ سعد الحصين، بعض ملامح الشيخ وصفاته: (شخصية الشيخ صالح، بصورة عامة، لا تتناسب مع الوجاهات والبروتوكولات ومقتضيات المراسم وما إلى ذلك. لهذا عندما تم تعيينه وزيراً أراد بعض الصحفيين أن يجروا مقابلات معه ومع زملائه الذين

عينوا وزراء حينها؛ فأصيب بحالة من الإغماء، وصرفه الله عن ذلك اللقاء لأنه في الأصل لا يصلح لذلك ولا يحبه).

هذا أيضا ما يؤكد الشيخ محمد الخزيم في حديثه حيث يقول: (ليس له أي تصريح منذ أن عمل في الرئاسة، وكان يحيل إلى بكل ما يتعلق بالإعلام). وفيما يتصل بانصرافه عن الدنيا وجمع حطامها الزائل. يقول شقيقه الشيخ سعد: (ما اشترى أخي صالح سيارة في حياته إلا مرة واحدة، عندما كان في المدينة المنورة، وكانت أصغر بناته تضطر للذهاب إلى المدرسة ولم يكن يجد الوقت لإيصالها مع أصحاب التاكسي، وسيارات الأجرة فدلّه بعض أصحابه على رجل محتاج. فاشترى له سيارة باسمه وأعطاه إياها مقابل أن يوصل ابنته إلى مدرستها).

وبحسب الدكتور يحيى يحيى، فإن الشيخ صالح: (كان إذا طلب إلى لقاء رسمي يعتذر عن طلب السيارة الحكومية لنقله قائلًا: «إن لديه سائقين كثر وسيارات» قاصداً بذلك سيارات الأجرة التي كان يستأجرها لتوصيله إلى مقر اللقاء. كما أن شقيقه المتواضعة جدا في المدينة المنورة كانت هي مكان استقبال ضيوفه، سواء أكانوا من كبار الشخصيات أم عامة الناس).

ويعترف الشيخ محمد الخزيم بأنه لم يعرف الفرق بين الورع والزهد (حتى عشت مع الشيخ صالح الحصيّن رحمه الله فعرفت أنه زاهد وورع بالمعنى الحقيقي لهما. فعندما باشر عمله رئيساً لشؤون الحرمين عرضت عليه أن يشتري له سيارة بمبلغ ٢٥٠ ألف ريال وفقاً لأنظمة الدولة؛ فأعرض عني رحمه الله ثم رجعت إليه مرة أخرى ومعني قرار مجلس الوزراء بالعرض نفسه فكان رده: «لم أملك سيارة في حياتي ولو قررت أن أشتري فهل أشتريها بـ ٢٥٠ ألف ريال؟»).

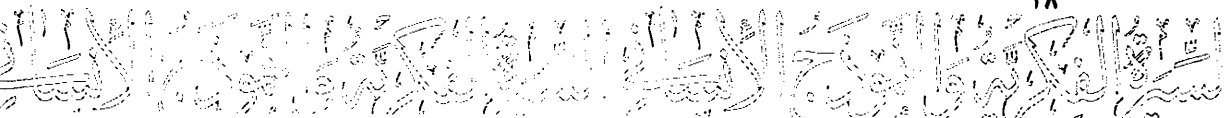


ويستطرد الشيخ محمد الخزيم قائلاً: (وفي أحد اجتماعاته مع مديري الإدارات في الرئاسة؛ طلبوا منه أن يشتري لهم سيارات فقال لي: يا محمد لعلك تشتري لهم سيارات بذلك المبلغ فقلت له: إن المبلغ موجود في وزارة المالية وليس لدينا. وعندما حاولنا أن نعطيه سيارة من سيارات الرئاسة رفض. فكنت أسأله: كيف تقضي شؤونك بدون سيارة؟ فقال: أتعامل مع سيارات التاكسي وأقضي أموري بكل يسر وسهولة. ولأن عمله في الرئاسة يتطلب التنقل ما بين مكة والمدينة فقد كان ينتقل بالنقل الجماعي، ويقول لي: إنها فرصة لقراءة القرآن وللقراءة الاطلاعية الأخرى. رافضاً فكرة السفر بالطائرة؛ وحين اقتنع مؤخراً بركوبها كان يسافر على درجة الضيافة، ويرفض أن يذهب عن طريق المكتب التنفيذي المخصص لكبار المسؤولين كما كان يرفض أن يرافقه أي موظف أو مسؤول)

نماذج من سيرته في العمل الإداري

يعتبر الشيخ صالح أحد مؤسسي الأنظمة في المملكة. ويروي الشيخ سعد: (إن الشيخ صالح رحمه الله كان يترك العمل للإداريين التنفيذيين وكان يشغل نفسه بالتخطيط والتفكير الإستراتيجي لما ينفع الناس عبر ما كلف به من مهام. وكان يرى أن كثرة الأنظمة تخنق العمل بدلاً من أن تخدمه).

فالوعي الإداري والقانوني للشيخ صالح جعله يدرك معنى الإدارة الرشيدة التي تتخذ قرارات حكيمة، وليس من الضرورة أن تقوم على كثرة القوانين والأنظمة. هذا ما يؤكد الدكتور يحيى اليحيى: (كان يحذر كثيراً من الإسراف في التقنين. و بعيداً عن التكلف كان يصرف إدارته بأسلوب سلس وميسر وسهل وعملي، محتجاً بأن الأوامر والنواهي هي



أقل ما ورد في الكتاب والسنة. وأن أكثر الدول حضارة هي التي تقل فيها الأوامر والنواهي؛ فإذا كثرت الأنظمة في دولة ما فهي تصنع بتلك الكثرة جواً للفساد؛ لأن ذلك يهيئ للتحايل على تلك الأنظمة. كما كان يكره أن يصدر تنظيم ما بسبب حادثة فردية عابرة لأنها حالة خاصة، ولا يجب أن يعامل الجميع على ضوءها وبمفردها فقط. ولم يستحب قانون المنع لأن المنع يسهل طرق التخلص من المسؤولية ويمنع من ابتكار الحلول. وضرب مثلاً على ذلك بقوله « إن بعض البلدان الأوروبية لا تعتمد مطابقة التوقيع على الشيك لأنها بحثت تكاليف التثبيت من التوقيع وحين قورنت بوقائع الاختلاس كانت التكلفة أعلى من النتيجة التي لا تعتبر ظاهرة بل حالات فردية لا يبنى عليها نظام لذلك ألغيت طريقة التثبيت من التوقيع على الشيك عبر مقارنته بالتوقيع الأصلي لصاحب الحساب لدى البنك من خلال نظامه الإلكتروني» وقد تحدث الشيخ عن مفهوم الاستدامة ودل على وجودها في الإسلام في العديد من النصوص، منها: منع الإسراف في المأكل والمشرب والوضوء وغيرها، بينما بعضهم يرى أن هذا المفهوم غربي بحت).

ويذكر الشيخ محمد الخزيم: (أن الشيخ صالح رحمه الله كان يتعامل مع موظفي الرئاسة بأدب جم فكان محل تقدير ومحبة الجميع، وكان مهاباً لا لشدته أو قسوته أو نحوها، ولكن آتاه الله المهابة، وحضور الشخصية، وحسن الخلق ورفق التعامل، كما كان رحمه الله حريصاً على إنضاج العمل. وفي العادة لم يكن يحب الدخول في التفاصيل بل يتركها للتنفيذيين حيث منح نائبه في مكة والمدينة صلاحيات كبيرة وهو ما أدى إلى انسيابية العمل).

موقفه من بعض المعاملات المصرفية

امتلك الشيخ صالح رحمه الله نظرة مقاصدية نتيجة لدراسته العميقة للقانون، ومن أهم القضايا التي تأمل في بعض دالاتها ومخرجاتها وحاول مقاربتها ضمن هذه الرؤية: قضية الربا يقول نائبه في رئاسة شؤون الحرمين الشيخ محمد الخزيم: (من الهموم التي كان يحملها قضية الربا. لطالما قلق في حياته بشأن الربا وكان يحاربه في كل فرصة. وله رأي مهم في البنوك واللجان الشرعية ألف بسببه كتاباً^(١) ومن هنا جاء موقفه الراض لتحويل رواتب العاملين في الرئاسة إلى البنوك كي لا يتورط منسوبو الرئاسة في القروض الربوية. ولقد تفاعلت هذه القضية وأثارت ردود أفعال لدى بعضهم لكن الشيخ صالح لم يتنازل عن موقفه ورأيه. وأذكر أنه حاول أن يوجد مشروعاً بديلاً لإقراض منسوبي الرئاسة واحتواء الوضع لكن هذا لم يُنجز لتفاصيل يطول شرحها)

وفي هذا الصدد يقول الدكتور يحيى اليحيى: (الشيخ صالح رحمه الله عميق في دراساته لدرجة يندر مثلها. فعندما تناول قضية الربا لم يتناولها في عصرنا هذا أو واقعنا فقط؛ بل في كل الثقافات والحضارات الإنسانية. كما أن بحثه لم يقتصر في الإسلام فقط بل كذلك في حضارة الفينيقيين وغيرها. وأكد أن كل الحضارات والثقافات تتكرر الربا. ووجد أن المشكلات التي يعانيها العالم اليوم كلها بسبب الربا. إذ وجد أن ما نسبته ٩٧٪ من مقدرات الشعوب في العالم موجودة في البنوك فيما ٣٪ فقط هي النسبة المتداولة من تجارة وأسواق وغيرها. وكان يرى أن الربا أشبه ما يكون بالبركان الذي سينفجر وسيدمر حياة الناس كلها. كما أنه عندما كان يورد الأدلة على بطلان الربا وأثره السلبي الكبير على اقتصاديات العالم

(١) كتاب خاطرات في المصرفية الإسلامية



واضراره بالشعوب ينقل عن شخصيات نالت جائزة نوبل في الاقتصاد ولا ينقل عن أحد إلا وهو يمثل شخصية معتبرة في مجالها).

فقد كان الشيخ عميقا في دراسة القضايا التي يفتي فيها، فلا يطلق حكما إلا بعد أن يستكمل فيه احتمالات النظر، ولا يفتي إلا بعد أن يطمئن إلى قوة الحجة في فتواه ثم يعطي رأيه المستند إلى شروط المنهج العلمي الرصين الجاد. ومن هنا كان موقفه الذي لم يحد عنه بخصوص رفض تحويل مرتبات العاملين في رئاسة شؤون الحرمين إلى البنوك وكان يقول رحمه الله: «عزائي أنك لا تدري وأنت لا تدري بأنك لا تدري». وهو ذات الموقف بخصوص علاقة تضخم الدين طردا مع تحويل الرواتب في البنوك. وذلك عندما أعلن^(١) أن حجم قروض الناس لدى البنوك بلغ مئتي مليار ولغايات استهلاكية وليست استثمارية ولم ينتج هذا إلا بعد أن حولت الرواتب إلى البنوك. وقد قدم الشيخ صالح رحمه الله مشروع المصرفية الإسلامية، وطبقه أحد البنوك في الخارج، وأحد البنوك في المملكة فانتشر انتشارا كبيرا في بدايته، ثم تحول مسار ذلك البنك، فيما بعد، فخرج الشيخ صالح من اللجنة الشرعية على إثر ذلك التحول؛ إذ كان الشيخ قد فرض ألا تتقاضى اللجنة الشرعية لتلك البنوك أي مقابل مادي لكي لا يملي البنك شروطه على اللجنة، ولكي تكون اللجنة حرة.

وفي هذا السياق يقول الشيخ محمد الخزيم: (ذكر لي الشيخ صالح رحمه الله أن نحو نسبة ثلاثين في المائة من الدخل القومي السعودي تذهب إلى القروض. وكان يقول: إن أغلب المعاملات البنكية المتداولة الآن ربوية وغير جائزة وهي مجازة شكلياً فقط).

(١) في ندوة اقتصادية بعنوان (التمويل الإسلامي وخدمة المجتمع في ظل الأزمة المالية العالمية) في الرياض عام ١٤٢٠هـ.

أما الشيخ سعد الحصين فيقول: (كان الربا عدوه الأول، وكان يقول بضرر الربا ضرراً بالغاً على الناس وكان يتندر على ما يسمى بالتورق المبارك بالقول: «من وين تجي البركة منه»).

جهود الشيخ صالح في تطوير إدارة الحرمين

منذ أن تولى الشيخ صالح الحصين رئاسة شؤون الحرمين قام بالكثير من الخطوات التطويرية وقدم بعض الإسهامات المهمة، والملاحظات التي أسهمت في تيسير بعض الأحوال بناء على الأخذ باستشاراته. يقول الشيخ محمد الخزيم نائب رئيس شؤون الحرمين: (من أبرز الأعمال التي كان يتابعها الشيخ صالح بانتظام أثناء رئاسته لشؤون الحرمين: توسعة الملك عبد الله للمسعى، وقبلها تعديل مسار المطاف، والقضاء على بعض الانحناءات في الدور الأول، وفي السطح في المسجد الحرام، ونُفذ في وقته مشروع تغطية مكان بئر زمزم الذي أضاف مساحة تقدر بنحو ٤٠٠ متر فقد كان المخطط قبل إفادة الشيخ صالح رحمه الله أن يكون هناك مدخل من الجهة الشرقية، فرأى الشيخ أن هذا يخالف العقل والسلامة، وأصر على عدم تنفيذه لأن في ذلك خطر على الناس حين يدخلون لمسافة تصل إلى ٢٠٠ متر من أجل مشاهدة بئر زمزم بينما الماء موجود في كل مكان).

ويضيف الشيخ الخزيم: (ومن أعماله التي لا تنسى: طريقة تصميم مشروع توسعة الملك عبد الله؛ إذ كان المعتاد في أعمال الحرمين أن يكون المصمم هي دار الهندسة المعتمدة من قبل المقاول (مجموعة بن لادن) المنفذ الحصري لمشروعات الحرمين ثم تعرض على خادم الحرمين الشريفين؛ فرأى رحمه الله أن هذا لا يناسب العصر الحاضر فاقترح على

الملك أن يكون فريقاً من المتخصصين في الجامعات، ومن الدول الأخرى يشتركوا في تقييم التصاميم المقترحة. وفي حال عدم ملاءمتها يقومون بوضع تصميم يحقق المعايير اللائقة بالمسجد الحرام ومنها سلامة زواره. والمتناسبة مع العصر الحاضر فقبل الملك عبد الله - رحمه الله - اقتراحه وكلف وزارة التعليم العالي بالتنسيق وعرض عدة تصاميم من اليابان ومن تركيا ومن الجامعات السعودية؛ فكان هذا من حسنات الشيخ (رحمه الله).

وفي هذا الصدد يقول الدكتور يحيى يحيى: (كان في صحن المطاف بالمسجد الحرام خطأ أسود من البلاط مقابل الحجر الأسود قبل ثلاثين سنة؛ لما أعتقد من مصلحة في وجوده رغم تضافر الأدلة على عدم مصلحة وجوده مع تراحم الناس إلا أنه لم يغير وكان المقاول الذي وضع ذلك الخط يهدف إلى أن يكون علامة على الحجر الأسود، وكان ذلك يسبب تدافعا وتزاحما بين الطائفتين وعندما جاء الشيخ إلى رئاسة الحرمين أكد أن هذا غير صحيح رغم معارضة بعض كبار أهل العلم دون دليل شرعي على ذلك فذهب الشيخ ووضع لاصقاً أبيض على ذلك الخط الاسود لمدة ثلاثة أشهر وبعدها سأل اللجان المختصة فأجابوه بان الحركة أصبحت انسيابية ولم يعد يوجد ذلك التزاحم. فقال لهم: إن الشريعة لم تنص على الوقوف مقابل الحجر الأسود وإنما بنص الحديث «إذا حاذيت الحجر الأسود تشير إليه وتقول: الله أكبر» فأزال تلك البلاطات السوداء واستبدلها بالبيضاء وهكذا مضى الحال ولله الحمد).

ومن خلال هذه الملاحظات والاقتراحات التي تولي الاهتمام بها كان الشيخ صالح يهدف إلى مغزى التيسير، تسهيلا على العباد، وتوخيا لألطف الوسائل المعينة على ذلك التيسير، وهي اقتراحات كان لها أكبر

الأثر في استثمار كل ما يمكن أن يسهم في عملية تسهيل المناسك، خدمة لحجاج بيت الله الحرام واستلهاما لمنهجية التيسير، واستفادة من التقنيات العلمية الحديثة المعينة على ذلك. يضيف الدكتور يحيى اليحيى: (عند توسعة الحرم المكي تحدث الشيخ صالح عن « الاستدامة البيئية » وهو مفهوم غربي كما يعرف الجميع وأكد إن ذلك خلاف في اسم المصطلح أما المعنى فهو إسلامي بحث بل وقبل أن يعرفه الغرب أصلاً. واستدل بأدلة كثيرة⁽¹⁾؛ فدرس الجانب البيئي للحرم من حيث الدخول والخروج وكيف أن لكل دور الحق في رؤية الكعبة وما إلى ذلك. وقدم لفريق المهندسين الرؤية التي ينطلقون من خلالها لوضع التصميم، ومن ذلك: الجسر الذي يصعد إلى الدور الثاني من ناحية قصور الضيافة؛ الذي أطلق عليه الناس فيما بعد: «جسر صالح الحصين» لأن الشيخ رأى أن الشارع الذي عند النفق مرتفع مما يضطر المتجه إلى الحرم إلى النزول، وأنه من الممكن أن يبنى جسر إلى الدور الثاني ليخفف على الناس. لكنه عورض من بعض الجهات الحكومية بحجة الخطر وما إلى ذلك. وبعد أن استصدر القرار وبني الجسر تبينت الفائدة المتمثلة بتخفيف الزحام بدرجة كبيرة جداً؛ فقامت تلك الجهات التي عارضت في أول الأمر وكتبت في تقاريرها السنوية: (إن ذلك الجسر من أهم إنجازات المرحلة رغم أنها كانت في الأصل معارضة له!).

ويضيف الدكتور اليحيى: (عرض الشيخ صالح رحمه الله فكرة لم يوافق عليها، وهي فكرة عملية ناجحة اقتصادياً واجتماعياً؛ إذ كان يقول: إن الازدحام في الحرم لا يقع إلا في موسمين فقط، ولذلك لا نحتاج إلى إزالة المباني عن الحرم. وكان يرى أن كل مبنى مجاور للحرم يؤخذ منه

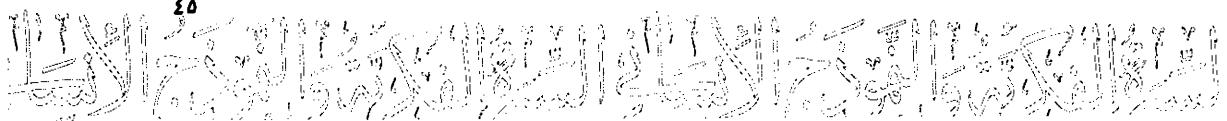
(1) انظر مقالته: تعليق على مفهوم الاستدامة.

الدور الأرضي ليكون ممراً ومصلياً مظلاً يمشي فيه الناس إلى الحرم ويصلون^(١) فيه، وبهذا لا نحتاج إلى هدم ما بجوار الحرم) أما بخصوص تحديد عدد الحجيج فيذكر الدكتور يحيى اليحيى: (إن الشيخ كان يرى عدم صحة تحديد عدد الحجاج لأن ذلك في رأيه الفقهي من الصد عن المسجد الحرام، وفي رأيه العلمي الواقعي افتقار هذا التحديد للمبرر الحقيقي، ثم ذكر مدعماً لذلك بالجانب الاقتصادي فأورد على سبيل المثال: إحصائية سياحية في السويد حول عدد السياح ومبالغ صرفهم. وكذلك تحدث عن مدينة في اسبانيا واستشهد بمصروفاتها وخدماتها وكم تنفق لجلب السواح وكان يقول: إن بلدان العالم كله تتمنى جلب السياح لتكسب منهم دخلاً مالياً كبيراً، ومؤثراً في اقتصاداتها بينما نحن نقوم بتحديد عدد الحجيج، ثم عقد مقارنة بين السائح والحاج فوجد أن الحاج لا يتشترط ولا يتطلب بل يأتي معظماً للأرض وللبقاع المقدسة. كما تحدث عن ندرة الموقع فيما يتعلق بالمدينة المنورة ومكة المكرمة. وكان يرى أن الافتراض ليس إشكالاً ولا يجب أن ن فرض على الناس صورة نمطية واحدة في أداء مناسك الحج. وكان يقول الناس عقلاء وسينظمون أنفسهم واستشهد باجتماعات بملايين الناس في بقاع متعددة من العالم بل ويصل عددهم إلى أربعة ملايين ولا يوجد إسعافات ولا تنظيمات وتتم الأمور وتمضي على ما يرام ودون حوادث تذكر).

منهج الشيخ في الكتابة والتأليف

عن هذا المنهج يقول الدكتور يحيى اليحيى: (كان الشيخ لا يكتب

(١) وهذا الرأي يتفق مع الرؤية المختصة التي طرحها قبل ٤٠ عاماً المخطط البريطاني العالمي (روبرت ماثيو) كحل إستراتيجي وعقلاني لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الحجاج لأجيال ممتدة (إفادة من ابن الشيخ؛ الدكتور عبد الله بن صالح الحصين).



شهوة في الكتابة أو طلباً للشهرة بل يكتب للفكرة الضرورية التي يريد لها أن تكون مشروعاً تطبيقياً. وقد عرفته أول ما عرفته عبر بحث علمي ناولني إياه للاستشارة قبل نحو ٢٢ سنة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عندما زار الجامعة وأعطاني بحثاً عن الربا. كان الشيخ في كتبه يعتمد مبدأ ترك القرار والحكم للقارئ فهو يقدم له الحقائق ويجمع له الأدلة ثم يترك له الحرية ليتخذ قراره دون أن يملئ عليه فكرته هو. وهذا من وجوه العدل والموضوعية في منهج الشيخ. وحين يخالف، أحياناً، رأياً لمسؤول كبير يستخدم أسلوبين في تعبيره عن الخلاف؛ أحدهما: طريقة هادئة ولينة تعتمد الموعظة وتحفيز الزهد والوازع الإيماني، والأخرى تعتمد العقل والمنطق والأرقام والنتائج والمقارنات الفعلية. وكان رحمه الله إذا أعطى رأياً لا يعطيه إلا بعد دراسة كاملة لكل متعلقات ذلك الموضوع؛ ولذلك نادراً ما يجيد عن رأيه عندما يظهر دليل أقوى مما لديه وهذا أمر نادر الحدوث ومن ذلك قضية رفضه تحويل رواتب العاملين في الرئاسة إلى البنوك. وكذلك قصة أخرى وهي، عندما صدر قرار الإلزام بربط حزام الأمان في السيارة كان يرفض أن يركب في الأمام لكي لا يربط الحزام ولو ركب في الأمام ولم يربط الحزام فهذا مخالف لولي الأمر. وكان لا يرى ضرورة ربطه. ثم بعد مدة ركب في الأمام وربط الحزام وقال: قرأت ختمة في القرآن فوجدت ٣١٥ آية تدل على الأخذ بالوقاية فأننا الآن أربط حزام الأمان استدلالاً بالقرآن عبر المنهج والعلم. وكان يرجو أن يكون في ربط الحزام احتساباً ببذل السبب ما يؤجر عليه العبد. كذلك كان الشيخ صالح يكتب عبارة: « هذا الكتاب لا تسري عليه المادة الثالثة من نظام المطبوعات والنشر في المملكة؛ ويقصد حقوق المؤلف». بل إنني كنت مع الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، في إحدى المرات فأهداه أحد الأساتذة الجامعيين كتاباً فشكره الشيخ ودعا له وهناك على

ذلك الكتاب؛ بينما الحقيقة أن ذلك الكتاب كان من تأليف الشيخ صالح لكنه لم يكن يكتب اسمه على كثير من المؤلفات التي كان يؤلفها. فكنت أراقب الموقف العظيم هذا وأتأمل هذا الشيخ الكبير يرحمه الله) ويواصل الدكتور اليعقوبي: (ذكر لي الشيخ أن أحد العلماء سُئِلَ وأجاب إجابة خاطئة حين قال السائل: الإسلام يميز الرجل ضد المرأة والدليل الآية «لذكر مثل حظ الانثيين» فأجاب ذلك العالم مبرراً تلك الآية بالإرث بينما هذا غير صحيح؛ ففي القرآن الكريم ورد معنى الإرث سبع مرات. ثلاث مرات جاء بمعنى للذكر مثل حظ الانثيين. وثلاث مرات جاء بمعنى تساوي الرجل بالمرأة، ومرة واحدة ورد المعنى للأنثى ضعف حظ الرجل. فإذاً هذه القاعدة غير صحيحة لأنها خرقت أكثر من مرة والقاعدة إذا خرقت مرة واحدة لا يعتد بها).

أما الشيخ محمد الخزيم فيقول في هذا الصدد: (كان للشيخ صالح الحصين رحمه الله مؤلفات كثيرة وخاصة في التسامح والوسطية. وكان يؤلف كتباً أو موضوعات ولا يكتب اسمه عليها أو يكتبها بأسماء أخرى، وكان إذا كتب أرسل إلى من يثق برأيهم ولمن يخالفونه في الرأي كشكل من أشكال التحكيم، ثم يطبعها عند الاطمئنان لصحة ما فيها. وكان مقلاً في التأليف لكنه مكثر في الكتابة جداً. كان له رأي في كل قضية مع تقديره لآراء العلماء والمفكرين الآخرين. ونظراً لثقافته القانونية والأجنبية العالية جداً كان إذا كتب يكرر الاستشهاد بكلام الغربيين والشرقيين إلى جانب الأدلة التشريعية، ويكثر الاستشهاد ويوظفه لما يخدم الفكرة. مع استخدامه لضرب الأمثال العربية أو الشعبية ليضفي بذلك جواً لطيفاً. ومن خلال تلك الأساليب الجميلة يثبت الفكرة ويوصلها ويقنع بها. كما كانت له نظرات ووقفات في السياسة وفي المجتمع وفي الاقتصاد وفي



الشريعة وفي كل ما يهم الناس، وفي تحليل الأمور^(١)، مردداً: أن قبول الناس لفكرة ما قد يأتي من إشاعتها وليس من حقيقتها).

رؤيته للعمل الخيري

ظل الشيخ صالح الحصين رحمه الله متصلاً بالعمل الخيري وفاعلاً فيه بطرق لطيفة، وأساليب غاية في الزهد؛ ولم يختص بذلك لنفسه بل أشرك فيه أخويه (الشيخ سعد والمهندس عبد الله الحصين^(٢)) في هذا السياق يروي الشيخ سعد الحصين: (اتفق الشيخ صالح معي ومع أخي عبد الله على أن نكون شركاء في كل أموالنا وحساباتنا البنكية وبيوتنا وسياراتنا، وأن لا تكون لنا تجارة. وكان الشيخ صالح يقول عن نفسه لو طُبِّقَ مبدأ «من أين لك هذا» لما عرفت كيف أجيب؟ لأن الله طرح البركة فيما رزقنا فلم أعد أعرف من أين تأتي وتتكاثر الأموال. وكنا، ولا نزال بعد رحيله يرحمه الله لا نجمع الدنيا ولا نكنز الأموال، بل نصرف منها فيما يكفي حاجتنا وننفق في وجوه الخير في الداخل والخارج حتى إذا جاء آخر العام أنفقنا كل ما تبقى لدينا طيلة السنة. فيرزقنا الله ما يكفيننا للسنة الجديدة وهكذا. وكان الشيخ صالح قد أسس مع غيره وقف هولندا الإسلامي).

ويذكر الشيخ سعد حالة استثنائية قائلاً: (مرة واحدة فقط أذكر أن وزارة الزراعة في مرحلة ماضية بدأت توزع مزارع مع بعض التسهيلات فرأى أخي صالح رحمه الله أن تأخذ منها وكان رأيه أن نزرعها نخلاً

(١) يمكن مراجعة موقع الشيخ على الشبكة المعلوماتية العالمية (الانترنت)

WWW. ROWAQ. ORG للاطلاع على نماذج من ذلك

(٢) وزير المياه والكهرباء في الحكومة الحالية (١٤٣٥هـ)

للصدقة وتم ذلك بالفعل ولم نتربح منها أبداً).

أما الشيخ محمد الخزيم فيقول: (لم يكن الشيخ صالح رحمه الله يحب أن يجمع الدنيا لا بالشراء ولا بالمنح أو الهبات. وكان يأخذ من راتبه جزءاً قليلاً فقط، والباقي يعطيه لمدير مكتبه لكي ينفق منه على المحتاجين والجمعيات الخيرية ونحوهما. وكان محباً للمشاركة في الأعمال الخيرية، عطاءً وعملاً، بل كان يقبل عضوية أو رئاسة اللجان الخيرية في الداخل والخارج دعماً لها. وعبر عن قلقه بشأن التضيق على الجمعيات الخيرية بعد ١١ سبتمبر فكان يطالب بتسهيل عملها وتيسير نشاط العمل الخيري ووجوب دعمه.^(١)).

وعن هذا المعنى في حياة الشيخ يقول الدكتور يحيى اليحيى: (كان الشيخ صالح رحمه الله يقول: « الشيء اليسير يكفي من الحياة ولا يغني منها الشيء الكثير » ولهذا فإن كل شيء تحتاجه في الدنيا يتطلب شيئاً آخر مثل السيارة التي تحتاجها أنت لكنها هي تحتاج إلى صيانة وإلى تأمين. . . إلخ وهكذا. كان يفكر لإسعاد الناس ولم يكن يرى أنه أفضل من أحد أو يعاند أحداً أو كارها لأحد، متبسطاً ومعايشاً لواقع الناس بكل صدق. كما تميز الشيخ صالح برؤية ذات تفكير عالمي متجاوزاً للمحلية، وبحسب رأيه: إننا أصبحنا أرقاءً نستخدمنا الغرب ويستغلنا كيفما يشاء. وقد كتب موضوعاً مهماً عنوانه بـ «كيف نتحرر من هذا الرق الثقافي؟» لأنه يرى أننا نعيش في عبودية لكننا نتوهم أننا أحرار. وكان يقول: نحن نسخة محرفة من الغرب، وليس من الإسلام، وأغلب ما نراه اليوم لدينا ليس من الإسلام بل من الغرب وبصورة مشوهة وليس بصورة متقنة وصحيحة).

(١) انظر مقالة الشيخ الممنونة (جهود الغرب في تحجيم العمل الخيري الإسلامي)



وحول تبسطه وعضويته يقول الشيخ محمد الخزيم: (كان بسيطا في مأكله ومشربه ومسكنه ولا يحب المظهر. وقد ذكر لي أنه كان في مهمة رسمية في الفلبين فذهب ونام في المسجد؛ فهذا دليل بساطته وعدم تكلفه. أما مسكنه فقد كان كبيراً في معناه صغيراً في مساحته. وقد سكن في برج بجوار الرئاسة في شقة مكونة من غرفة وصالة صغيره فقط. ومن بساطته رحمه الله أنه عندما أتى إلى مكة كان يحتاج إلى الحضور لقصر الضيافة بالديوان. فكان يقول لي: متى ستذهب لنذهب سويا لكي لا يمنعونني من الدخول لأنه لم يكن يريد أن يقول: أنا فلان أو رئيس كذا أو نحو هذا، تواضعا منه رحمه الله وظل دائما حريصاً على دعوة بسطاء الناس، وأفراد الجاليات البسيطة، والمغمورين في المناسبات الرسمية وغير الرسمية وحجته في ذلك: إن المعروفين الكل يدعوهم أما المغمورون فلا يدعون إلا قليلاً).

ومن الوقفات الأخرى في حياة الشيخ؛ ما يرويه الشيخ سعد الحصين حين يقول: (كان الشيخ صالح الحصين والدكتور عبد العزيز الخويطر، فيما أعلم، أول من أدخل الفيديو في تلك الفترة وكانا يريان أن الأفضل للأولاد الجلوس في البيت لمشاهدة الأفلام المناسبة بدلاً من الذهاب لمشاهدة أفلام غير لائقة في أماكن أخرى.) في وقفة أخرى يروي: (قلت لصالح في مصر مرة: لماذا لا نترك شرب الشاي. قال لا نملك هنا إلا شرب الشاي لكن لماذا لا نترك العشاء. . ومن ذلك اليوم لم نتعش إلى اليوم إلا بعد صيام.) ويقول الشيخ محمد الخزيم: (علمنا شيخنا الحصين رحمه الله بأسلوبه المؤدب؛ كيف نتعامل مع الدنيا. فهو يرى أنه يجب على الانسان ألا يقلق لأن كل الأمور بيد الله. وكان يرى أن من أسباب القلق التعلق بالوظيفة والتعلق بالدنيا وعليه يجب ألا ينظر



الانسان إلى ذلك. فقلت له: إن المسؤولية تجلب القلق؛ عند ذلك كان يوصي بالصبر والتحمل وعدم القلق لكي لا يؤثر على الصحة. وفي كل ذلك كان حريصاً على عمله ومواعيده وواجباته، كما كان دقيقاً في شؤونه كلها) هكذا من خلال هذه السيرة المكثفة والمختصرة في هذا الفصل، بدا لنا الشيخ صالح الحصيّن رحمه الله إنساناً قل مثيله في هذا الزمن، ودل في الوقت نفسه على وجود تلك الثلة الكريمة من البشر الذين يعيدون للناس ثقتهم بدينهم، ويذكرونهم بنماذج درست أو كادت لكبار الزهاد والعلماء الصالحين. وآية ذلك أن الله سبحانه وتعالى وضع له القبول بين الناس فكانت سيرته تسبق معرفته، وأخلاقه تعرّف شخصيته النادرة بين الناس.



لسان الصدق

مقتبسات من سيرة الشيخ صالح على لسان الآخرين

لكل إنسان، سيرة بين الناس، وصورته التي تتكون لديهم من خلال مواقفه وسلوكه وأخلاقه. والشيخ صالح الحصين رحمه الله كان ذا أثر كبير في حياة كل من عرفه أو تعامل معه أو صحبه أو التقى به. وهذه السيرة التي تعتبر بمثابة شهادة غيبية وصادقة عن الشيخ صالح هي التي ستبقى دليلا على المكانة التي حازها في نفوس الناس. فالسيرة الباقية هي الأثر الوحيد الذي يدل على صاحبه، بعد موته، بعيدا عن أي سلطة أو نفوذ أو مال أو منصب. ما يعني أن تلك الشهادة التي يشهد بها الناس على شخص ما؛ إنما هي فقط بمحض شعورهم الطيب حيال ذلك الشخص، وبفضل ما بقي في ذاكرتهم من ذكراه. وفي شهادتي كل من معالي الشيخ عبدالله المطلق رئيس مجلس الأمناء بمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ونائب الأمين العام لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الدكتور فهد بن سلطان السلطان، والمقتبسات الآتية للعديد من العلماء والكتاب والباحثين ما يدل بوضوح على المكانة التي احتلها الشيخ صالح رحمه الله في قلوب الناس، تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المروي عنه: (إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)^(١). وتأكيذا للقول المأثور (أسنة الخلق أقلام الحق).

(١) حديث صحيح رواه البخاري

ذكريات ومواقف

مع الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين

معالي الشيخ عبد الله المطلق

رئيس مجلس الأمناء بمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني



الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين كان إضافة لهيئة كبار العلماء، وقد صدر الأمر الملكي بتعيين الشيخ صالح الحصين ضمن هيئة كبار العلماء بالمملكة، وكان إضافة جيدة لدراسته القانونية وخبراته المتراكمة في سنّ الأنظمة واللوائح ومتابعة تطبيق كثير منها.

وقد شارك في لجان متعددة في عمل الهيئة، وكان في مجلس الهيئة خبير الأنظمة مع ما يتمتع به من تأسيس متين في علوم الشريعة، حيث كان - رحمه الله - من أوائل خريجي دار التوحيد بالطائف، ثم كلية الشريعة بمكة المكرمة.

وقد شارك - رحمه الله - في أول هيئة شرعية لبنك إسلامي وهو: «شركة الراجحي المصرفية» وساهم بذلك في ظهور المصرفية الإسلامية في المملكة العربية السعودية في بداياتها المتواضعة، وما زال يساندها حتى اشتد عودها واشتهر أمرها وثبت للمشككين صلاحيتها وتفوقها.

وقد شاركته - رحمه الله - في لجان متعددة من أشهرها لجنة

سماع شهادات كبار السن من أهل مكة وغيرهم في عرض مشعر «المسعى» وقد استمعنا إلى أكثر من ثلاثين شاهدا منهم العلماء والأعيان وغيرهم. وكان - رحمه الله - يذكر لنا معرفته بالموضوع ويستغرب من بعض طلبة العلم التشكيك فيه مع وضوحه لأهل مكة.

وكانت دراسته - رحمه الله - بمكة عام ١٣٧١هـ قبل العمارة السعودية الأولى للحرم المكي، وقد أعجبنى فيه مع تواضعه وزهده: التآني في عرض أفكاره وعمق التأمل، وعرض ما أنتجه على غيره قبل أن يعلنه فكان إذا كتب بحثا أرسله إلى مجموعة من إخوانه طلبة العلم المهتمين بهذا الشأن لقراءته قراءة نقدية قبل أن يعرضه على عامة الناس، وكان - رحمه الله - يقبل النقد، ويفتح باب النقاش ويعجبه من يقدم له المشورة الصادقة والنقد البناء.

وقد استفدت منه كثيرا حينما اشتركت معه في لجان متعددة بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وفي جلسات هيئة كبار العلماء فهو مثال جيد لحسن الاستماع وترتيب الأفكار وحسن العرض وتحديد الهدف، والبعد عن الجدل العقيم.

ذكريات ومواقف

مع الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين

الدكتور فهد بن سلطان السلطان

نائب الأمين العام لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني



تعرفت على الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين - رحمه الله - في العام ١٤٢٤هـ أثناء اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري الذي أقيم في مكة المكرمة.

كنا نسمع عن الشيخ وعن جهوده الثقافية والفكرية والعلمية، ولكني لم ألتق به شخصياً إلا في ذلك اللقاء. وقد انبهرت بشخصيته، رحمه الله، منذ أول لقاء معه.

أكبر ما يلفت النظر في الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، يتمثل في بساطته وتواضعه، فهو يمتلك بساطة فطرية، وعدم كلفة، كما يتميز بأسلوب ولطف شديدين، مما شكل حافزا ودافعا كبيرا لكل من عرفه أن يتعلم منه ويستفيد من تجربته.

ومن أبرز خصال الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، استعداده الدائم للتبسط في الحديث ونقاش مختلف الموضوعات مع الآخرين.

فالشيخ صالح عندما يأتيه موظف بسيط، يكون معه على سوية واحدة من التبسط ورفع الكلفة، فلا يستصغر رأيا، مهما كانت مكانة



صاحبه العلمية أو الفكرية. ولديه استعداد فطري للاستماع والحوار الهادئ الرصين. ولقد أسهمت هذه السمات في صياغة شخصيته كعالم منخرط في قضايا مجتمعه، ليس منعزلا عنه، ولا عن فئاته المختلفة. وهذا ما جعله قريبا من الجميع، يتلمس مشكلات المجتمع، كما يتضح ذلك تماما في كتاباته.

ومن خلال تجربتي مع الشيخ صالح الحصيّن، رحمه الله، خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته، وجدت أنه عندما يكتب بحثا أو أي موضوع كان يرسل لنا كثيرا من هذه الموضوعات، وطلب رأينا، ليس بالنسبة لي فقط، وإنما لكل المهتمين والباحثين في المركز رجالا ونساء، ممن لديهم إطلاع ثقافي.

وهذه ميزة قل أن نجدها في شخص له مكانته، وعلمه. وكان يتابع معنا، وينتظر منا الرد، وإذا كان من الصعب على المرء أن ينتقد كتاباته، لكنني مع ذلك تعلمت مع الوقت أنه إذا لم ننقد ما يكتبه فهذا مما يثير لديه بعض الضيق؛ فيبادرنا بالقول (أنا لا أريد الإشادة، أريد أن تنتقدوا ما كتبت) فقد كان رحمه الله يستشير بأراء من يرى أن لهم علاقة بما يكتب، ويسر بذلك.

ولذلك فهو يكون سعيدا حين تناقشه حول فكرة ما، بالرغم من أنه قلما تجد في كتاباته ما يمكن أن تنتقده فيه، فلقد كان دقيقا وموضوعيا جدا، رحمه الله، وفي هذا الصدد، كان يرسل كتاباته بنفسه لأشخاص كثيرين، من وزراء ومثقفين؛ مما يدل على أن رغبة الشيخ الحقيقية لم تكن في مجرد الكتابة، بقدر ما كان يهدف إلى استشفاف الآراء المختلفة، لاسيما وأنه صاحب رؤية فكرية وثقافية عميقة وهدفه الحقيقة دائما.

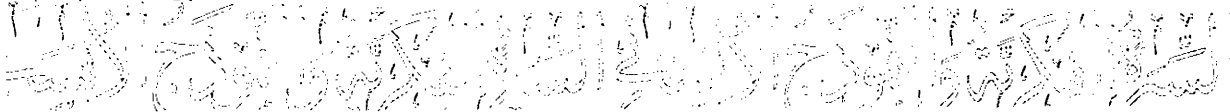
ومن أهم ماتعلمته من الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، أنه مهما بلغ الإنسان من العلم فهو في حاجة ماسة إلى التعلم من الآخرين. وعالم جليل بمكانته رحمه الله دائماً ما كان يراجع ويطلع ليستفيد من الآخرين.

ولقد كان له أثره الواضح في لقاءات مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، حيال أي فكرة قابلة للحوار والمناقشة. وقد تعلمت منه عدم الجزم في الكتابة لناحية إصدار الأحكام، إلا بالتأكد والحوار مع الآخرين عبر طرح الفكرة والفكرة المضادة، فقد كان يقول دائماً (مهما بلغ الإنسان من العلم فما يزال في حاجة للاستفادة من الآخرين)

كان الشيخ صالح، يتابع ويقرأ بانتظام، ولطالما وجدنا لديه دائماً في يده تقريراً أو كتاباً جديداً ومهما في علم النفس أو علم الاجتماع أو القانون؛ فيعطينا فكره عنه بما يجعلنا على يقين من أن الشيخ اطلع عليه وقرأه. ورغم مشاغله الكبيرة والكثيرة، إلا أنك تفاجأ بأن الشيخ يتابع بانتظام ما يصدر حديثاً من كتب وتقارير، وإصدارات متنوعة.

والشيخ بذلك أبعد ما يكون عن الجمود، فهو من العلماء القلائل في هذا المجال حيث يواكب التحولات الفكرية التي تحدث في العالم، ولقد كان لإجادته للغة الانجليزية دوراً كبيراً في ذلك. كما كان الشيخ صالح، رحمه الله، مهموماً بأوضاع المسلمين والتحديات التي تواجههم، وكان لديه نقد مستمر للتقارير التي تصدرها وزارة الخارجية الأمريكية وغيرها من المنظمات الأوربية.

رغم تقدم الشيخ صالح الحصين، في السن، إلا أنه كان يتمتع بالصبر والجلد على البحث العلمي ويتسم بالدقة في مسألة الاقتباس.



وحتى في الاقتباس من المصادر الانجليزية نجد أنه يتثبت من تاريخ طبعة الكتاب.

أذكر، ذات مرة، أخذنا نبحث لمدة ١٠ أيام عن تاريخ الطبع وبيانات أحد الكتب، ولم أر أحداً أحرص منه على التوثيق عندما يستشهد بتقرير أو كتاب، ويعجب المتابع من دقته الشديدة في ترجمة اسم ما أو مصطلح. أعتقد أن من أهم الأشياء: اختيار خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، رحمه الله، للشيخ صالح الحصين ليكون على رأس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني وعلى رأس القائمين على تطوير سياسات المركز ورسم استراتيجياته.

ومن خلال مشاركاتنا في مجمل اللقاءات الوطنية الماضية، لم نجد شخصا لديه اعتراض على شخصية الشيخ أو أسلوبه في إدارة الحوار، وهذا في حد ذاته، جعل منه محل إجماع الأطياف الفكرية في المجتمع، لأن الجميع يخرج منه وهو يحمل عنه هذا الانطباع الجميل. والقريب من الجميع. لقد أبهر الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، الجميع في كلماته الافتتاحية في جلسات الحوار، بأسلوبه العلمي، في تشجيعه للجميع بطرح أفكارهم بحرية وصراحة.

لقد كانت لدى الشيخ صالح رحمه الله، قابلية للجلوس مع الجميع والتحدث إليهم بأسلوبه المتواضع. وكانت لديه ميزة الصبر على الآخرين، رغم الجلسات الطويلة.

أما عن المجال الإداري فإنه، رحمه الله، يظل حاضرا بتواضعه؛ إذ كان لا يجلس على رأس الطاولة خلال الاجتماعات، بالرغم من أنه رئيس

اللجنة، وكان عندما يكتب خطابا، لا يكتب: رئيس اللجنة، بل يكتب (عن اللجنة الرئاسية).

وكان في الاجتماعات لا يتحدث بكثرة، ويعطي للآخرين الفرصة الكافية، عدا الموضوعات الجوهرية. ولم يكن مشغولا بالتفاصيل. ورغم لينه وتواضعه، إلا أنه في بعض القضايا والمواقف نجده متمسكا برأيه ويكون حاسما، وهو ما يجعل الخبرة والدراية الطويلة ببواطن الأمور هي الفيصل في بعض خفايا هذه القضايا.

بدأت معرفتي بالشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين - رحمه الله- يوم عُينتُ رئيساً لديوان الموظفين (الخدمة المدنية اليوم) عام ١٣٨٨هـ وكان من مهام منصبى الجديد الانضمام إلى اللجنة العليا للإصلاح الإدارى، وكانت اللجنة مكلفة بوضع نظام جديد للموظفين ونظام لهيئة الرقابة والتحقيق ونظام هيئة التأديب، وكان من بين أعضاء اللجنة الشيخ / صالح الحصين المستشار بوزارة المالية، وكانت اللجنة تجتمع مساء كل يوم عمل في معهد الإدارة، ومن خلال الاجتماعات تعرفت على هذه الشخصية الفذة التي جمعت بين سعة الثقافة وعمق التفكير وسمو الأخلاق، وهي شخصية الشيخ صالح الحصين الذي كان شديد التواضع، يطرح آراءه بوضوح تام، وكانت اجتماعاتنا لا تخلو من طرائف يحدثنا فيها الشيخ صالح بأسلوبه الشيق.

وبعد أن انتهينا من إعداد الأنظمة الثلاثة ولوائحها المكملة صدر الأمر الملكى بتعيين الشيخ صالح رئيساً لهيئة التأديب بمرتبة وزير، وبدأ - رحمه الله- في تأسيس الهيئة لأول مرة واختيار مقرها وموظفيها.

وأذكر أنه طلب من رؤساء هيئة التأديب وهيئة الرقابة والتحقيق وديوان الموظفين عقد مؤتمر صحفي متلفز لشرح أنظمة المؤسسات الثلاث لموظفى الدولة والميزات التى ستعود عليهم، وعقد المؤتمر فى معهد الإدارة، وفى منتصف المؤتمر الصحفى أغمى على الشيخ صالح وتوقف المؤتمر، ونقل الشيخ صالح إلى المستشفى وبعدها عدتُ، ومعالي الاستاذ عبدالوهاب عبدالواسع رئيس هيئة الرقابة والتحقيق لإكمال المؤتمر المتلفز الذى بدأ بثلاثة وانتهى باثنين.

وهذه الحادثة دلالة واضحة على مدى ابتعاد الشيخ صالح عن الأضواء وتجنبه الإعلام عن نفسه، وبعد هذه الحادثة بستة أشهر صدر الأمر الملكي بتعييننا نحن الثلاثة وزراء دولة وأعضاء في مجلس الوزراء. ولم يكن هذا التعيين سهل القبول من الشيخ صالح لا خوفاً من المسؤولية ولكن كرهاً لما يحمله المنصب من مظاهر لم يتعود عليها، وهو الذي تعود على ركوب سيارات الأجرة والتحدث مع سائقها عن أمور دينهم ودنياهم، وعارض - رحمه الله - أن تخصص له سيارة وسائق كباقي الوزراء، وكنت أمر عليه في منزله القريب من منزلي لنذهب معا إلى مجلس الوزراء خوفاً من أن يمنعه الحرس من الدخول إذا قدم بسيارة أجرة.

ولكن بعد جهد أقتنته بأنه لا يليق أن يذهب الوزير بسيارة أجرة وموظفوه يأتون بسياراتهم الخاصة، كما أن سيارات الأجرة ليست متوفرة دائماً وفي انتظار الحصول عليها مضيعة للوقت، وبعدها وافق أن تخصص له أرخص سيارة يمكن أن يركبها وزير.

معالي الأستاذ/ عبد العزيز القرشي

عن الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين - رحمه الله -

هنا نماذج لمقتبسات من الصحف وبعض المواقع الإلكترونية لمجموعة من الكتاب والشيوخ وغيرهم سجلوها كشهادات عن بعض ما وقع لهم مع الشيخ صالح الحصين رحمه الله وهي بطبيعة الحال، نماذج تعبيرية لا تفي بكل ما شهد به الناس حيال ما مر بهم من مواقف مع الشيخ صالح رحمه الله ولكنها في الوقت عينه تعكس صورة واضحة للمكانة العظيمة التي حظي بها الشيخ صالح في نفس كل من عرفه.

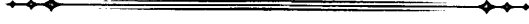
(تواصل معاليه - رحمه الله - مع الغرب فكرا وحضارة تواصل مشهودا معدودا في رواق الإيمان العميق والوسطية في التعاطي التي تعزز بالثواب وتزواج بين المتغيرات وفق مقاصد ربانية تؤمن بالعدل وتنتج الاعتدال. يدرك ذلك من سبر سيرته وتأمل مكتوبه وملفوظه عندما يتكلم عن الغرب ونظراته للحياة وكيف يتعامل - رحمه الله - مع نظريات الغرب وممارساته من صناعة الأحداث أو توظيفها، فلا غرابة في هذا النظر الثاقب والعزة الشامخة؛ فهو لم يسبقه انبهار وانجذاب بظواهر حياتهم الدنيا ولا بمظاهر تقدمهم، فقد كان يتحرك في تلك الحضارة بعينين؛ عين القدر المشفقة وعين الشرع الموازنة بوضع الأمور في نصابها).

الشيخ الدكتور صالح بن حميد

جريدة الشرق الأوسط

الأحد ١٠ رجب ١٤٣٤ هـ ١٩ مايو ٢٠١٣

العدد ١٢٥٩١



(الشيخ صالح الحصيّن رحمه الله من الشخصيات الفذة في المملكة العربية السعودية، وفي العالم الإسلامي. فقد كان عالماً بالعلوم الشرعية والعلوم المدنية، وخاصة في المجالات القانونية كما كنت أسمع عن علمه وتواضعه قبل ذلك. فقد كان مضرب الأمثال في جامعة الملك سعود عندما كنت طالبا فيها في السبعينات، وكان هو يعمل وزيرا للدولة في الحكومة السعودية ويتعجب الناس من القصص التي ظلت تروى عن تواضعه الجَم وحسن أخلاقه في تعامله مع الناس. فهو فريد في التواضع وحسن التعامل)

الدكتور عبد الله عمر نصيف



(الحديث عن الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين حديث يخرج بالمتحدث عنه والقارئ والسامع، إلى شريحة اجتماعية يندر وجود أفرادها في عالم الحقيقة والواقع ويقرب صور الحياة الخيالية إلى مجال التصديق. . . أذكر قوله رحمه الله: الناس في هذه الحياة يتعاملون معها كما لو كانت حقائق بينما هي في حكم الأوهام، ويتعاملون مع الآخرة كما لو كانت أوهاما بينما هي حقائق.

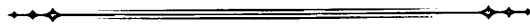
عرفته زميلا في المدرسة الابتدائية بين عامي ١٣٦٠-١٣٦٤هـ كانت يأتي معي في المدرسة في مادة الفقه بالمغني والشرح الكبير، وفي مادة التاريخ ب(البداية والنهاية) لابن

كثير وكنا لانعرف عن هذه الكتب شيئاً لا قليلا ولا كثيرا . . . كانت رسالته الجامعية العليا مؤلفا في موضوع المقارنة الشرعية في التصرفات الفضولية بين الشريعة والقانون. وهي بعنوان ((الفضالة في الإسلام) وقد أثنى عليها القانوني المشهور الدكتور عبد الرزاق السنهوري ثناء خصها به بما لم تحصل عليه رسالة أخرى مماثلة. وذكر لي معاليه أن الرسالة طبعت طبعا تقليديا على أربع نسخ: نسختان إحداها عند المشرف عليها، والأخرى في مكتبة معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية في القاهرة، والثالثة في مكتبة وزارة المالية والاقتصاد الوطني والرابعة خصني بها بعد إبحاح مني. وقد طلبت من معاليه أن يسمح لي بطباعتها لكنه رحمه الله استصغرها من أن تطبع مع أنها قمة في التحقيق والتحري والاستقصاء وابرز أفضلية التشريع الإسلامي على الأحكام القانونية. وذكر لي معاليه أن نفسه لم تطب بكتابتها حتى أتقن اللغة الفرنسية مع اللغة الإنجليزية للتمكن من الرجوع إلى المصادر القانونية بلغاتها.

وأرجو من فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح الحصين نشرها للاستفادة منها أو الإذن لي بنشرها ف فيها من اللفات الفقهية والترجيحات المبنية على دقة التعليل واكتمال الدليل ما تعتبر به من أكثر المؤلفات علما وفقها واطمئنانا).

الشيخ عبد الله بن منيع

عضو هيئة كبار العلماء



لقد كان الشيخ الحصين بمثل هذا التواضع «المعلم» لمن حوله في نهج الحياة، وفي أسلوب المعيشة ونزاهة اليد، فبينما يتسابق البيروقراطيون وذوو الجاه إلى التشبث بالرونق و«البريستيج» نجده يستكشف جوانب المتعة والتلذذ والمنطق في تبسيط أساليب الحياة، عندما يتعفف عن ركوب المقاعد الوثيرة في الرحلات الجوية، ويجد أن حافلة النقل العام بين مكة المكرمة والمدينة المنورة هي الأقرب والأسهل والأسرع زمناً للوصول بين النقطتين، وهي تصرفات لا تصدر عن بخل أو تقتير؛ لأن دروب الخير ومصارف الإحسان مفتوحة أمامه، بل هي جزء من حياته اليومية لا يدري عنها سوى أقرب الناس).

د. عبد الرحمن الشبيلي

صحيفة الشرق الأوسط

٢٦ جمادى الثاني ١٤٣٤ هـ ٦ مايو ٢٠١٣ م

العدد ١٢٥٧٨

(... في جدة جاء إليّ يوماً الأخ محمد إبراهيم نقادي وهو أحد الأصهار. وكان لدي دار على البحر. فطلب مني السماح بنزول صديق عزيز له بالدار لمدة شهرين، وأردف قائلاً إن الصديق الذي يعنيه اشترط أن يُسلم أجراً للبيت ولمدة شهر، وهو لا يعلم لمن يعود الدار، قلت للصديق النقادي: إنني لا أحب أن أقوم بتأجير بيتي لأحد، ولكن ما دام أن طالب السكن صديقاً لك؛ فإنني عن رضا أقدمه لصديقك وتم الاتفاق على ذلك. . نزل الشيخ وأسرته بالدار. . وغبت عن

جدة ما يقارب شهرين، وعلمت من الأخ النقادي أن الذي حل
 بداري الشيخ صالح الحصين، وسافر للرياض. . قمت بزيارة
 للدار بالبحر بعد وصولي بأيام. . وجدت حارس المنزل علي
 من اليمن الشقيق. . خيل إلي أن الحارس علي غير الحارس
 الذي عرفته. . على مجلس ملاصق للبحر كنت أستمع لعلي،
 وهو يتحدث في كثير من الدهشة يبدو على ملامحه بعض
 السرحان. . قلت ماذا بك؟ قال: يا عم إذا كان كبار قومكم
 على منوال ما رأيت هذا الشيخ أقول بصدق أنكم ملائكة.
 . أسرته تنام داخل الفيلا، أمّا علي فينام مع الشيخ على
 مجلس مكشوف بجوار البحر، يقضيان وقتاً من الليل، وعلى
 هذه (الدكة) ينامان، ويفطران، ويتغذيان، ويتناولان العشاء
 ثم ينامان، وعند طلائع الفجر يُصليان جماعة، ويقضيان
 ما تبقى من ساعات في أحاديث شتى، وقبل الإشراق يذهب
 الشيخ للسباحة متجاوزاً (الكسارة). . يقول علي: كنت أخاف
 عليه. . يسبح وقتاً طويلاً بالبحر ثم يعود (للدكة) ليتناولان
 طعام الإفطار، أمّا في أيام الجمع يذهبان لصلاة الجمعة،
 ثم يعودان بعدها ليبدأن أسبوعاً جديداً. . وبعد أسبوع
 تلقيت رسالة مطولة بيدي شيئاً من الأسف أنه لم يكن يعلم
 أن السكن يعود لي، وإلا لقصده دون أن يتدخل، أو يتوسط
 الصديق النقادي، ومع الرسالة هدية ثمينة قدمها إليّ)

خلف عاشور

جريدة المدينة

الأربعاء ٢٩/٠٥/٢٠١٣

(كنتُ بصحبة مجموعة من الفضلاء في مجلس لكبير مقام وتحدّث صاحب المجلس عن الشيخ الحصين وتدفتت عباراته بالمعلومات العجيبة ولم يكد يتوقف. وأتذكر من حديث صاحب المجلس الكريم موقفاً ذكر أنّه حصل مع الشيخ الحصين حين عين وزيراً في عهد الملك فيصل وكان مرتب الوزير حينها حوالي ١٢ ألف ريال وكيف أن الشيخ لما تسلم مرتبه استكثر المبلغ فأخذ منه ٣ آلاف ريال وأعاد ١٠ آلاف للملك فيصل وهو يقول ثلاثة آلاف تكفيني مقابل عملي (يزيد).

د. فايز بن عبد الله الشهري

جريدة الرياض

الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ - ٦ مايو ٢٠١٣م

العدد ١٦٣٨٧

(كنت قد كتبت تقريراً عن جنوب إفريقية والشيخ بها خبير، فدعوته ودعوت مجموعة من المهتمين على شرفه لعرض التقرير ولأستفيد من توجيهاته فوافق وحضر على الموعد بعد العشاء، فقدمتُ التقرير، وأفدت من ملحوظاته وتوجيهاته، واستفاد كل من حضر، فلما حضر العشاء لم يأكل، فعزمت عليه أن يأكل فاعتذر فلما رأى إصراري قال يا أخي لي أربعون سنة لا أتعشى حتى في المناسبات الرسمية، ولكن سأكل فاكهة إكراماً لك، فقلت له يا شيخ لو أخبرتني، لما كان عشاء

لم تكن رحلة البحث عن هذا الرجل سهلة كما توقعت، ليس ذلك لأنه شخص نكرة بين أهل المدينة المنورة، ولكن لأنه شخص لا يفقأ أعين الناس باسمه في كل مكان من صحيفة أو سقيفة! كان زاهداً في الأضواء وما تحمله كل حزمة ضوئية من ضجيج وصخب، لا يكاد ينطفئ حتى تنطفئ شمعة الإنسان المضجوج بالزحام من قبل).

زياد الدريس

المجلة العربية العدد ٣٠٠

(دعاني إلى الغداء من الغد، فأخبرته أن معي أهلي، فقال: حياك الله وإياهم، فجلست معه جلسة لا أظن أنني جلست مع غيره أحسن ولا أنفع منها، ثم خرجنا لصلاة العصر، فلما أردنا الدخول مع باب المسجد خلع نعاله فوضعها في المكان المخصص لها عند الباب، فخلعت نعالِي بجانبها، فقال: خذ نعالك، فقلت: وأنت؟، فقال: إن نعالِي مرقعة، ولن يرغب فيه أحد، أما أنت فأخشى أن تسرق نعالك).

الشيخ عبد السلام بن إبراهيم الحصين

نقلا عن موقعه الإلكتروني

حدثني أحد من عمل معه في مؤسسة طبية خيرية أن الشيخ اتفق وزوجه ألا يدخرا مالا وألا يستثمرا ريالاً ولذا فإن مال الشيخ ينتهي بنهاية الشهر وياله من استثمار أخروي. وحدثني

حفيده أنه يرى مع جده كتباً يقرأها ثم لا يجدها في مكتبته الصغيرة بعد ذلك، ولا تفسير عندي إلا أنه يهبها، وكم من خازن للكتب لا هو قرأها ولا نفع بها غيره. وأخبرني أحد المشايخ أن الشيخ كانت له حقوق مالية من مناقشات علمية في جامعة الإمام، فاتصل بالشيخ يسأله عن رقم الحساب ليودع المبالغ فيها، فقال الشيخ: تبرع بها! فأجابته: أن هذا لا يمكن نظاماً! ثم صمت الشيخ برهة، وقال: أودعها في الحساب الفلاني باسمي وهو وما فيه كله للعمل الخيري.

أحمد بن عبد المحسن العساف

نقلا عن موقع (صيد الفوائد)

كان الشيخ صالح الحصين يطوف على الدول الإفريقية بنفسه وينفذ المشاريع بماله وإذا نزل بلدا حرص أن ينزل عند أحد الدعاة بدلا من الفندق وحدثني الشيخ عبد الله المسفر أن الشيخ صالح الحصين اتصل به وطلب منه أن يكلف أحد الدعاة باستقباله في أحد مطارات الدول الإفريقية فعلم الداعية وبلغ بقية الدعاة أن يقوموا بواجب الشيخ وذهبوا ينتظرونه في صالة كبار الضيوف ولكنهم لم يعثروا على الشيخ صالح الحصين وبعد وقت علموا أن الشيخ صالح الحصين قد نزل مع سائر الناس وجلس في صالة المطار بثوب باكستاني ينتظرهم. فاعتذروا للشيخ عن تأخرهم وبينوا له أنهم ظنوه في صالة كبار الضيوف. وأخبروه أنهم

حجزوا له في فندق فخم فأبى وقال للداعية بل أسكن معك إن لم يكن عليك حرج. وفرح به الداعية. وكانت عادته أن يتجنب سكنى الفنادق ما استطاع وينزل عند الدعاة ويعطيهم الأجرة ليستعينوا بها على حوائجهم)

الشيخ محمد الخضير

حين أستحضر سيرة الشيخ صالح الحصين أتذكر قول الله:
تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض
ولا فساداً والعاقبة للمتقين) اللهم أحسن وفادته)

د. عبد الله العسكر

عندما يتحدث العارفون بالشيخ صالح الحصين عنه فإنهم
يبعثون الهمم ويحيون الأمل بأن أمة محمد ولود وأن الخير باق
فيها ودائم.)

د. إبراهيم الزيد

لطالما كان يقول لأمه رحمها
(يمه تجيني الدنيا وأنا أنفضها عن حجري)

ياسر السحيباني

في مدرسة صالح الحصين ستتعلم أن (البريستيج) الحقيقي أن تكون «أنت كما أنت»، فالمناصب التي تقلدها والعلاقات الرهيبة التي امتلكها لم تغير من شيخنا الجليل ولم تفقده نفسه، فمعالي الوزير لا يلبس المشلح إلا نادراً، ورئيس شعبة الخبراء لم يكن يتعامل مع الناس بدونية بحجة فارق الخبرة، وقد كان رحمه الله يرسل مقالاته لأناس في عمر أحفاده ليستشيرهم فيها. في مدرسة صالح الحصين ستتعلم «الزهد» الذي لا نشاهده إلا في الكتب، فرئيس الحرمين الشريفين يمشي وحده في الحرم ويصلي مع الناس في أي مكان، ويسكن في شقة متواضعة تسكنها عادة الطبقات دون المتوسطة، ويسكب القهوة والشاي لضيوفه الذين هم دونه في السن والفضل والعلم والمكانة، ويشعرهم بسروره لأنه يخدمهم، فالحياة الفارحة - التي كان يقدر عليها - مصطلح لا تجده في قاموس الشيخ الحصين، وعبقه مازال يفوح في سيارات الأجرة التي كان يركبها على الدوام. في مدرسة صالح الحصين تتعلم ثقافة «التنوع»، فشهادة الشريعة من مكة لم تمنعه من ماجستير القانون في مصر، ورحلة الدكتوراة الفرنسية تعطلت لظروف والدته رحمها الله، ولغته العربية التي كان يفاخر بها لم تعقه عن إتقان الإنجليزية والفرنسية، والانفتاح العظيم على الثقافات الأخرى لم يستأصله من جذوره الإسلامية).

عبد الله المديفر

صحيفة اليوم ٧ / ٥ / ٢٠١٣م

(في الاحتفالات الرسمية يطلب مني أن لا أقول معالي الشيخ ولا أثني عليه وقد طلب من الشيخ عبد الحميد الزامل أن لا يثني عليه أحد ولا يشار إليه أنه راعي الحفل أما زهده فحدث ولا حرج فهو آية من الآيات ولعل من رافقه يعرفه).

الدكتور فهد السنيدي

تويتر

(من خلال لقاءاتي بفضيلة الشيخ صالح الحصين؛ إبان الاستعداد لبرنامج الشخصيات الإيجابية، رصدت عددا من الصفات، واستمعت لعدد من الأفكار لاحظت أن الشيخ صالح الحصين يتميز بالموسوعية العلمية، مع العمق في التفكير، وحسن استظهار المسائل، والحرص على التصور الصحيح للقضايا).

د. عبد العزيز الأحمد

(والمأمل في سيرة الشيخ -رحمه الله رحمة واسعة- يجد أنه هُيأ لمثل هذه النجاحات العديدة على تلك الأصعدة، سيما صعيد مسيرة العمل الخيري وعلى الأخص في مجال الوقف الذي برز فيه رحمه الله واستطاع أن يساهم بإنشاء مؤسسة خيرية باسم «مؤسسة الوقف» تسنم الشيخ رئاسة مجلس

أمناء المؤسسة، والتي كان ولا يزال لها دورها البارز في
العناية بهذا المجال الإسلامي المهم)

محمد خضر الشريف

موقع مداد الإلكتروني

عالم زاهد، ورع لا يطلب منصباً، ولا ينشد جاهاً، ولا يبتغي
مالاً جاءته الدنيا راغمة فرفضها وصيرها في سبيل الله،
وطريقاً لنفع عباد الله يتحرى من عمله وقوله السنن ويتبع
الأثر، ويجنح للأيسر. إذا قرأت كتاباته تعرف شخصيته
وتشعر وكأنك تتلقى المعلومة الصحيحة من مصدرها،
إنه مدرسة في نفع الناس والإحسان إليهم. . . طال خبره
البعيد والقريب، وأجمع من عرفوه عن قرب سواء بأن من
طبعه الهدوء والجنوح إلى الصمت، وغالباً ما يحتفظ بآرائه
ليبديها عند الطلب والحديث عن الشيخ صالح هو حديث
عن شخصية ذات نسيج مختلف يرى أن العمل الخيري
والاجتماعي والإنساني أكثر إمتاعاً له من الوظيفة)

الشيخ محمد أحمد المنصوري

نائب الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام سابقاً

صحيفة المدينة - ٢٠١٣/٥/٥م

(عُرف عن الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين علمه
الواسع وثقافته التي تتجاوز الحدود، وعندما تستمع إليه لأول

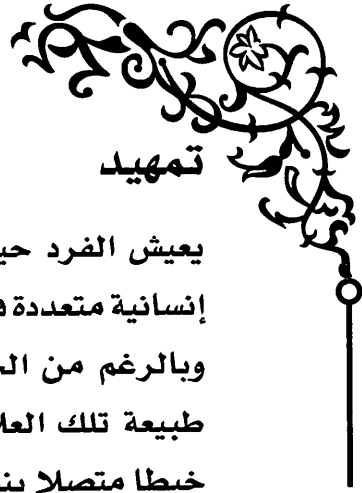
الفصل الثاني



هُويَّةُ الزهد

في حياة الشيخ صالح الحصين





يعيش الفرد حياته العامة والخاصة من خلال علاقات إنسانية متعددة في محيطه العائلي والمجتمعي والإنساني. وبالرغم من الخطوط التي يضعها بعضهم في تحديد طبيعة تلك العلاقات من خلال دوائر ثلاث إلا أن ثمة خيطا متصلا ينظم تلك الدوائر ويشدها إلى مركز واحد؛ ذلك الخيط هو الطبيعة التي تصدر عنها مفردات تلك العلاقات، والهوية الشخصية التي تنعكس بمستوى واحد من الاتساق عبر تلك الدوائر الثلاث. وهكذا وضمن هذه الأطر الثلاثة فإن ما يمنح الفرد اتساقه الأخلاقي لا يتصل في الغالب بفكرة الناس عنه، بل يتصل بالأساس بفكرته ورؤيته لنفسه والتصالح معها، والقدرة على استقطاب تناقضاتها بمثال سلوكي يتفاعل مع تلك الدوائر ليمنحها طابعا خاصا، وسمتا ذاتيا.

ذلك أن فكرة الفرد عن نفسه أهم بكثير من فكرة الناس عنه. فإذا كان الفرد عارفاً قدر نفسه، ومحترماً لها بتعهد فضائلها، والصبر على ترتيب علاقاتها وفق ذلك الاحترام فإن ذلك أهم بكثير من فكرة الناس عنه. إن ما يمنح الفرد قدرة على أن يكون كما هو بلا تناقضات، لا يكمن في الأشياء التي من حوله كالجمال والمنصب، والنسب، ولا في ما يبذله من رغبة في التشوف إلى الآخرين بحثاً عن صورة حسنة بينهم؛ بل يكمن في الأساس في قدرته المستمرة على الاتساق مع ما يؤمن به من أفكار، وتحديه المستمر لنفي التجاذبات التي توهم بالتناقض. بالإضافة إلى القناعة التي تضعه أمام حقيقته البسيطة في مختلف أحواله.

صحيح أن حيازة اتساق أخلاقي أحياناً يهبها الله لبعض الناس من أولي الحظ العظيم. لكنها لكي تصبح حالة وعلامة على فرد بعينه من ناحية، وهوية دالة عليه، ولكي تعكس معنى عاماً لذلك الفرد من خلال مكانة مرموقة في الحياة والمجتمع، والوظيفة من ناحية ثانية؛ لا بد أن تكون هناك بعض الدلالات العميقة لتلك الحالة. أي بوجود مبررات معرفية وسلوكية يمكن رصدها في حال استقراء أحوال ذلك الشخص وصفاته الذي أمكنه استقطاب تناقضاتها في مجمل علاقاته السلوكية؛ وبهذا المعنى فإن ملاحظة اتساق الفكر بالسلوك في ممارسات الشخص تنطوي على تفاعل إنساني نبيل، ولا تأخذ سمتها المثالي، ودلالاتها الكاملة إلا من خلال خلفية معرفية عميقة لهوية الزهد في وعي ذلك الشخص، أي بوصفه علماً وسلوكاً، وحالة من التماهي المستمر تطبع ذلك التوازن والتفاعل في مواقف الفرد الممتازة حيال ضميره وحقيقته؛ سواء مع الذات أم مع الآخر. وهذا ماجسده الشيخ صالح الحصين في مجمل سيرته الأخلاقية والسلوكية العطرة.



إن الاتساق الأخلاقي والسلوكي كهوية للزهد في الفضاء العام: مثل علاقات المجتمع، والعمل، حين يأخذ طابعا منتشرا بين الناس، ويصل بالفرد إلى مرتبة المرجعية الأخلاقية للمجتمع عندها يكون بالضرورة هذا الاتساق ثمرة ناشجة لفاعلية العلم والعمل، أي ذلك التفاعل الخلاق بين العلم كمنظومة معرفية متصلة بمراقبة السلوك الأخلاقي، ومحددة لمساره الإيجابي، و السلوك بوصفه نتيجة لذلك الوعي الأخلاقي.

ولعل من أبرز علامات انتشار السمعة الأخلاقية الحميدة تكمن في ذلك السحر الذاتي لهوية الزهد في السلوك الأخلاقي، فهو سحر جبلت النفس البشرية على تمجيده من ناحية، وهو أيضا معنى جميل وقابل للتعلم من جميع البشر.

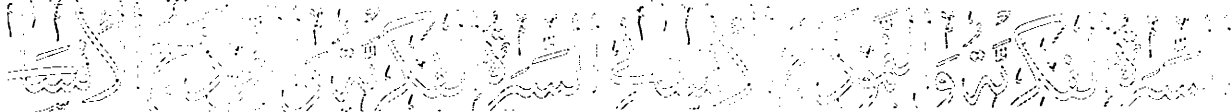
هكذا يمنح الاتساق الأخلاقي صاحبه دلالة إنسانية عميقة. ذلك أن السلوك الأخلاقي النابع من وعي عميق بالذات، وبالمعنى، وباحترام إنسانية الإنسان، لا يحصر معاملته وفق مجالات فتوية أو اعتبارية أو قرابية. فمن خلال هذه التحديدات سيأتي السلوك مبررا بجمله من الاعتبارات النفعية، ومن ثم يفقد طابعه الإنساني والأخلاقي والديني. أما حين يتجلى السلوك الأخلاقي متوافقا مع جميع الفئات والمستويات في مجال الحياة العامة، وينعكس بمستوى واحد من الدلالة على الجميع؛ عند ذلك يكشف عن مغزاه العام وعن منبعه الصادق في النفس، وعن حقيقته الإنسانية العابرة لمواضع المجتمع وتراتبية المكانة التي تمنحها السلطة أو الوظيفة. لهذا السبب كان الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، يحب الجلوس في مكان يراه الجميع، ولا يحيط نفسه بأية صفة استثنائية.

فقد تواتر الحديث عن طبيعة تعامله مع المكانة التي تمنحها له الدولة لاسيما عندما كان رئيسا لشؤون الحرمين، إذ كان الشيخ صالح

يصر على أن يجلس في مكان العامة، حتى في الجلسات التي تجتمع مع الملك أو مع كبار المسؤولين في الحرم المكي. وكان احتجاجه النبيل على مكانه العام مبررا بحاجة الجميع إليه. لقد كان الشيخ صالح الحصين بذلك الموقف المتواضع والكاشف عن اتساقه الأخلاقي يعيد تعريفا غائبا للمسؤولية العامة. فهو كان يعرف أن حقيقة جلوسه في مكانه المعتاد الذي يمكن أن يجلس فيه أي شخص عادي تعتبر جزءاً من مهام وظيفته في الشأن العام من ناحية، وكذلك استجابة لاتساقه الأخلاقي من ناحية ثانية.

ومن خلال هذا الوعي الذي ينفي أوهام المكانة والوظيفة والسلطة، وما تؤدي إليه من سيمياء الكبر لدى الكثيرين، كان الشيخ صالح الحصين يجعل من الاستثناء ممكناً، ويذكر الناس بأصل التواضع وضرورته للشخصية العامة ذات المكانة والسلطة والوظيفة.

إن تلازم فكرة خدمة الناس التي تقتضيها المكانة العامة مع التواضع هي جوهر الاتساق الأخلاقي لصاحب الشخصية الاعتبارية، وهي كذلك - ربما - الغائب الأكبر عن استحقاقات الشخصية الاعتبارية لدى الكثيرين من أصحاب المكانة والسلطة. وفي هذا المعنى كتب الدكتور عبد الرحمن الوابل في مقاله مهمة له بصحيفة الشرق عن الشيخ صالح الحصين قائلاً: (أجادل بأن المجد الشعبي للشيخ صالح نابع من قدرته على تقديم شاهد حي معاش لإمكانية نجاح ثبات ومقاومة قيمتي النزاهة والتواضع الممجدتين في سياقنا الأخلاقي في وجه محاولات تجريفهما على أيدي النسق السلوكي المرتبط ذهنياً بالنجاح المهني. تتمحور سيرة الشيخ صالح، المتداولة بين الناس والصانعة لمجده، حول رجل لم تغره المناصب الرسمية فثبت على بساطته وتواضعه ونزاهته).



الاتساق الأخلاقي كهوية للذات

قبل أن يكون الاتساق الأخلاقي علامة منتشرة بين الناس ودالة على صاحبه، يظل قبل ذلك وبعده، جزءاً من هوية الذات. وبما أن الهوية هي كالبصمة في الدلالة على صاحبها فإن الاتساق الأخلاقي ينبثق أساساً من حساسية الذات تجاه نفسها، ومن إصرارها على جعل السوية الأخلاقية سلوكاً متجدداً ومتجلياً أمام جميع الناس، وبطبيعة الحال تنطوي مثل هذه الحساسية على تمرين طويل، وصبر شديد، ومراقبة دائمة لتلك السوية الأخلاقية

ذلك أن ما يمنح الذات طابعها الخاص، وسمتها الشخصي، لا يأتي من خلال التصنع والتكلف أمام الناس؛ بل ينبع في الأساس كانبثاق تلقائي للسلوك، وسجية طبيعية للتعامل مع البشر بوصفهم مستحقين لذلك السلوك في مختلف هيئاتهم وفتاتهم. ولهذا فإن النموذج الإنساني للشخص المتسق أخلاقياً لا يصبح كذلك إلا بتحقيقه لتلك الحالة العامة من التعامل مع الآخرين بصدق.

فحالة الصدق مع النفس، والتواضع للناس والنظر إليهم بمقياس الأخلاق، لا المنفعة هي التي تمنح صاحبها إجماعاً عاماً من قبل الآخرين، وقبولاً متفقاً عليه بينهم. بحيث يبدو أن هناك علاقة شرطية بين القبول العام، والصدق مع النفس فلن يكون مقبولاً بين الناس من فرق بينهم في بذل أخلاق النفس حيال التعامل معهم والاختلاط بهم، أو من صانعهم وتكلف لهم فيما هو يضرهم غير ذلك.

فالتصالح مع النفس ينفي التصنع والتكلف تماماً، وهو حالة تقتضي من صاحبها صبراً واحتمالاً. فليس سهلاً أن يكون الإنسان متسقاً مع ذاته،



ولا يتأتى له ذلك من مجرد الرغبة أو الأمانى، بل هي حالة تقتضي من صاحبها أن يفوص عميقا في حقيقة نفسه، وأن يتجرد عن الزيف بكل صدق، وأن يقبل أذى الناس بصبر وحلم.

السمات العامة للتصالح مع الذات

القدوة

من يتصالح مع ذاته يجد نفسه بالضرورة في دائرة اهتمام الآخرين لناحية تقديرهم وإعجابهم بما ينعكس عليهم من حسن سلوكه، وما ينتقل إليهم من أحاسيسه الصادقة التي تتجلى في ذلك السلوك. وهنا يمكننا أن نجد سمة (القدوة) كحالة شرطية تقترب بالشخص الذي يتصالح مع ذاته. ذلك أن انعكاس السلوك الصالح في نفوس الآخرين يحدث بالضرورة شائعة بينهم لذلك الجمال الأخلاقي الذي يجذبه في صاحبه، ومن هنا تبدو فكرة الاقتداء به سهلة للآخرين. فالتعريف الذي تمنحه الخصال الحميدة لصاحبها أقوى وأكثر حكمة من أي تعريف شفهي آخر من ناحية، وهو كذلك من ناحية أخرى تعريف يخترق جميع الأجناس الأخرى لكونه سلوكا قابلا للرصد والاتباع أكثر من كونه كلاما قد يفهمه بعضهم لغويا دون الآخرين.

سعة الأفق

ذلك أن من يتصالح مع ذاته، أولا سيكون متصالحا مع الآخرين بالضرورة، ما يعني أن قبول الآخرين وتفهمهم يجعل من صاحب ذلك القبول شخصا ذا أفق واسع. ومن هنا فإن سعة الأفق هي أيضا سمة أخرى من سمات التصالح مع النفس، وهي صفة تمنح صاحبها طاقة أكبر على

إعادة تعريف نفسه باستمرار. لأن جزءاً من شرط التعرف على الذات يكمن في إدراكها من خلال الاحتكاك بالآخرين. فمن عاش في دائرة ضيقة لا يستطيع أن يخرج منها أبداً. والانغلاق في الإحساس الوهمي بالذات يمنع صاحبه من القدرة على تقبل الآخرين، ومن ثم عدم قدرته على معرفة نفسه بذلك الشرط الذي يعيد تعريفها عبر الاحتكاك مع الآخرين.

التواضع

يمنح التصالح مع النفس صاحبه معرفة ضرورية بقدره، ويجعله باستمرار أمام مساءلة الذات بوصفها شخصية عادية ترى نفسها دائماً في حدود البشر، وطبيعتهم وتقيس قدرها بأقذارهم، فلا تتعالى عليهم، ولا تجد في ذاتها قيمة مضافة على الآخرين. وهذا تحديداً ما يمنحها سمة التواضع التي تجعلها باستمرار في تماهٍ مع الآخرين، وقدرة على تقبلهم وتفهيم تنوعهم واختلافهم ضمن اختلاف النوع و الدرجة. ومن شأن التواضع أن يكشف للذات الكثير من حيل الزيف، ويجعلها قادرة على قمع تلك الأحاسيس الكاذبة بالتجرد منها، واتهام النفس لا الآخرين، حيال كل محاسبة أو موقف يستدعي إنصافاً للآخرين على حساب الذات. وتحمل جهل الآخرين بصدور رحب وصبر جميل.

وهكذا يعكس التصالح مع الذات جملة من الأخلاق الضرورية والصفات المنعكسة كدلالة على صاحبها، بطريقة أقرب إلى الانطباق في تعدية صفاتها في كل نموذج إنساني للتصالح مع الذات. فالمعاني والقيم التي تمنح الذات اتساقها الأخلاقي هنا أشبه بالقوانين والسنن التي يتعرف عليها الفرد عبر العلم والسلوك الأخلاقيين، فهي تجربة تحمل طابعا مشتركا في صفات أفرادها.

ذلك أن القيم الإنسانية التي يستند عليها مفهوم التصالح مع الذات تقوم على الجذر الأخلاقي المنبثق عن الفطرة، والمتصل بالمعنى الإنساني للأخلاق. فقيم الصدق والنزاهة، والاستقامة، والإيمان كلها قيم تمنح مصاديقها في الذات الإنسانية التي تتخلق بها، وتتصف بمعانيها. لكنها في الوقت نفسه لا تنعكس في نفس صاحبها، ولا تترسخ بمجرد الرغبة، بل تكتسب اكتساباً في مواقف الابتلاء وتلحق بصاحبها حين ينجح في تجاوز الاختبار الذي ينشأ من تجاذبات الإغراء والتمنع في مواقف الحياة العامة كالمنصب، والمال، والسلطة في سياقات تقتضي قوة في الإرادة وتأملاً في النزاهة، لخلق علاقة سوية بين مقتضيات الأخلاق والقيم في ممارسات الوظيفة والسلطة، وضرورات الزهد والحذر من تداعيات الإغراء والميل إلى المنزلقات الممكنة أثناء ممارستها. ذلك أن التصالح مع الذات لا يمكن تصوره بمعزل عن مواجهة الاختبار الذي يكشف معدن الشخص ويمتحن قدرته على كف الفرائز والميول والرغبات حين يكون تحقيقها متاحاً له وممكناً.

وهكذا إذا كانت صفة التواضع قابلة للتمثل على مستوى العلاقة الفردية للذات، وضمن احتكاكها مع الآخرين، فإن صفة النزاهة يقتضي تحققها في تلك الذات تجريبياً وامتحاناً في مواقف المسؤولية التي تضع أمام صاحبها استحقاقات أخلاقية متصلة بالوظيفة العامة، والسلطة على الآخرين، والمكانة الرسمية، وهي استحقاقات تتجلى فيها النزاهة عبر الاختبار، وتظهر من خلال مواقف يمكن من خلالها اعتبار أحكام القيمة سلباً أم إيجاباً على سلوك النزاهة، بحيث يمنح التفوق الإيجابي فيها للفرد قيماً مرجعية في الفضاء العام. ويدرجه في مصاف رمزية قابلة للتمثل والاحتذاء.

ولعل هذا أيضا ما أشار إليه الدكتور عبد الرحمن الوابل في مقاله القيم عن الشيخ صالح الحصين بصحيفة الشرق تحت عنوان: (لماذا استحال الشيخ صالح الحصين رمزا مجتمعيًا). ففي نظر الكاتب أن حياة الشيخ صالح الحصين لقيمتي التواضع والنزاهة هي ما أدى إلى (تحول الحصين رمزا دلالة على القلق المجتمعي على قيمتي النزاهة والتواضع ومحاولة لصيانتها والمحافظة عليهما بإعلاء شأن من يقدم أنموذجا عمليا على إمكانية المحافظة عليهما برغم كل المغريات).

الزهد كمرجعية للتصالح مع الذات

يتميز الزهد في التصور الإسلامي كمرجعية للتقليل من الدنيا، والإقبال على الآخرة. وهو بهذا المعنى لا يعتبر حالة تغري بالانفصال والعزلة عن مجريات الحياة بقدر ما يعني اختبار مغريات الحياة مع القدرة على صناعة ميل إرادي عنها، واحتساب أجر ذلك الحياء عن المغريات في سبيل الله سبحانه وتعالى. وهكذا يصبح الزهد الإطار الناظم والمفسر لمجمل المواقف المتصلة بالقيم العملية الأخرى للتصالح مع الذات كقيمة التواضع، والنزاهة، وغيرها. فإذا أمكن للشخص أن يكون متواضعا فهذه سمة إنسانية مشتركة، وكذلك النزاهة. أما أن ترتبط السماتان من خلال منهجية الزهد في التصور الإسلامي فهذا سيمنح صاحبها حالة متفردة من ذلك التصالح مع الذات. فمعنى الزهد بوصفه تطبيقا للمقولة الشهيرة لحال الزاهد بحيث (لا يرد موجودا، ولا يطلب مفقودا)⁽¹⁾ ومن خلال هاتين السمتين تتكشف منظومة من القيم والمواقف والسلوكيات للفرد الزاهد.

(1) بحسب عبارات الشيخ صالح نفسه في تعريفه للزهد، خلال مقابلة له مع الأستاذ زياد الدريس.

فمن سمات الزهد وفق هذا التصور أن يجعل من خطوط الحياة الإنسانية للفرد خطوطا متناغمة، وليست متقابلة، فالزاهد بشفافيته العابدة لا يجعل خطوط حياته متقابلة أو خاضعة للتناقض الذي يفترضه بعضهم بين الذاتي والموضوعي، أو الخاص والعام، أو الشخصي، والمشترك، وما إلى ذلك من تلك الثنائيات. ولا نعني بطرح الخطوط المتقابلة في معاشة الزهد أن لا يضع الفرد حدودا لطبيعة علاقته الخاصة، وعلاقاته العامة، بل نعني رفع التناقض، وتسوية الإحساس الإنساني في التعامل مع الآخرين بدرجة واحدة من التخلق النبيل، والسلوك الجميل. هذا يعني طرح النظر لتلك المعايير التي يتوهمها البشر أو يسبغونها على الآخرين من خلال الهيئة، أو اللباس، أو اللون، أو ما سوى ذلك من شكلانية الآخر ومظاهره؛ فتلك المعايير التي يفترضها البشر ويخضعون لمغرياتها الصورية مركوزة في طباعهم، إلى درجة يصعب مقاومتها أحيانا، لهذا حين يمارس الزاهد ما هو نقيضها وفق رؤيته إنما يمارس قمعا متواصلًا لغريزة طبيعية بإرادة معنوية وسلوك تربوي مكتسب، يجعله أكثر إنسانية وأقرب إلى ذاته وضميره.

إن حالة الزهد في إطارها الناظم لعملية التصالح مع الذات تذهب بصاحبها إلى آفاق لا متناهية من اللطف، والجمال، والإنسانية، وتبلغ به حالات من التحمل والصبر قد تصل إلى حدود المعجزة البشرية. فالزهد بطبيعته التعبدية يمنح صاحبه مسارا موصولًا مدى حياته أي تلك القدرة على الاحتفاظ بمعنوياته الأخلاقية المحتسبة في سبيل الله، لقاء تحمله لمتطلبات التصالح مع الذات مع مختلف النماذج الإنسانية من ناحية، وفي كل الأحوال من ناحية ثانية، وفي كل مراحل العمر من ناحية ثالثة. ولعل هذا ما يفسر لنا الكثير مما يرويه الناس عن الشيخ صالح، فهو مثلا (لم



يكن ينام إلا على الفراش المطروح على الأرض) وهو أيضا (في أسفاره يبتعد عن المظاهر، ويتنقل بالدرجة السياحية، ولا يكلف أحداً بمرافقته أو خدمته أو استقباله) أي لقد ظل على هذه الحال حتى في مرحلة متقدمة من العمر. ولاسيما وأن مرحلة الشيخوخة بطبيعتها تحتاج إلى العناية من طرف الآخرين، لكن حين يعيشها الفرد متصالحا مع نفسه في إطار من حالة الزهد لا يجد حرجا في أن يكون كما هو، لأن رؤيته الزاهدة تعينه على تحمل مشاق نفسه وأعبائها وتعفيه من تكليف الآخرين.

هكذا ترتبط منهجية الزهد بما هو أعمق من مجرد التصالح مع الذات، لتتحو إلى مصاف متقدمة تضع صاحبها باستمرار في مواجهة اختبار أحوال الدنيا من موقع الإغراء المستمر، فليس زاهداً من لم يجد مالا أصلا، وليس زاهداً من لم يتقلد منصبا يعرضه لمغريات وتجاذبات مستمرة بين هوى النفس وبين ما هو متاح لذلك الهوى في إمكانات المنصب الذي بين يديه. إن الزاهد هو ذلك الشخص الذي يرى حقائق الأشياء من وراء مظاهرها، ويختبر قيمة المعنى في أقصى تمثلاته اتساقا مع حقيقته، فهو ينصرف باستمرار عن الجاذبية المباشرة ليصل إلى إرادته التي تمنحه انتصارا عزيزا يجعل نفسه محكومة بما يريده هو بالمعرفة والصبر، لاما تريده هي بالشهوة والغريزة.

وفي هذه القصة التي وقعت للدكتور عبد اللطيف بن محمد الحميد مع الشيخ صالح الحصين ما يكشف عن هذه المعاني: يقول (قابلت الشيخ -رحمه الله- بعد خروجه من صلاة العشاء في الحرم المكي من جهة باب الملك عبد العزيز فسلمت عليه وأمسكت بيده وأمسك بيدي وقلت له سأرافك في طريقك فلم يطلق يده ولم أطلق يدي حتى بدا التعرق فيهما، وسلطنا طريقنا جنوباً باتجاه أجياد ثم ارتفعنا إلى اليسار جهة جبل

المصافي، وأخذنا يمناً ويسرة في ارتفاع الجبل ودخلنا في حارة يقطنها البخاريون. . وعلمت من خلال الحديث بيننا أننا باتجاه منزله. وفي كل مرة يقول لا تتعب فأنا متعود على الذهاب والإياب في هذا الطريق الوعر المتعرج الذي تتسرب المياه في وسطه. ولكنني كنت مستمتعاً بالصحبة وبالحديث وبالرغبة في اكتشاف جوانب من حياة هذا الزاهد. . ومما قال: لي إنني لم أمتلك سيارة قط وأن الرياضة خير معين للإنسان. . وعندما وصلنا إلى باب العمارة أعلى الجبل التي فيها شقته قال لي: إن «أم عبد الله» غير موجودة الآن فإن شئت الدخول نصلح الشاي والعشاء سوياً فمرحباً بك وإن شئت العودة فما رأيك أن أرافقك في العودة. فشكرته ودعوت له وعدت أدراجي مذهولاً بهذا الزهد في الدنيا - فهو الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي - ويسكن في أعلى جبل شاهق يبعد أكثر من نصف كيلومتر عن الحرم وفي حارة شعبية، والله لو عرفه أهل الحي لكان الخوف عليه من أمرين: أن يعرف منزلته ومكانته وعلمه ومنصبه وزهده وتواضعه فيتخذ ولياً، أو أن يطمع فيه أحد من ضعاف النفوس. . وتمنيت لو كان منزله على مشارف الحرم أو في جناح من مقر عمله في أجياد، وأدركت أن ذلك من قدرته الفائقة على إخفاء أحواله الشخصية والإمعان في الزهد وطلب الثواب).^(١)

فمن خلال هذه القصة نكتشف العديد من المفاجآت مع راويها. ولعل أبرز ما في هذه القصة هو أن أحوال الزهد التي تعكسها حياة الشيخ، ومنها طبيعة المنزل الذي يعيش فيه وهو عبارة عن شقة متواضعة تكشف عن نفسها بنفسها، فالمفاجأة عادة ما تصيب الراوي حين يفترض نسبة

(١) صحيفة الجزيرة / تاريخ السبت ٢٢ رجب ١٤٢٤ العدد ١٤٨٥٦ مقال: (العلم والزهد والتواضع في سيرة الشيخ صالح الحصين) للدكتور عبد اللطيف بن محمد الحميد.



وتناسبا بين المنزلة السامية للشيخ صالح في رئاسة شؤون الحرمين الشريفين و ما يليق بالمكانة الوظيفية من سكن مرموق لمسؤول كبير؛ فيجد نفسه أمام مفارقة عجيبة: شقة صغيرة في حي شعبي تقريبا، وعلى مكان وعر من ناحية، وإحساس طبيعي بقبول صاحب تلك المنزلة بما هو عليه من الحال، بل وبغبطة وسعادة لا تعكس إلا المعنى الأعظم لجوار الله كيفما كان ذلك الجوار وهنا سنجد أن الزهد وحده هو الذي يمكن أن يعكس هذه الحال، والزاهد وحده من له القدرة على استقطاب التناقضات الكثيرة وكسر الروتين المتوهم لدى الناس حيال تصورات النسبة والتناسب في النظر إلى أصحاب الوظائف العليا في الدولة ومكانتهم الاجتماعية من ناحية، وبين أحوالهم المتصلة بالمسكن ووسائل العيش والتنقل من ناحية ثانية.

إن هذه القصة من ناحية ثانية تكشف لنا من خلال الحوار بين الشيخ صالح والدكتور عبد اللطيف الحميد سمنا للتواضع، واختيارا للصبر، ودعوة للسماحة والكرم. فمناسبة حديث الشيخ حول عدم امتلاكه للسيارة اقتضتها حالة المسير على القدمين لأكثر من نصف كيلو على جبل وعر، فكان ذلك سببا واضحا ووجيها لكي يبوح لمحاوره بتلك الحقيقة، أما صبره فلا يتجلى فقط من خلال قطع تلك المسافة الوعرة فحسب، بل وكذلك من خلال مرحلة العمر المتقدمة التي كان فيها وهو على تلك الحال من الصبر والمشي. أما السماحة فكانت كذلك في دعوة الشيخ صالح للدكتور الحميد إلى العشاء معه وكانت دعوته تلك أكثر من طبيعية عندما علل الشيخ لضيافته: قيامه بنفسه لإعداد العشاء والشاي، نظرا لغياب زوجته أم عبد الله. كما يبدو لنا أن خيار الشيخ في رغبته العودة مع ضيفه مرة أخرى على الطريق الوعر، خيارا كاشفا لمعنى الزهد

بوصفه رغبة دائمة ومتجددة في الصبر على طباع النفس.

علامات القبول

يرتبط القبول بظاهرة الحب الذي يسبغه الناس على فرد ما لأسباب شبه عفوية تقريبا. فأن يحب الناس فردا بطريقة عفوية فذلك يعني قبولا لهذا الشخص. لكن هذا القبول هو أيضا ظاهرة إنسانية، تعرفها كثير من المجتمعات في مختلف أديانها. هذا يعني أن هناك حدا أدنى يجمع بين أصحاب القبول. أو ما يعرف بـ(الكاريزما) وهو الاتساق الأخلاقي، الذي بطبيعة الحال لا يعني اتساقا مضطربا في كل الأحوال، بقدر ما يعني اتساقا في مجملها أي تلك القدرة الفائقة على تغليب التسوية بين القول والفعل، والوقوف في الموقف الصحيح الذي يمليه الضمير والقيم.

وهذه الحالة العامة في الحياة الإنسانية لسيماء القبول نابعة من الطبيعة الأخلاقية للإنسان؛ فالإنسان في جوهره كائن أخلاقي أي أن مواقفه في الحياة تحمل طابعا للخير والشر، من خلال أفعال إرادية واعية. والكينونة الأخلاقية للإنسان هنا في معناها العام تحتل كلا من أخلاقيات الخير، وأخلاقيات الشر. لهذا فإن الشخص الذي يتسم بالاتساق الأخلاقي هو الذي يمنح ذاته ذلك الحب للآخرين، فالناس مفضولة على حب رؤية الخير في أخلاق البشر. وإذا ما صاحب ذلك الاتساق الأخلاقي وعي معرفي عميق بحساسية الموقف الأخلاقي في الحياة الإنسانية ومواقفها فإن صورته ستعكس بالضرورة في سياق أكثر انتشارا من مجرد شخص ذي اتساق أخلاقي إلى شخص يرتقي إلى منزلة يكون فيها قدوة للناس. فبالمعرفة يستطيع الفرد أن يتبوأ مكانه في الحياة العامة؛ سواء في السياسة أم في العلم أم في غيرهما.



إن راحة الضمير التي هي حالة مصاحبة للشخص ذي الاتساق الأخلاقي هي التي تمنحه صفاء ورحابة في سعة الصدر، وقدرة على رؤية الأشياء بلا تشويش، وتوحد طاقاته الإيجابية ضمن منظومة متصالحة من المشاعر والانفعالات والعواطف التي تعكس باستمرار أثراً طيباً في نفوس الآخرين.

فثمة علاقة جدلية متفاعلة بين الاتساق الأخلاقي وبين سعة الصدر وأخلاق المرءة كالحلم، والعفو، والحكمة وغيرها.

بيد أن أخلاقيات الزهد الإسلامي تحمل قيمة مضافة لخاصية الاتساق الأخلاقي فهي إلى الجانب الإنساني المشترك في سمة الكاريزما تجعل صاحبها أكثر قدرة على تجديد أخلاقياته، ورفع طاقتها إلى حدود المعجزات الصغيرة؛ كحالة الشيخ صالح الحصين، ولاسيما في هذه الأزمنة التي أصبح فيها زهد الناس نادراً وشبه معدوم.

إن من أهم خصائص شخصية الزاهد: هو أنه لا يمنح صفاته المتواضعة، وأخلاقياته الرفيعة قيمة مضافة على الآخرين، ولا يتصور توهما يجعله مقبولاً بينهم نتيجة لقصد إرادي يتوخاه عند الناس. بل ينبثق ذلك عنه انبثاقاً عفويًا نتيجة لتصالحه مع ذاته من ناحية، ونتيجة لحساسية في اتخاذ المواقف الأخلاقية التي تحتاج منه بالضرورة مراساً وقمعا متواصلًا لغريزته الإنسانية التي تشبه الآخرين، والتي يتعالى عن سفسافها بالصبر عليها وتجاوز ضعفها، من ناحية ثانية.

صحيح إن القبول من الله سبحانه وتعالى، ولكن علامات هذا القبول ومؤشراته العامة في حياة الزاهد تنطلق منه لتدل عليه. فالقبول الذي يناله الزاهد تتجلى ثمرته عبر رهانه المستمر على تعهد نفسه بالفضائل،



وتكريس جهده في أخلاقيات رفيعة عند سلوكه في الحياة العامة. وهكذا إذ يمنح القبول صاحبه طاقة من الحب في نفوس الآخرين، يظل باستمرار حالة من حالات التواصل الأخلاقي المتجدد. ولعل من أهم المجالات التي تتصل بحياة الناس في علاقاتهم بعضهم ببعض؛ مجال الحقوق التي هي جزء أصيل في الالتزام الأخلاقي تجاه الآخرين حيال العديد من العلاقات التي تجمع بينهم في مختلف أحوال الحياة الإنسانية.

لهذا فقد كان بعض من تخصصات الشيخ صالح العلمية، ومؤهلاته الأكاديمية مرتبطة بموضوع الحقوق كمجال لدراساته. ولهذا طالما كان يلخص فكرة الحقوق في العدل بالقول المأثور: (العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال). ومن هنا كان منطلق حرصه على القيمة الإنسانية العابرة لمفهوم العدل، والالتزام بها في حياته العامة والخاصة.

إن دراسة الشيخ صالح للحقوق وتفوقه فيها تعكس لنا حساسيته العالية لمعنى الانتباه للآخرين وإنصافهم، وضبط علاقاته معهم وفق الحقوق ومنطق العدل، وإن كان الشيخ صالح فيما يخصه من حقوق مرنا ومتجاوزا. فحين طُلب منه تولي رئاسة الحرمين قبل المنصب بشرطين: (ألا يبقى في العمل أكثر من سنتين، وأن يصرف استحقاقه من الوظيفة في شؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي) فقبل ولي الأمر الشرط الأول (وامتدت فترة عمله اثنتا عشرة سنة)، ولم يقبل الشرط الثاني^(١).

(١) نقلا عن كتاب (الشيخ صالح الحصين نادرة زمانه وفريد عصره) للدكتور محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريح (مخطوط)



الشيخ صالح الحصين كرمز مجتمعي

من علامات القبول التي تقع للفرد وتنعكس في سيرته الاجتماعية؛ انتشار الحديث عنه بكثافة بعد موته. لدى معظم الناس وعلى غير اتفاق بينهم. ولعل كل من تابع الصحف السعودية بعد وفاة الشيخ صالح الحصين رحمه الله يجد أثرا واضحا لذلك القبول الذي كتبه الله له بين الناس. فقد امتلأت الصحف السعودية بمقالات كثيفة ومتعددة الجوانب عن حياة الشيخ صالح، كتبها أشخاص من تيارات متعددة ومتباينة، ربما لم تجمع رأيها يوما كما أجمعت على هذا الرجل.

وإذا كان أغلب تلك المقالات تعكس تجربة كل كاتب مع الشيخ صالح رحمه الله فإن هناك فضاء آخر كان أيضا علامة على ذلك القبول الذي لقيه الشيخ صالح رحمه الله بين الناس، ونعني بذلك مواقع التواصل الاجتماعي على الإنترنت مثل: الفيسبوك، والتويتر، اليوتيوب وغيرها.

ذلك الزخم الذي صاحب نعي الشيخ صالح الحصين من خلال كتابات كشفت عن جوانب كثيرة من مواقفه مع الناس، وعبرت عن طبيعته وأخلاقه التي تلقاها كل شخص اتصل به بصدر رحب، وإحساس طيب؛ كل ذلك الزخم يعكس لنا في تأويل آخر طبيعة الحالة الرمزية التي أصبح فيها الشيخ صالح الحصين مرجعا اجتماعيا عكس في وعي الناس وعقولهم ضميرا حيا للشخصية التي يمكن أن تكون شخصية معيارية وقابلة للتمثل بوصفها شخصية عامة.

لكن هذه المنزلة المرجعية للشيخ صالح في الحس الأخلاقي العام للمجتمع، لم تلحقه من حيث كونه أحد كبار علماء المملكة ولا من كونه أحد كبار الإعلاميين، أو كبار الوزراء أو غيرهم. بل كانت تلك المنزلة



المرجعية للشيخ صالح الحصين من اتساقه الأخلاقي المتكامل والمرتبط بالزهد النادر في زمانه.

ومن خلال هذا التوصيف المنهجي لطبيعة التحول الذي جعل من الشيخ صالح الحصين رمزا مجتمعيًا، يمكننا القول أيضًا أن تلك المنزلة الذي جعلت من قبول الشيخ في نفوس الناس حبا مشاعا، وحديثا مرددا إنما هي كذلك حالة من القدرة على توظيف العلاقات ضمن إطار واحد حقق الشيخ من خلاله تلك السمعة الحسنة، وذلك الصيت الحميد. فما جعل من الشيخ رمزا مجتمعيًا في غياب حيثيات ظاهرة ومشتهرة له بحسب المظهر العام لمشاهير العلماء والشخصيات العامة هو منظومة متكاملة من الوعي النظري العميق بطبيعة هذا المجتمع، وطبيعة التحولات التي تتفاعل فيه.

ذلك أن من أهم السمات التي عكسها الشيخ في حراكه العام وحياته بين الناس، هو تطبيقه للكثير من خبراته المعرفية المتنوعة. كما أن الشيخ صالح كان يمتلك قدرة فريدة على استبطان وعيه بالناس ومعرفة بهم، من خلال مستويات متعددة لهويته المعرفية ذاتها. فهو بالرغم من كونه شيخا عرفه الناس في وظائف متعددة إلا أنه خبر حيوات إنسانية مختلفة، ولم يكن يصدر في تصرفه وخبرته بالناس عن حساسية واحدة، بل كان يضمّر ثقافته المتنوعة: العصرية، والشريعة من ناحية، وكان يعكس خبرات حياته المتنوعة أيضًا بمنهجية عبرت عن تمازج فريد بين إمساكه بخصائص مجتمعه الذي تماهى مع أفضل ما فيه، وخبرته التي حازها من مجتمعات أخرى في الشرق والغرب، من ناحية ثانية.

وهكذا فيما كان الشيخ صالح يختبر علاقاته الناجحة والمجيدة بموازاة مجتمعه السعودي بما فيه من تنوع لشرائح اجتماعية مختلفة

إنما كان في تأويل آخر صورة فريدة لشخصية إنسانية جمعت بين حيوات متعددة ولغات متعددة وصهرتها في قالب من الزهد والتصالح مع الذات، كانا مفتقدين لدى الكثير من الشخصيات التي طبعت مظهرها العام بنموذج نمطي واحد في السمات والنمط، سواء أكانت هذه الشخصيات من كبار العلماء، أو من الشخصيات العامة.

ولعل من أبرز النماذج التي كان يفاجئ بها الشيخ الكثير ممن عرفه هو أنه من الذين لا يحبذون استعراض ما عندهم من معرفة أو علم عصريا كان أم شرعيا إلا عند الضرورة التي تقتضيه. ولهذا كان أحيانا يكون في مجلس هو أعلم الناس فيه ولكنه لا يتحدث في ذلك المجلس إلا عند الضرورة.

وكما ذكر الشيخ صالح بن حميد في مقاله بصحيفة الشرق الأوسط عن الشيخ صالح الحصين، فقد حكى حكاية دالة على عمق معرفة الشيخ بالكثير من مقتضيات الوجاهة الثقافية والمعرفية، لكنه يصرف النظر عنها زهدا، وبعدا عن الظهور بمظهر العارف. ويروي الشيخ صالح بن حميد عن الشيخ صالح الحصين رحمه الله في مقاله هذه الواقعة الطريفة: (حينما كان شابا في أول عمله موظفا في وزارة المالية كلف مع زميل له في مهمة عمل في فرنسا وحينما دخلوا أحد المطاعم، والفرنسيون لا يتكلمون الإنجليزية ويصرون على الحديث بلغتهم، وزميله دارس في أميركا ويجيد الإنجليزية، وكان يحاول جهده ما استطاع أن يحدثهم باللغة الإنجليزية ولم يفلح أن يتوصل إلى شيء وطال الجدل وضاعت الأنفوس، فما كان من الشيخ صالح وهو الذي يجيد الفرنسية والعلم بها إلا أن نطق بكلمات يسيرة أنقذت الموقف وانقضى بها الغرض، فالتفت إليه صاحبه قائلا أما كان هذا مبكرا حتى نسلم من هذا التوتر؟ فقال الشيخ بصوته

الهادئ الهامس الواثق: لا أتكلم باللغة الأجنبية إلا من أجل الحاجة وبقدر الحاجة^(١).

ويعلق الشيخ صالح بن حميد قائلاً: (إنه الدرس البليغ من هذه الشخصية العزيزة المؤمنة فعند الشيخ أن اللغة الأجنبية والرطانة ليست محل فخر ولا اعتزاز ولكنها حاجة فقط. ناهيكم بمن يراها رمز التقدم، بل لا يرى تقدماً إلا على حساب لغته ووطنه، فيلوك لسانه بالرطانة وكأنه قد حاز المجد في برديه وهو لا في العير ولا في النفير فالله المستعان).

ففي هذه القصة ما يكشف عميقاً عن طبيعة تواضع الشيخ صالح، وأدبه وزهده الذي جعل من عدم رغبته في إظهار معرفته بالفرنسية أمام زميله، سبباً خفياً حتى لا يقع فيما يوهم بالإدعاء، فانتظر حالة الضرورة كي يعبر بلغة فرنسية واضحة كانت سبباً في حل المشكلة وفض النزاع. وهذا نموذج لوقائع عديدة جرت للشيخ صالح الحصين مع آخرين في هذا الصدد.

ومن ذلك ما يرويه الدكتور محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريح في مقاله بصحيفة الجزيرة عن الشيخ صالح ومعرفته بالفرنسية قائلاً: (مرة دخلت رئاسة الحرمين فإذا بوفد من أوروبا أو أمريكا والشيخ يلقي عليهم في مكان مُعدٌ لذلك، وكان المترجم يترجم ما يقول الشيخ، فترجم جملة من كلام الشيخ وأخطأ في الترجمة، فقال الشيخ: لعل المترجم لم يسمع ما قلته لضعف صوتي فاجتهد! والصواب من كلامي هو فقال الكلام باللغة الإنجليزية، ثم جعل يتكلم بالعربي فأخطأ المترجم مرة أخرى، فقال الشيخ: لعلني ثقلتُ عليك سأتكلم مباشرة معهم فبدأ يحدثهم باللغة

(١) صالح بن عبد الله بن حميد مقال: الشيخ صالح الحصين. الرجل الذي عظم الشريعة ولم يبهره بريق الحضارة الشرق الأوسط تاريخ ١٩/٥/٢٠١٢م ٩/ رجب/٤٢٤هـ.

الإنجليزية. والذي منع الشيخ من الحديث مباشرة معهم أن هذا المترجم قال: سأترجم كلامك فاستحيا الشيخ أن يرد. (١)

هكذا استحال الشيخ صالح رمزا مجتمعيًا، ليس فقط لتواضعه وزهده ونزاهته، وإنما كذلك لإدراكه لشفرة التعامل مع مجتمعه بمختلف شرائحه، مسنودا بمعرفة عميقة عن طبيعة الحوار وأدواته، وهو الذي كتب أبحاثًا إسلامية عميقة الدلالة والإدراك حول طبيعة الحوار مع الآخر المغاير، فضلًا عن الآخر الحميم.

إن إمساك الشيخ صالح بمفاصل الوعي الناظم لطبيعة علاقاته السلسة والميسورة مع أطراف المجتمع السعودي كان أكبر دليل على تأهيله لتلك المنزلة الأخلاقية الرفيعة التي حازها بين الناس.

إنها تلك الطاقة الخفية التي خص الله بها الشيخ صالح للتودد للآخرين وحبهم والإحسان إليهم بألطف المداخل إلى نفوسهم، مع الإلمام التام بكل الوسائل التي تجعل من إحساسهم به غاية في التأثير بلطفه وحبه وحكمته. رحمه الله

الأمانة كالتزام أخلاقي في وعي الشيخ صالح الحصين

مفهوم الأمانة الذي جعل منه القرآن المهمة الأولى لمبرر وجود الإنسان على الأرض، بتقبله لحمل الأمانة، هو في الأصل تأويل عميق لمفهوم الصدق في مختلف تجلياته حيال السلوك الإنساني الذي يخترق كل العلاقات.

(١) مقال د. محمد بن فهد بن عبد العزيز الفريح: (الشيخ صالح الحصين نادرة زمانه: قصص وطرائف ومواقف خالدة) صحيفة الجزيرة ٨/٥/٢٠١٣م ٢٨/ جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ



وبحسب إفادة الدكتور عبد الله بن صالح الحصين، ابن الشيخ حول تفسيره لسلوك والده المتسق أخلاقيا في سيرته العامة يقول: (إنها ببساطة أداء الأمانة بمفهومها الشامل، فلم تكن الأمانة في وعي الوالد هي فقط حفظ حقوق الناس، وإنما كانت أشمل من ذلك وأكبر فقد كانت الأمانة بالنسبة له هي الصدق مع الله سبحانه وتعالى في كل الأحوال. والصدق مع الأمة بأن يكون أمينا معها، حكاما ومحكومين، والأمانة في الصدق مع النفس. فقد كانت أحواله مضطردة في الالتزام بمعنى الأمانة الشامل. كان يدرك معنى الأمانة حيال جسده مثلا، فكان يهتم بصحته بدقة تعبدا لله، وهكذا كان في جميع أحواله).

هذه الإفادة لو تأملنا في حقيقتها لأدركنا أنها التفسير الوحيد لذلك الاتساق الأخلاقي الذي جعل للشيخ صالح الحصين لسان صدق في المجتمع السعودي، وجعل من سيرته مرجعا أخلاقيا مرموقا لدى جميع فئات ذلك المجتمع.

إن الأمانة بحسب إدراك الشيخ صالح وسلوكه، هي منظومة من الأفعال والأقوال المتسقة مع الصدق في كل الأحوال. ومن خصائص هذا الوعي أنه يجعل من صاحبة كتابا مفتوحا، فحين سألتنا نجل الشيخ الوحيد، الدكتور عبد الله الأستاذ بكلية العمارة والتخطيط في جامعة الملك سعود عن بعض الاختلافات السلوكية التي يمكن تمتاز عن غيرها في نهج الشيخ داخل أسرته مثلا أجابنا قائلا: (لقد كان أمينا في كل أحواله؛ بحيث يمكن تفسير كل أوضاعه في ضوء تلك الأمانة؛ أي الأمانة في الصدق مع الولاة، الأمانة في الصدق مع الطائعين، وكذلك الأمانة والصدق مع العصاة، وحتى مع من يظلمه، كان أمينا وصادقا معهم) ثم يضيف: (لقد كان والدي شخصية ذات مواصفات واحدة مع الجميع، فلا

نعلم له تحولا أو اختلافا في تعامله سواء داخل بيته أو خارجه).

هكذا يحينا مفهوم الأمانة لدى الشيخ إلى ما يشبه طبيعة تلك الأمانة كما لو أنها خيطا ناظما لجميع أقواله وأفعاله. فذلك الخيط هو الذي يشد جميع تصرفات المنبثقة عن أخلاق الأمانة وينظمها في عقد فريد من الأفعال والأقوال والمواقف.

ولم يكن الشيخ وفق هذا المبدأ والفهم العميق لمدلول الأمانة في وعيه وسلوكه، يلزم أحدا بفهمه ذلك، بل كان سلوكه هو الفيصل في التعبير عن حاجته أو إيصال أفكاره للناس. يقول ابنه الدكتور عبد الله في هذا الصدد: (لم يكن الوالد يطلب منا القيام بشيء يخصه هو، حتى لو أراد أن يأخذ منديلا ورقيا فلا يطلب من أحد أن يناوله ذلك. إذ كان يقوم بنفسه من أجل ذلك) إن وعي الحياة على أنها أمانة كما في مفهوم الشيخ صالح ينطوي على أدرك لطيف بحركة الإنسان في الواقع. فذلك الوعي ذو صلة عميقة جدا بنقد الذات وتوجيهها باستمرار نحو واجباتها والتزاماتها. فقد كان الشيخ صالح يختبر معنى الأمانة في علاقته بجسده أولا فلا يسرف في الأكل ولا في الشرب، ولا يعرض ذلك الجسد إلى مضار تعيق من أدائه وتشل من حركته في المستقبل. ولأن ذلك الوعي العميق في العلاقة بجسده متصل بالأمانة التي يجب حمل رسالتها تجاه كل شيء ابتداء من الجسد الذي يملكه، فقد كان من الضروري أن يكون ذلك الجسد محفوظا ومنضبطا ومؤديا لنشاطه الطبيعي ليقوم بحق الله وحق العباد على أكمل وجه. وهكذا تتوافق موجبات حفظ الجسد بين الجانب الصحي والجانب الشرعي، فقد كان الشيخ وهو في الثمانين من عمره تقريبا يقوم بكل حركات الجسد في نشاطه اليومي، سواء في السير على قدميه ذهابا وإيابا من الحرم المكي إلى منزله، أو من حيث إصراره على السير بقدميه

في سفرياته وتجواله. ومن طرائف وعلامات تلك الأمانة في علاقة الشيخ بجسده، يقول ابنه الدكتور عبد الله بن صالح الحصين أن والده: (كان يطلب منه إسباغ الماء في رجليه أثناء الوضوء عندما مرض في أواخر حياته حيث لم يكن يشعر في أعصاب رجليه بسريان الماء بسبب المرض. ويخشى أن أغفل عن الإسباغ المأمور به شرعا).

وحين يصبح هذا الخيط الناظم لحياة الشيخ هو الأمانة بمعناها العميق والشامل، تصبح حياته متصلة على نمط واحد من الأفعال وردود الأفعال، فمفردات تلك الحياة بسويتها الواحدة يلحظها الجميع، وتتكشف باضطراد لكل من عاش مع الشيخ أو زامله أو رافقه في محطة ما من محطات حياته. لهذا ينفي الدكتور عبد الله عن والده أنه مر بتحويلات، سواء في الفكر أم في السلوك. فقد كان والده يضطرد تقدما في فكره وسلوكه ومواقفه، دون أن يقطع مع ماضيه. لم تكن فكرة القطيعة أو التحويلات مرتبطة بنمط حياته في أي مرحلة من مراحلها. صحيح كانت هناك مراحل، ومحطات، لكنها كانت بمثابة إضافات على الخط الواحد لحياته. فمنذ أن اهتدى الشيخ في صباه، ومنذ أن ألهمته الله بوعي معنى الأمانة ظل يتسق تماما مع كل التصرفات والسلوكيات التي ارتبطت به، أو تلك التي التزم بها في إطار أداء واجبه على أكمل وجه.

لقد كانت حساسية الأمانة لدى الشيخ صالح تبلغ مبلغا دقيقا قد لا ينتبه له الناس كثيرا. فمن خصائص وعي الأمانة في مختلف جوانب الحياة أن تكشف لصاحبها مفاهيم دقيقة وضابطة للمعنى. فمن المفاجآت التي أخبرنا بها ابنه الدكتور عبد الله: أن والده لم يكن يملك مكتبة عامرة بالكتب، مثل كل العلماء مثلا وذلك ليس لأنه لم يكن يقرأ بكثافة، أو لأنه لم يكن يشتري كتباً؛ بل كان السبب أكثر إدهاشا وهو: أنه حين يقرأ كتابه

ويعيه ويفهمه حق فهمه يقوم بإعارته أو إعطائه للآخرين للاستفادة منه تكروما منه بالعلم. وهكذا كان يعي الشيخ معنى الأمانة في وعي العلم بمفهومين عميقين جدا. الأول: إعطاء العلم الذي في الكتاب حقه الكامل من الوعي والفهم ثم العمل بذلك العلم، والثاني: قيامه بأمانة البلاغ في المعرفة والعلم، وهي إيصال الكتب التي أجاد فهمها وأدرك معناها إلى غيره من إخوانه وأصدقائه أو غيرهم تبرعا بها لهم أو إهدائهم إياها تطبيقا للشق الثاني من مفهوم الأمانة حيال العلم والمعرفة، وحيال الكتب العلمية التي يقرؤها أو يشتريها. كما كان الشيخ في سنواته التي عمل بها في رئاسة الحرمين يهدي كتبه القيمة إلى مكتبة الحرم المدني، والحرم المكي. هذا يعني أيضا ارتباط الكتاب لدى الشيخ صالح الحصين بشرطه الضروري المتصل بالمعرفة وهي القراءة، فإن حق الكتاب وأمانته في وعي الشيخ صالح الحصين هو قراءته حق القراءة وفهمه حق الفهم، ثم إشراك الآخرين في ذلك بإعارتهم أو إهدائهم الكتب.

وبحسب إفادة نجله: الدكتور عبد الله، فإن الشيخ ظل طوال حياته يمنح الآخرين من علمه بطريقة فريدة، ودالة على معنيين نادرين هما: نكران الذات، والتصدق بالعلم. فلو طلب منه شخص أن يكتب شيئا سمعه منه أو أفاده من علمه، سمح له بذلك حتى دون أن يطلب منه الإشارة إليه في ذلك؛ لمظنة أن العلم إنما هو كرم خصه الله به ليتصدق به على الناس. ولهذا أيضا فإن الشيخ صالح، لم يكن يشترط الاحتفاظ بحقوق الطبع لأي ناشر، ولا حتى بالنسبة له، وإنما جعل من علمه سبيلا مشروعا لكل طالب علم أو ناشر علم يريد الاستفادة منه ونشره. فقد كتب أحدهم رسالة علمية جلها من إفادات الشيخ صالح، ومع علم الشيخ بذلك فقد رضي عن صاحبها.

بمثل هذا الوعي الراقى بحقيقة الأمانة في العلم والمعرفة كان الشيخ صالح يبذل علمه للجميع ولا يحجب شيئا منه إذا طلبه طالب أو أرادته ناشر. إن هذه العلاقة بين الشيخ صالح وعلمه، إذ تجعل من المعرفة خيرا مشاعا للجميع تعكس بذلك نموذجا فريدا من أهل العلم لا يكاد يعرفه أهل هذا الزمان. بل إن الشيخ رحمه الله بوعيه العميق لمغزى الأمانة الذي هداه الله إليه كان يرى في بذل العلم وإكرام الناس به شرطا شارطا للمزيد منه الذي يوفقه الله إليه كما ونوعا. فقد كان من كرم الله على الشيخ صالح الحصين أن منحه دقة في العبارة، وملاحظات لطيفة لدلالات الأحكام الشرعية، ورؤية محكمة لمراد النصوص واستخراج الأحكام المنضبطة في دلالتها على المعاني المنبثقة من النصوص، وبمنهجية معرفية أصيلة.

بمعنى آخر، إن معنى الأمانة يتجلى هنا، من خلال تلك الشروط الشرعية التي التزمها الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين. فهو من شدة زهده وتواضعه وبذله لله لا يهجم كثيرا أن يصدر العلم والحكم الذي يقضي به، سواء منه أو من غيره. فقد كان تحري الصواب والدقة في الحكم عنده أهم مما لو كان قد صدر منه أو من غيره؛ هذا يعني أيضا أن علاقته بالمعرفة علاقة ينعكس فيها تكامل العلم والعبادة. فقد كانت عبادة الشيخ وزهده مظنة لعلمه، أي بحيث يكون العلم لديه عبادة، وقربى إلى الله، وليس استعراضا للمعرفة أو تباها بها أمام الناس. بحيث يصل إلى حالة من ترك حظوظ النفس يستوي فيها أن يتمنى أن يهب علمه للآخرين صدقةً وقُربى إلى الله. لقد كانت القدرة على الاستبصار في الكتابة، وتحديد المعنى بأقل الطرق شرحا وتفصيلا من أهم سمات علم الشيخ صالح الحصين رحمه الله ذلك أن العلم عنده لا ينفصل عن التأكيد المستمر لمعنى الأمانة في القول والفعل. وهذا التأكيد في العلم يأخذ منحى

مشاعا وقابلا لأن يكون للجميع متى ما عقلوا عن الشيخ مراده من ذلك العلم. كان علم الشيخ في تأويله العام رهانا جادا لتكييف الإسلام تكييفاً معرفياً متصلاً بالأصالة، ومعبراً عنها داخل الحياة الحديثة، ومتصلاً بها في الوقت نفسه من أجل إعادة الثقة بالإسلام بين أبنائه المغتربين عنه، وكشف هالة الانبهار أمام الحضارة المعاصرة، وإبطال ما تتطوي عليه من زيف يتخفى وراء الكثير من الأفكار والدعوات التي تروجها. لقد ظل الشيخ صالح وفياً لذلك الارتباط العميق الذي جعله يعيش معنى الإسلام في قلب الأزمنة الحديثة، دون أن تحدث تلك الأزمنة في نفسه زلزالاً يهدم ثقته أو يقوضها.

منذ البداية كان وعي الشيخ صالح بالإسلام منفتحاً على معنى الأمانة بفطرة جعلته متصالحاً مع نفسه، مطّرحاً لحظوظها، وباحثاً من خلال الزهد والرغبة في ما عند الله عن أسلم الطرق التي تجعله معبراً صادقاً في فهمه للإسلام. فقد تعلم الشيخ صالح علماً شرعياً نهله من كبار علماء نجد والحرمين، الذين جاؤوا من أقطار متعددة، ثم أخذ بأسباب العلم الحديث في الجامعة المصرية عبر سنوات شهدت استقطاباً فكرياً وعصفاً ذهنياً شديداً في عقول أبناء ذلك الزمان خمسينات وستينات القرن العشرين حيث درس الشيخ صالح علم القانون على أبرز أساطين ذلك العلم من العرب؛ من أمثال أ. د. عبد الرزاق السنهوري رحمه الله وحصل على درجة الماجستير في ذلك العلم. ثم ذهب إلى فرنسا للدرس فرجع منها بإتقان اللغة دون أن يكمل بعثته الدراسية لأسباب قاهرة اضطرت له للعودة إلى السعودية. ومع ذلك فقد أجاد لغتها إلى جانب اللغة الإنجليزية، ليكون بإتقانه لهاتين اللغتين على استعداد تام لفهم علوم عصره المتنوعة في مظانها الأصلية وبلسان أصحابها. وبالجمع بين

علوم العصر، وحقيقة الإسلام التي وعها من معرفته وقراءته وسلوكه أصبح الشيخ صالح رمزا مجتمعيًا ومرجعًا يتفق عليه الجميع في نزاهته ومعرفته، ومكانته التي جعلته بفعل ذلك الإدراك العميق لواقع الإسلام والمسلمين من أقرب العلماء إلى عامة الناس ولاسيما بين الشرائح الاجتماعية المثقفة.

لقد منح الشيخ نفسه منذ بداياته الأولى والمراحل المبكرة من حياته قدرة عالية على الانفتاح والقراءات المتعددة والمكثفة، كان يقبل من الجميع، وينفتح على الجميع، ويملك استعدادًا دائمًا لقبالية الاختلاف، وهذا ما منحه، منذ وقت مبكر، القدرة على تصفية الأفكار والمفاهيم، وإعادة تأويلها وفق رؤيته المخلصة والمنبثقة من حساسيته العميقة بوعي الإسلام. ففي زمن مبكر من حياته في بلدة (شقراء) بنجد كان الشيخ صالح الحصين يطالع كتبًا في الفنون المتعددة؛ الشرعية واللغوية، والاجتماعية، بل وحتى علم النفس، ويعكف على تعلم اللغة الإنجليزية مكرسًا لها وقتًا من حياته من خلال الاستقراء الذاتي، حتى أدرك منها معرفة ضابطة وقادرة على قراءة الكتب في تلك اللغة.

وهكذا حين نختبر الأمانة وعيا وسلوكًا في مفهوم الشيخ صالح نجد أنفسنا أمام رؤية شاملة ومنهج واضح، وإدراك عميق للحركة بالإسلام على مستوى الذات والموضوع وفق حالة واحدة من الاضطراد والاتساق.

إن مثل هذه الرؤية تمنح صاحبها ضبطًا منهجيًا عميقًا في الاستجابة للأحداث والوقائع المتجددة والقدرة على مواجهتها في مختلف الأحوال، لأن خط الحركة بالإسلام المتصل بتلك المنهجية المخلصة، والمتراكمة التجارب تجعل للشيخ صالح في كل تجربة درسًا، وفي كل حدث سببًا مناسبًا لإعادة الثقة بما سار عليه من درب الإخلاص وطريق العمل من



أجل الإسلام بعيدا عن التتميط الموروث، والتوجيه المحفوظ، وإنما من خلال حالة يجد معها في كل خطوة توفيقا وفي كل تجربة مفتاحا للنجاح والتقدم.

يمكننا القول أن منهجية الأمانة بوصفها التزاما دينيا وأخلاقيا جعلت من حياة الشيخ صالح منظومة مضيئة من الإشارات التي دلته على هداية خاصة وفقه الله إليها بما فتح عليه لقاء علاقته القوية بربه، وعبادته التي كانت تضيء له معنى الإسلام في مختلف أنشطته العلمية والعملية والسلوكية.

لقد كانت حالة الأمانة تقتضي من الشيخ صالح دائما أن يكون كما هو مع من يعرفه ومن لا يعرفه، ذلك أن استواء الحال في مختلف مقامات العلاقة مع البشر هو أكبر دليل على ثبات النفس واستقرارها وتصالحها مع ذاتها. فالحياة بالإسلام الآن وهنا، كانت هي العلامة الفارقة في حياة الشيخ صالح. لقد ظل الشيخ ثابتا على نوره المضيء منذ البدايات ومتحركا به في الحياة والناس، فلم يعرف تغيرا فاجأ حياته، سواء داخل بلاده أم خارجها. وسواء في بلاد المسلمين أم في بلاد الغرب.

الحركة بالإسلام في واقع الحياة المعاصرة

منذ البداية، عكف الشيخ صالح على بناء رؤية معرفية راكم عليها تجارب وقراءات، ومعارف أضافت الكثير إلى موقفه الملتزم بالإسلام وفق مفهوم الأمانة بمعناه المنهجي الشامل ويمكن القول أن الشيخ صالح اختار الحركة بالإسلام كخيار ذاتي متصل بمنطلقاته الأولى في المعرفة. كانت الثقة بالمعرفة هي أولى حوافز اختبار تلك الرؤية الجديدة، كما كان الصدق مع الله في كل الأحوال هو الوسيلة الوحيدة لاختبار كل

تجارب الحياة المعرفية والسلوكية. وعبر هذين الحدين: حد المعرفة المنفتحة على علوم الدين والعصر، وحد الصدق مع الله من خلال منهج الأمانة؛ تحرك الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين بوعيه المتقدم لمعنى الإسلام في زمن شهد استقطاباً حاداً وتشويشاً كبيراً للمفاهيم التي كرستها الحداثة. كما كانت البيئة المحلية التي نشأ فيها الشيخ صالح، بيئة بعيدة عن تفاعلات الحداثة، لكن طموحه الذي جعله يقرر أن يختار الحركة بالإسلام عبر الوعي، حفزه إلى طلب العلم خارج تلك البيئة ليضيف علوماً أخرى. فذهب إلى مصر لتلقي العلوم الحديثة، حيث درس علم القانون وبرع فيه، ونال شهادة الماجستير في هذا الفن بتفوق جعل أستاذ القانون د. السنهوري يكتب للمعهد توصية لمنح الدارس صالح منحة نظير تفوقه. كان الشاب صالح آنذاك في مصر قارئاً نهماً للكثير من الكتب في مكباتها العريقة كمكتبة الأزهر التي قرأ أغلب الكتب التي فيها وغيرها من المكتبات بمصر. وعند الانتهاء من الماجستير ذهب للدراسة في فرنسا لكنه سرعان ما عاد إلى السعودية بعد وفاة الملك سعود بن عبد العزيز رحمه الله. بطلب من الحكومة لحاجتها حينذاك لمختص في الشريعة والقانون.

وكما كان الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، لا يحتفظ بكتبه بعد إتقان قراءتها وفهمها، كان كذلك عزوفاً عن تأليف الكتب مع قدرته على ذلك بالطبع ولكن لأنه جعل من الحركة بالإسلام في منهجه وظيفته أساسية له فقد كان سلوكه العام في الحياة، سواء في المملكة العربية السعودية أم خارجها، وسواء في حياته العملية أم الاجتماعية؛ في كل تلك الأحوال كان يجعل من مواقفه في الحياة دروساً تتجلى للناس عبر السلوك والمواقف والتعليقات والجلسات العلمية التي كان يعقدها، والمحاضرات، وغيرها



من الأسباب التي جعلت من نمط حياته بحد ذاته مجازاً مفتوحاً للدرس، ومجالاً للفهم عبر السلوك قبل القول. وحين يتصدى رحمه الله لبعض المسائل العلمية كان يمنح قدرته على الإبانة، وتحليله العلمي الصارم حدوداً قصوى لتحري الدقة، وسرد التفاصيل والثبات على مبدأ الوقوف إلى جانب موقفه العلمي متى ما اتضح له فيه الحق وارتفع الخلاف في المسألة. وله في هذا الصدد بعض الرسائل والأبحاث التي كشفت عن قدرة علمية ثاقبة في الحجج الشرعي، والإبانة الدالة على منهج الحق في الكشف عن رأيه وموقفه. كما في بحثه الشهير (خاطرات في المصرفية الإسلامية) الذي أزال فيه اللبس عن الكثير مما يوهم العامة بأنها عمليات مصرفية إسلامية فيما هي تتطوي على اختلاف جوهرى مع المصرفية الإسلامية الحقة ولعل مقولته الواضحة والفاصلة للتفريق العام والنظري بين المصرفية الإسلامية والمصرفية غير الإسلامية تكمن في عبارته ذات الدلالة العميقة حين فرق بأن المصرفية الإسلامية تكمن في (التعامل بالمال) فيما تشتغل المصرفية غير الإسلامية على (التعامل في المال) ودقة العبارة في دلالة حروف المعاني واضحة أشد الوضوح في التفريق بين المعنيين حيث إن المعنى الأول يجعل من المال وسيطاً، وأما المعنى الآخر فيجعله سلعة بذاته بما يصرف المصرفية عن الإسهام الإيجابي في التنمية الاقتصادية للمجتمع. ويجعل المال سلعة للتبايع، المصرف فيها يسهم في تدمير المجتمعات، مقدرات وحكوماتٍ وشعوباً.

يضاف إلى ذلك أن رؤيته في تحليل النصوص واستعراض الأدلة تتطوي على دقة ومنهجية وبلاغة بديعة ومحددة لوظيفة العبارة ودلالة الحكم. بمعنى أن الشيخ صالح لم يكن يستطرد في الكتابة ليطيل من صفحات الكتاب من غير طائل، وإنما يعطي المعنى حقه من الإبانة.

ونظرا لطبيعة الموضوعات المتصلة بالحدائث فقد كانت أغلب أبحاث الشيخ تخوض في قلب التحديات التي يستجيب لها الإسلام وفق رؤيته، في العصر الحديث. وهي عناوين تعكس العنوان العام لحركة الشيخ بالإسلام من ناحية، وتستجيب للهدفين الساميين الذين تحرك الشيخ صالح من أجلهما بذلك الفهم المستتير. فقد أخذ على عاتقه مهمتين الأولى: إعادة الثقة للمسلمين بإسلامهم العظيم، و الثانية: إبطال الانبهار ببريق الحضارة الغربية في وعي المسلمين. لهذا كانت موضوعات الشيخ في كتاباته تتصل بعناوين عصرية من مثل (خاطرات في المصرفية الإسلامية) (العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة) (قويبا الإسلام) (اقتراح لصياغة مفهوم للوطنية السعودية) (الحرية الدينية في السعودية) (انتقادات موجهة للإسلام) وغيرها من عناوين الكتب التي اشتغل عليها بتأليف فريد، ونهج مقتصد اقتضته الحثيات الضرورية للكتابة عن تلك المشكلات ومواجهتها. ومع قدرته على غزارة التأليف إلا أن الشيخ رحمه الله كان حين يكتب عن موضوع ملح أو فكرة ما، يستقصي جوانب البحث فيه ويقرأ حوله من الكتابات المتصلة به. ويعكف على الكتابة فيه، بصدق وروية وعمق، ثم لا يستتب له ويطمئن إلى ما كتبه إلا حينما يعرضه على من يرى فائدة عرضه عليه، سواء ممن يتفق معه أو من يخالفه. حتى إذا جاءته

ردود من أرسل إليهم مخطوطاته يقوم بقراءتها بنفسية صافية ومزاج صادق، ثم بعد ذلك يقوم بمراجعة أخيرة لما كتب، وأخيرا يدفع بما كتبه إلى المطبعة. ولقد علق نجله الدكتور عبد الله، على هذه السمة المنهجية في السلوك العلمي لوالده على أنها ضرب من (التواضع الفكري) وهي مقولة لا تعني الزهد في الفكر وإنما تعني: زهده في أن لا يكون هناك



من سبقه إلى ما وصل إليه من معرفة، فإذا وجد شخص ما سبقه إلى ما توصل إليه من معرفة صرف النظر عنه و اكتفى بعلم من سبقه. بل لقد أفاد نجله الدكتور عبد الله: أن والده كتب مقالات كثيرة ولا يعلمها أحد، لأنه كان يهديها لبعض أصحابه ويطلب من هذا البعض أن ينشرها باسمه، إكراما له بها إذا طلب منه ذلك الشخص نشرها باسمه، وزهدا في إعطاء حقه ليتصرف به الناس، حبا ورغبة في ما عند الله. وكان من زهده الفكري أيضا أن لا يتصدر في المجالس للحديث عن موضوعات هو أعلم الناس بها في تلك المجالس، ولكنه يزهد في ذلك إلا إذا اضطره بعضهم للحديث. ومما يعرف عنه: أن أحد الأشخاص أخذ بحثا له في أكثر من مائتي صفحة وتقدم به لنيل رسالة علمية. فلما عرف الشيخ صالح بعد ذلك بحصول ذلك الشخص على الدرجة العلمية، ذهب إليه مهنتا ومباركا ١٩. كما كان الشيخ يكتب في ذيل بعض كتاباته عبارة (هذا واقع في الملك العام) في إشارة إلى عدم وجود حقوق ملكية فكرية (خاصة) بتلك المقالات، فهي متاحة سواء لمن شاء أن يعيد نشرها أو لمن شاء أن ينشرها باسمه ٢٠.

ومن أهم سماته في الحوار العلمي أنه لا يطيل في الجدل، وغالبا ما كان يصل في حوارهِ إلى إقناع من يحاوره بأدوات المعرفة وطرقها المثالية.

وبين الكتابة، والسلوك في الحياة العامة، كانت حياة الشيخ صالح رحمه الله تعكس مسالك أخرى في الحياة المهنية، ولاسيما في مجال الدعوة إلى الله. فطبيعة الشيخ ووداعته ولطفه الذي يترك أثرا لدى كل من يلتقيه في مناسبة أو رافقه في مكان ما؛ جعل حياته المتنقلة تلك بين مختلف بلدان المسلمين طاقة مشعة، وذكرى باقية، وأثرا محمودا، وطيفا مذكورا. ففي تلك المناسبات كان الشيخ حريصا على التحقق بمقتضى

الأمانة في نهجه وسلوكه. وكان ذلك يقتضي منه طرح الكثير من أنواع التكلفة، وأسباب الدعة، فكان في اعتماده على نفسه حتى وهو في سن متقدمة، والحرص على خدمتها بعيدا عن مساعدة الآخرين مع شدة الحاجة إليهم تجعلان من سلوكه ذاك علامات فارقة وذات أصداء عميقة لسيرته التي يتركها وراءه بين الناس في مختلف البلدان

كان للشيخ صالح الحصين منهجا وسطيا، يناقش الأفكار والمفاهيم برؤية نقدية تحليلية، تختبر تلك الأفكار والمفاهيم من خلال حوارات هادئة، وتحليلات عميقة، ولغة معاصرة سلسة، واستشهادات عصرية من الواقع، وصولا إلى النتائج المنطقية لمنهجه الاستدلالي وبالرغم من أن هذا الفصل لا يبحث عن المنهج الفكري لكتابات الشيخ صالح، إلا أننا نتعرض لملامح من تلك المنهجية المعرفية للشيخ ضمن السياق المتصل برؤيته لوعي الإسلام كأمانه وصدق مع الله، وتتبع دلالات تلك الأمانة من خلال تجلياتها في إفاداته العلمية، ومواقفه العملية والسلوكية جميعا. فمابين الالتزام الأخلاقي بمنهج الأمانة في وعي الإسلام، ومابين الاتساق الأخلاقي المتصالح مع الذات يتجلى لنا المنهج المعرفي للشيخ صالح في كتاباته، لا بوصفها مادة فكرية للدرس، وإنما بوصفها انبثاقا طبيعيا لتلك الروح التي تشربت الإسلام والتزمت بقيمه كأمانه. فهاهنا لا نهتم إلا بملاحظة المنبع الروحي العميق الذي يعكس على أفكار الشيخ وكتاباته العلمية حيوية خاصة، وطاقة فريدة في أسلوب التعبير ومنهج القراءة وطرق الاستدلال. إن عمليات استدلال الشيخ صالح الحصين منظورا إليها وفق هذه الرؤية تحيلنا على تفرد خاص، ولغة خاصة، ومنهج خاص أشبه بالعلم اللدني من حيث اتصاله بصاحبه فقط، ومن حيث عدم القدرة على الإتيان بمثله أو تقليده مهما حاول الآخرون تقليده أو

إعادة تركيب منهجه في الاستدلال.

وبطبيعة الحال فإن من يطلع على موقع (WWW. ROWAQ.ORG) الذي يحوي مادة وافرة وغزيرة لكتابات الشيخ صالح، سيجد طرفا من ذلك المعنى الذي أشرنا إليه.

إن تأكيدنا على وصف نشاط الشيخ صالح بالحركة بالإسلام نابع من رؤية حركية فريدة، تعرض الإسلام كلا مكتملا في وعي الشيخ من خلال منظومة شاملة لجميع انعكاسات تلك الحركة على المحيط الذي يتحرك فيه الشيخ. فهنا يتجلى فهمه للإسلام من خلال جملة من المواقف والآراء والحركات التي يحيل بعضها على بعض، ويأخذ بعضها برقاب بعض.

فما يراه بعضهم في سلوك الشيخ، يعكس له فهما ما لقيم الإسلام، يصل إليه عبر السلوك وقد يكون الشخص الذي يستوعب ذلك المعنى الإسلامي في سلوك الشيخ شخصا بسيطا أو أعجميا لا يجيد العربية فيصل إليه المعنى من خلال السلوك بموازاة من يقرأ فكر الشيخ أو يطلع على كتبه. هذا يعني أن الحركة بالإسلام في وعي الشيخ هي حركة محسوبة ومنضبطة في الوعي والسلوك والكتابة. كما يعني ذلك أن حياة الشيخ هي بمثابة كتاب مفتوح لا لبس فيه ولا غموض ولا أسرار؛ فهو يعطي معانيه لكل من اطلع عليه أو اقترب منه في حياته الخاصة أو العامة.

لقد كان حرص الشيخ على التحقق بسلوك واحد متواضع هين مع جميع الناس نابعا من إحساسه بواجب القدوة. فالقدوة هي الشرط الأساس لاستيعاب الآخرين لك، وقبولهم لنمط حياتك نموذجا لحياتهم، لا من خلال الكتابة فحسب، وإنما أيضا من خلال حياة مفتوحة ومنتصلة بالجميع.

فذلك القبول الذي جعل من الشيخ صالح رحمه الله مرجعا مجتمعيًا، داخل المجتمع السعودي يوازيه قبول آخر لدى جميع من تعرف عليهم وصحبهم عربا كانوا أم عجمًا ولهذا فقد ذكر لنا ابنه الدكتور عبد الله: (أنه، عند وفاة والده رحمه الله؛ أخبره بعض ممن حضر العزاء من مشايخ « بلطستان » أن المشايخ قد وجهوا جميع مساجدهم بإقامة صلاة الغائب، حين علموا بوفاته.)

تلك هي ثمرة الحركة بالإسلام؛ فهي تترك آثارها في كل مكان ولدى أي شخص، وتعكس إichاءها بمستوى واحد من الطاقة والنفاز، سواء أكان تعبيرها من خلال الكتابة، أو من خلال السلوك أو من خلال المواقف.

ولعل في ذلك المنهج الذي اتخذه الشيخ صالح رحمه الله ما يشير إلى قول الله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُؤْبِهِمْ ﴾ (١٩١) سورة آل عمران) حيث إن ذكر الله المقصود في هذه الآية هو: ذكر أوامر الله في كل أحوال المسلم. بحيث يشتمل ذلك جميع جوانب حياته ومختلف أوجه نشاطه. كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

هكذا قارب الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين الحركة بالإسلام، اعتقاداً وآراءً، علماً وتعلماً، كسباً وإنفاقاً، سلوكاً ومواقف؛ فوجد قبولا، وتجاوبا من الجميع داخل المجتمع السعودي وخارجه كذلك.

إن الحركة بالإسلام في عصر الحداثة، التي نجح الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين في تجسيد تكامل جوانبها خلال حياته المباركة، لم تكن مهمة سهلة، ولا رسالة يسيرة؛ بل كانت تتطوي على موازنات دقيقة، ومعرفة عميقة بشرطي النص والواقع. واستيعاب متجدد لعلوم العصر

يتهافت عليها الناس جعلت منه مرجعا للإجماع ورمزا للتوافق المجتمعي.

هكذا لم ينتبه المجتمع السعودي إلى فداحة فقد، بعد الأثر العميق الذي تركه الشيخ صالح الحصين رحمه الله، إلا عند وفاته. فقد كان يوم وفاته هو يوم العرفان الذي كشف عن عمق وتأثير الشيخ في وجدان الناس وحياتهم بما رسمه من أثر صادق على نفوسهم، وإحساس عميق بمعنى الإسلام بعيدا عن الخطابات والتأويلات الأخرى للجماعات والدعاة، وغيرهم من أصحاب الأفكار التأويلية والخطابات المؤدلجة.

حجبة الزهد في حياة الرفاهية

إن حياة الشيخ صالح في الزهد والتقلل من الدنيا، لم تكن مجرد نموذج فريد في هذا العصر فحسب، بل كانت في صورة ما بمثابة حجة واقعية دامغة على تطبيقات إسلامية في الزهد حسبها الناس تنتمي إلى أزمنة قديمة جدا. فتلك المثالية / الواقعية التي انطوت عليها حياة الزهد العميق في تجربة الشيخ صالح ربما ترتقي إلى مصاف الحجة الدامغة حيال إمكانية وجود علماء زاهدين على تلك الصورة التي بدا فيها نمط حياة الشيخ صالح خلال حياته المباركة في هذا العصر.

فذلك الزهد الفريد الذي طبع حياة الشيخ، لم يكن حتى في وارد القياس بحياة الأقدمين، إذا افترضنا مثلا أن حياة السلف الصالحين، لم تكن مليئة بمثل هذه التيسيرات والإغراءات اللامتناهية من ألوان النعيم والراحة والدعة والرفاهية في المجتمع الاستهلاكي الحديث؛ فالقياس هنا مع الفارق بالطبع.

لكننا سنجد، من ناحية ثانية، أن تلك الحياة الزاهدة للشيخ صالح في قلب النعيم وداخل مجتمع له حظ وافر من الرفاهية كالمجتمع

السعودي، ربما لم تكن بالضرورة مسلكا ضروريا لنمط العلماء وحياتهم، بطبيعة الحال، ولكن وجودها بذاته يطرح مغزى آخر في طبيعة حياة العلماء ومواقفهم.

ذلك أن التقلل من الدنيا والزهد فيها سلوك يمكن أن يفعله طائفة من الزهاد من غير العلماء فيكون ممكنا وطبيعيًا، رغم ندرته في هذا الزمن، لكن حاجة العلماء إلى ضرب ما من مستوى الزهد لا بد أن يفهم ضمن دلالات أخرى وسياقات أخرى. ففضلا عن العلاقة الجدلية بين تحصيل المعرفة والحاجة إلى التفرغ وصفاء للذهن، فإن ثمة حاجة أخرى للتقلل من الدنيا، يستعين بها العالم على استقلاليتها وحرية ليتمكن من رؤية الواقع في تجلياته المختلفة بحسب تلك الاستقلالية، وليتمكن بعد ذلك من تأسيس موقفه النقدي الذي يجعله باستمرار في حاجة إلى أخذ مسافة تمنحه الرؤية وتضع بين عينيه حقائق الأشياء وفق ما تهديه إليه رؤيته المستقلة وعلمه المستنبط.

وهكذا فقد كانت حاجة الشيخ صالح إلى ذلك النمط الفريد من حياة الزهد مستوفيه للمعنى الذي يتوخاه كل عالم جليل يدرك مسؤولية المعرفة، وضرورة استقلال العالم عن الكثير من الحاجيات ليعفي نفسه من الضغوط والإكراهات التي تقع عليه بفعل تعلقه بشيء من متع الدنيا، ومنافعها التي تتقنع وراء الكثير من المناصب والمواقع، والحيثيات المختلفة.

إن التقلل من الدنيا والزهد فيها يعكس أيضا صورة أخرى للمجتمع ويمنح صاحبه مكانا رفيعا. ذلك أن العلاقة الجدلية بين التقلل من الدنيا، والقدرة على التصالح مع الذات تمنح صاحبها أيضا خاصية استقطاب تناقضات المجتمع ومن ثم القدرة على التأثير الإيجابي في الآخرين

بسلوك ومنهج مختلف عن إيقاع حياة الآخرين في ذلك المجتمع.

وبما أن الزهد في ما عند الآخرين هو بصور من الصور إعلان ضروري للنزاهة، فإن مفاعيل النزاهة في نفوس الآخرين تعكس صورة الزاهد في مصاف مرموقة ومرتفعة. وهذا تحديدا ما جعل الشيخ صالح يتبوأ مكانا مرموقا في قلوب الناس.

بيد أن تلك المنزلة لم تكن فقط بمجرد زهده، أو علمه رحمه الله وإنما كانت أيضا بفضل خبرته العميقة بطبيعة توصيل دعوته إلى الآخرين والطرق المتعددة التي تجعل من علاقاته المفتوحة على الجميع سببا لتلك المنزلة.

ولعل من أهم المفارقات التي تتكشف في ما يعرفه الناس من أحوال تلك الشخصية الزاهدة للشيخ صالح هو: أنه في مقابل ذلك الزهد المنقطع النظير كان في الوقت عينه يصرف الملايين التي تقع في يده على الأسر الفقيرة بالمدينة المنورة وغيرها، داخل المملكة وخارجها، دون أن يعلم ذلك إلا القليل من الناس. ولكن لأن طبيعة الكاريزما التي يمنحها الزهد لصاحبه تظل باستمرار مصدرا يتداوله جميع الناس بتناقل أخبار تلك الشخصية، ومواقفها يصبح السر الذي يكتمه حدثا معلنا لما فيه من قيمة ذاتية ومعنى طيب. بل لقد كان الشيخ صالح الحصين رحمه الله يرى أن مرتبه الذي يتقاضاه من الحكومة ليس له الحق في أن يأخذ منه ما يتجاوز كفايته. وبحسب إفادة ابنه د. عبد الله، فإن منزل الشيخ في مكة المكرمة حينما كان رئيسا لرعاية شؤون الحرمين كانت مساحته لا تتجاوز ٥٢ مترا مربعا، مكونا من غرفتين فقط عرض أحدهما لا يتجاوز مترين ونصف ٩.

لقد كان الشيخ صالح الحصين يقيم حياته على سجية الزهد ويرتقي بتلك السجية إلى أحوال عادية من يوميات حياته. فهو مثلا لم يخبر أهله عندما تم تعيينه رئيسا لرعاية شؤون الحرمين، لأنه كان يرى في ذلك التعيين حدثا عاديا، إن لم يكن بلاءً لا يريد أن يفجعهم به، وقد لا يحتاج حتى إلى إخبار أقرب الناس إليه. وما علمت زوجته إلا بعد أسبوعين من التعيين بطريق الصدفة!

وحين يتداول الناس أسرار ذلك الزهد قد لا يدرك الإنسان الزاهد أن جزاء زهده ذلك هو تكريم من الله له، وإذاعة لأعمال الخير التي تحقق انتشارها بين الناس كالرائحة العطرة بمحض الجمال الذي تتطوي عليه، فينتشر بسرعة بين الناس.

ولا تبلغ حجية الزهد في نمط حياة الشيخ صالح الحصين كمالها إلا من خلال الكثير من المفردات المتصلة بحياته رحمه الله، فبقدر ما كان الشيخ يكره أن يذكره الناس أو يثنوا عليه بين يديه، بقدر ما كانت أعماله الخفية تجد من ينشرها بين الناس على كره منه لتزداد منزلته حبا بينهم.

لقد كان ذلك الزهد الذي طبع حياة الشيخ صالح منعكسا بصورة من الصور على أخويه: الشيخ سعد الحصين، والمهندس عبد الله الحصين وزير الكهرباء والماء في الحكومة الحالية حيث إن كل من الشيخ وأخويه جسدوا علاقة بارة فريدة مع والدتهم رحمها الله فقد كانوا لفرط تواضعهم أمامها وتذللهم لها، لا تكاد تعرف منزلتهم المرموقة في مواقع المسؤولية والعمل العام.

ومما يروى عنها بخصوص تعليقها على التهنئة بتعيين ابنها الشيخ

صالح الحصين وزيراً بالدولة قولها: (اللَّهُ يَخْلِفُ عَلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ، وَلِي صَالِحٌ لَا يَصِلُحُ إِلَّا إِمَامٌ مَسْجِدٌ وَأَخُوهُ سَعْدُ الْمُؤَذِّنِ وَعَبْدُ اللَّهِ الْفَرَّاشِ)

وبالرغم من أن كلام الأم هو نتيجة لتقرير حال أبنائها معها في علاقات البر المطلق فقد حسبت أن حالهم معها هو حالهم في مختلف جوانب الحياة الأخرى. وهذا مبلغ من الزهد يكشف عن معنى عميق وتمكن بالغ من تحويل سجايا الزهد إلى عوائد يومية وحالات خاصة بين يدي الوالدين بطريقة نادرة التعبير.

فمعايير الكفاية التي أبدأها الشيخ صالح الحصين حيال كل المناصب التي أوكلت له كانت تتجاوز بكثير ظن أمه الطيبة، فما قدمه الشيخ صالح الحصين من نجاحات وتغييرات إيجابية في كل المواقع التي تولاها كانت علامة مميزة على تاريخه وآثاره.

لقد كان الشيخ صالح قدوة في التواضع والكفاية وبمثل قدرته على امتلاك مهارات إخفاء أعماله في مجال البر والخير، وخدمة الناس، كان لأسلوبه العلمي حظ من ذلك التواضع. فالزهد في العلم لا يعني الإقلال منه، ولا قلته في نفس الشيخ، بل كان التواضع في العلم لديه ينطوي على: ملاحظة الدرس العلمي بطريقة دقيقة، ومنح الإفادة العلمية للناس بأكثر الطرق حيادية وموضوعية. بحيث لا يكون في سياق الإفادة العلمية ما يشير إلى أي علامات لتضخم الذات وتمجيد الأنا أثناء البحث في القضية العلمية.

وبحكم مناصبه التي كانت تضعه باستمرار أمام استحقاقات توجب عليه إبداء موقفه العلمي المستقل، والإبانة عن وجهة نظره بعيداً عن الضغوط والإكراهات فقد كان الشيخ يبدي آراءه بكل تواضع للنفس، وقوة

في الحجة، واستقلال في الرأي مهما كانت الظروف ففي كثير من المسائل التي اضطر للكتابة عنها مخالفا توجهات الرأي العام فيها، ومبديا رأيه بحجج علمية، كان الشيخ يكتب إفاداته ويقدمها لمن هو أولى بالاطلاع عليها، ولا يمل كذلك من تجديد الكتابة في المسألة، وعرضها بأدلتها في الصحف عبر مقالات. ولعل من أبرز القضايا التي أبدى فيها رأيه بوضوح وأبان فيها وجه الصواب الذي وصل إليه؛ مثل قضايا الربا، والمصرفية وقضايا تحديد عدد الحجاج والافتراش في المشاعر المقدسة.

ورغم أن بعض هذه القضايا تحتمل وجهات نظر مختلفة إلا أن الشيخ صالح الحصين رحمه الله أراد من ذلك تبيان موقفه بكل تواضع، وتجرد واحترام للآراء المخالفة.

فلم يكن في وارد ذلك الاختلاف أن يبحث عن صيت أو ردود أفعال بقدر ما كان يقوم بمهمة الإبانة عن قضية عرف فيها وجوها أخرى، وفند فيها آراء الآخرين، ولاسيما أولئك الذين تناولوها في الصحافة ضمن كتابات عامة وغير متخصصة.

إن سمة التواضع التي طبعت الشيخ في منهجه المعرفي نابعة بالأساس من القدرة على التفريق الدقيق بين: تبيان الحقائق المجردة في المسائل العلمية، وبين البعد عن أي صيغة غير محايدة في الاستدلال، سواء من خلال عبارات الاستطراد غير المفيد أو من خلال استخدام عبارات يفهم منها إطراء خفيا للذات.

وفي إفادات الشيخ ومقالاته العلمية ثمة وعي منطقي في النظر إلى إطار المسائل العلمية، ومرد ذلك في تقديرنا يعود إلى استنارته بنصوص الوحي، وثقافته العصرية ورؤيته العقلانية وإدراكه لسبل المناقشة

المنهجية عبر تقديم الآراء من خلال قواعد عامة للفهم، وأسباب منطقية قابلة للتعلل. وهي مشتركات معرفية جعلت من أسلوب الشيخ في إفاداته العلمية ومقالاته متصلا بروح العصر، وقادرا على استقطاب شريحة واسعة من القراء والمتابعين؛ سواء عبر الصحافة، أو عبر المواقع الإلكترونية.

وهكذا فإن حجية ذلك الزهد التي تجلت لنا عبر الحياة الفريدة في نمط وسلوك الشيخ صالح جعلت من إمكانية تجديده والسير على منواله أفقا ملهما، ليس فقط للذين يبحثون عن قدوة في هذا الزمن الصعب، فحسب؛ بل وكذلك للقناعة بحقيقة المثالية / الواقعية الممكنة في تطبيق تعاليم الإسلام ذاته.

لقد أبان ذلك النمط الفريد في زهد العلماء كما في تجربة الشيخ صالح الحصين أن دلالة الزهد هنا ليست دلالة مادية ظاهرة، كالعلامات التي يفترضها العامة في أحوال الزهاد من حيث اللباس والهيئة وغير ذلك؛ بل تكمن تلك الدلالة في منهجية اللطف البالغ والسلوك القويم، والعلم الرشيد، والانخراط في الحياة العامة بمعادلة صعبة للتوفيق بين التصالح مع الذات والنزاهة والتواضع واستيفاء شروط الاستجابة لتحديات المهنة.

وهكذا لم يكن زهد الشيخ صالح الحصين، انسحابا من المجتمع واعتزالا له، وإنما كان زهدا قلبيا كاملا؛ تجسيدا للتوجيه النبوي الشريف في الحديث (الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم).

إن السر الذي يكمن في خاصية ذلك الزهد لنمط وحياة الشيخ صالح، هو امتلاء النفس بمراقبة الله في السر والعلن، والانتباه إلى ملاحظة الفعل



والترك من أجل الله سبحانه وتعالى. وهذه سمة تجعل من الإنسان هينا لينا لطيفا في سمته العام، لكنه في الوقت نفسه قويا صعب المراس في مواقف الحق ومواطن الصدق.

بيد أن تلك المواقف والمواطن التي تقتضي الصلابة لا تظهر فيها صلابة الشيخ في مظاهر فجة، فالقوة والصلابة هنا من أجل الحق، لا لصورة التعبير عن الحق. والتعبير عنها أيضا يظل في سياق قوة التعبير، لا تعبير القوة.

ومن أهم ملامح تلك الصلابة التي تقتضي قوة في الحق: أن تكون الحاجة لتبيان الحق في مختلف القضايا نابعة من مبادرة فردية ظهر فيها وجه الحق للشيخ نتيجة لمعرفة علمية وحجة راجحة، وبحيث يُعَبَّر عنها وفق أمثل وأبلغ الطرق الموصلة إلى ذلك الحق، وكذلك من سمات تلك الصلابة: تجديد الكتابة في المسائل التي اقتضت ذلك الموقف. وهكذا كان الشيخ يمارس بمنطق الزهد وعظمته كل المقتضيات الموجبة للقيام بمسؤولياته دون ضجيج، ودون أن يجعل من مواقفه تلك عرضة لاستقطابات الرأي العام، أو ردود الأفعال.

الشخصية المتكاملة: معيار القبول

إذا ما أردنا تأمل الخيط الناظم لذلك العقد الفريد من الصفات والأخلاق والمواقف التي اجتمعت في حياة الشيخ صالح سنجد أن معيار القبول الذي خصه الله سبحانه وتعالى به بين أوساط الناس، وفي مساحة واسعة من عمره المديد؛ كان يتمثل في إجادته التامة لأداء دور الشخصية المتكاملة؛ فالحياة داخل المجتمع تعكس حالات مختلفة لصفات الأفراد، كما تعكس حالاتهم الغالبة من حيث طبيعتهم.

وفي الزمن المعاصر الذي نعيشه أصبحت تخصصات الناس متشعبة على نحو بالغ التعقيد. ومع اتساع التعليم وتنوع المعرفة كثرت التخصصات العلمية، وأصبحت مهارات الناس أكثر تحديدا في نشاطهم.

بيد أن إشكالية التخصص العلمي الديني ظلت مؤثرة في حياة الناس داخل المجتمع السعودي حيث أصبح علماء الدين بفعل مؤثرات كثيرة مندرجين ضمن تمييط عام جعل من ردود أفعالهم في حياة الناس مرتبطة بمسألة الفتوى في المملكة العربية السعودية. ومع تشكل تيار ما سمي بتيار الصحوة الإسلامية بدأت النزعات الحركية والاتجاهات الدعوية تغلب على حياة الدعاة، ولاسيما أولئك الذين اكتسبوا حظاً من العلم الشرعي ثم انخرطوا ضمن تيار الصحوة في أنشطة دعوية عبر برامج التلفزة والفضائيات. وبمرور الوقت توزعت مساحة النشاط العام في الإعلام بين الدعاة والعلماء.

وبالرغم من تأثير الكثير من العلماء أصبح واضحا في حياة الناس، سواء عبر الفتوى، أو عبر البرامج التلفزية والإذاعية، وكذلك تأثير الكثير من الدعاة إلا أن منهجية الخطاب العلمي والدعوي اكتسبت طابعا متميزا ومحفوظا لكل منهما.

ووفق ذلك التمييز الذي وسم طبيعة الخطاب العلمي والدعوي في المجتمع السعودي كان التأثير المنبثق عن ذلك الخطاب يجد ردود فعله في شريحة معينة من متلقي الخطاب العلمي والدعوي.

وفي كلا الخطابين لا يكاد المتابع يجد ما يشكل اختراقا مختلفا، واستقطابا فريدا في الساحة المجتمعية نتيجة لخطاب متميز يجمع في رؤيته قابلية مختلفة للتأثير على المجتمع بأكمله. ربما كان نموذج الشيخ



صالح الحصين رحمه الله نموذجا مختلفا وفريدا في تأثيره على مختلف أطياف المجتمع السعودي ليشكل بسيرته تلك ما أسماه بعض الكتاب مرجعية مجتمعية ذات قبول واسع من الجميع.

وإذا ما عرفنا ذلك الأثر العظيم للأمانة الذي كان طابعا لحياته، في جميع أطياف المجتمع السعودي، ربما أمكننا التعرف على مفاتيح أخرى لشخصيته شكلت قيمة مضافة إلى قيمة الأمانة في سيرته.

فالشيخ صالح الحصين رحمه الله كان إلى جانب زهده الفريد يمتلك العديد من الصفات الممتازة. وربما كان جوهر تلك الصفات يكمن في شخصيته المتكاملة. فقد كان رحمه الله ذا شخصية متكاملة في المعرفة، حيث جمع بين معرفة الشرع، ومعرفة علوم العصر، كما كان ذا تجربة مخضرة إذ عاش حياته داخل المجتمع السعودي، ثم تعرف على مجتمعات أخرى كالمجتمع العربي المصري اثناء دراسته وإقامته بمصر لأكثر من خمس سنوات؛ هذا بالإضافة إلى تعرفه على المجتمع الغربي والحضارة الغربية من خلال سفره إلى بعض دول العالم الغربي والشرقي. إلى ذلك جمع الشيخ صالح الحصين بين العمل العام في إطار الدولة ومن داخل العديد من مؤسساتها، فخير العمل العام، كما عمل بالتدريس الشرعي في بعض المعاهد العلمية والجامعات بالسعودية.

هذه الخلاصة المكثفة التي استقطبت علاقات واسعة اختبرها الشيخ من واقع حياته فيها جعلت منه أكثر بصرا في خطابه الدعوي والديني، كما جعلت من تجربته تجربة فريدة. فلهذا كانت ثمارها مختلفة وأكثر عطاء.

فقد كان الشيخ صالح من ناحية عالما شرعيا، ومن ناحية ثانية

متحدثا بارعا ومحاورا مقنعا باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وذا اطلاع بعلوم العصر في الوقت نفسه. ثم جعل من الزهد الإيجابي النمط الناظم لكل تلك المؤهلات العميقة والمتعددة فكانت النتائج مذهلة ومفضية إلى ذلك القبول الذي أحاله رمزا مجتمعا لا يكاد يختلف عليه أحد.

لقد فك الشيخ صالح شفرة التواصل الخلاق في قدرته المؤثرة في جميع شرائح المجتمع. وذلك من خلال التوازن الذي كان رديفا للتكامل في شخصيته العلمية والاجتماعية.

وإذا كان منهج الأمانة قد فتح له كل إمكانيات التواصل مع جميع أفراد المجتمع مع ما يقتضيه ذلك من صبر وتحمل وحب للجميع، فإن شخصيته العلمية المتكاملة في جمعها بين معرفة العصر وتحدياته والشرع وسماحته؛ كانت منتجة للمحتوى العميق من المعرفة الذي امتزج بذلك التواصل الإنساني.

إن التفاعل العميق بين الإخلاص والتواضع الذين ينتجهما الزهد من ناحية، والمعرفة التي ينتجها العلم من ناحية ثانية جعل من مختلف شرائح المجتمع السعودي أكثر قبولا للمعايير التي قدمها الشيخ في خطابه وحركته بالإسلام.

ولو تأملنا أكثر في تلك المنظومة التي جعل منها الشيخ مستودعا لخبرته المؤسسة لخطابه على هامش وسائل الإعلام، نجد أن ثمة معادلة دقيقة تقابلت تماما مع الجوانب المختلفة لشرائح المجتمع السعودي.

فالشيخ صالح بعمله في الحكومة من خلال مناصب رفيعة امتلك خبرة في خطاب شريحة مقدررة من موظفي الدولة، كما أنه جعل من خبرته التي اكتسبها من معرفته باللغات الأجنبية وقراءاته، واحتكاكه بمجتمعات

خارج المملكة العربية السعودية وجد وسيلة لمخاطبة شريحة أخرى من المجتمع السعودي كانت أكثر قبولا للتفاعل مع خبرته تلك، وأما من حيث كونه عالما شرعيا ومعلما للعلم الشرعي كان أيضا ذا صلة بشريحة واسعة من المجتمع.

ونتيجة لهذا التكامل الفريد والتوازن المنهجي في شخصيته المعجونة بطينة الزهد والمعرفة ترك الشيخ ذلك التأثير الكبير بين الناس بمختلف توجهاتهم داخل المجتمع السعودي.

ثمة صفة أخرى ربما أدت دورا مضافا إلى كل تلك المنظومة الفريدة من صفات الشيخ صالح، وهي: تلقائيته التي لا تبحث عن حيثية ما، لتعكس من خلالها صورة نمطية عنه، بل كانت تلك التلقائية والبشاشة هي الفيصل في الإيحاء عبرها وتمير خطابها العلمي والمعرفي من خلالها. وهي لاشك في أنها من أفضل الحالات التي يتقبلها المجتمع ويصغي إليها. لقد كان في كل لقاء للشيخ صالح بالناس، بكل فئاتهم مناسبة لعكس أحواله السلوكية والقولية المؤثرة، ثم كانت القدوة هي المثال الذي يرسخ تأثيره العلمي والسلوكي في نفوسهم.

يمكننا القول أيضا أن منهجية الشيخ صالح، وهي تختبر مآلات القبول في نفوس الناس كانت تتأكد يوما بعد يوم من جدوى تلك الصيغة الفريدة لعلاقة التواضع بالمعرفة وعلاقة القول بالفعل، وعلاقة القدوة بالتأثير.

فذلك هو بالضبط ما جُمع نمط حياة الشيخ، وتفرق عند غيره؛ فكان تأثير الكبير على ذلك النحو من الفاعلية والإيجابية.

وبطبيعة الحال لا يمكننا الفصل بين تلك الصفات ونحن نتتبع طرق

تأثيرها ومنهجية فاعليتها. فما نختبره نحن عبر الكتابة والبحث من خلال ذلك الفصل بين الصفات وتحليل كل خاصية على حدة، لم يكن كذلك في الواقع؛ لقد كانت تلك الصفات في واقع سلوك الشيخ بنية متكاملة، ومنظومة تشغل بطاقة فريدة من التماهي والتواصل

ولقد كانت الخلفية القانونية للشيخ ضمن تلك الصفات من أهم أدواته في طرق الحجاج، سواء أكان ذلك مع المسلمين أم غير المسلمين. وكما لو كان يتخذ من قول الله ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فإن أسلوبه الرامي دائما إلى توخي الحق بحساسية عالية، كان يجعل من مخاطبه دائما في دائرة اللين واللطف.

ولهذا كما يخبرنا ابنه الدكتور عبد الله؛ بأن والده أحيانا حينما تخطر له فكرة ما، ويرغب في التحقق من صدقها وحقيقتها، يعرضها على القرآن بل ويخصص لها ختمة كاملة مستشرفا لمعرفة هداية الله للناس في هذه المسألة حتى يفتح الله عليه في فهمها ويتبع معناها في آياته. وبهذا توصل إلى أخطر خاصية جعلت من منهجه في العلاقة مع الناس منهجا إيجابيا وهي مسألة الحكم على الأشخاص والآراء، والأشياء، والحوادث والتي توصل فيها إلى أن الحكم الحقيقي على الأشخاص لا يمكن أن يكون، بحسب القرآن، إلا بشرطين اثنين هما: العلم، والعدل.

فلا ينبغي أن يكون مصدر الحكم على الأشخاص أو الآراء أو الوقائع نابعا من الإعلام مثلا أو من كلام الناس أو حتى من الشهادات المبتورة؛ بل لا بد أن ينبع في الأصل من العلم بذلك الشخص أو الواقعة أو الشيء، علما وافيا ومحيطا ودقيقا، والعدل في ما يستحقه في الحكم عليه. فلو أدرك الناس هذه المنهجية في حكمهم على الأشخاص والوقائع والأشياء لأصبحت أحوالهم أكثر عدلا.



ولعل اختبار الشيخ لهذه المنهجية في الحكم على الناس هي التي سمحت له بذلك القبول بينهم، ووفرت له محيطا واسعا من مساحات التأويل المفضية إلى حسن الظن لأن في مساحات التأويل وحسن الظن، وتغليب الخير في الحكم على الناس عند عدم معرفتهم معرفة حقة، ما يجعل المرء مرتاحا في ضميره.

وهكذا يمثل هذه الاحترازات الدقيقة، والمنهجية الراقية، والإدراك العميق بحساسية العلم الشرعي وبذله بصدق، وتوسل المعارف العصرية المختلفة لفهم الناس؛ تمكن الشيخ صالح من تأسيس قاعدة عريضة من القبول بين أفراد المجتمع الذين بادلوه إحسانا بإحسان.

ان ذلك الصديق في اختيار منهج الحق والعمل به ضمن رؤية علمية، وسلوك زاهد وجهد متصل، هو الذي جعل من مسيرة الشيخ صالح بين الناس مسيرة عامرة بالقبول والتفهم والاستعداد للتلقي منه والاستزادة بحب من منهل علمه الدقيق، وفهمه الثاقب، ورؤيته المتميزة ولو خالف آراءهم وتوجهاتهم. ولقد كان هذا القبول الواسع لخطابه المستبصر بعيدا عن وسائل التلفزة والفضائيات، فهو خطاب من شدة جذبه وتأثيره وصدقته؛ يتناقله الناس ويعتبرون به، ويحرصون عليه.

كان الشيخ صالح يمتلك من سوية الشغف بمنهجه في الخطاب والدعوة، أن جعل منه كتابا مفتوحا لكل من يعرفه أو يلقاه. وفي سبيله القاصد إلى الدعوة، لم يكن يفرق بين المسلمين بل كان يذهب إلى البلاد البعيدة في مجاهل إفريقية أو آسيا أو صقيع أوروبا؛ فيندمج في العيش معهم بكل ما عرف عنه من بساطة وتلقائية.

ولقد جعل من سمته ذلك وسيلة للتواصل مع الجميع، مسلمين وغير مسلمين. وكان في خطابه وحواره مع غير المسلمين ينتهج سبيل اللين

نفسه والالتزام بقواعد المعرفة العامة، والاستفادة من ثقافته الشرعية القانونية الواسعة في استثمار خبرتها في الحوار. ولطالما حاور الشيخ الكثير من الوفود الغربية التي كان يلتقي بها في مختلف المناسبات، وكان يصل معهم إلى مشتركات يتقبلونها. أو يزيل عنهم شبهات قد علق بأفهامهم عن الإسلام أو عن بلاد الحرمين، أو ربما أثار لديهم أسئلة منطقية على مدى مصداقية مركزية المدينة الغربية ومرجعيتها.

هكذا كانت حياة الشيخ صالح عيشا مباركا ابتداء من الاتساق الأخلاقي الذي وهبه روحا وقبولا بين الناس، والاتساع المعرفي الذي منحه قدرة على اختبار العلم والدعوة بأبلغ الطرق وأيسر السبل، وصولا إلى المناصب الرفيعة التي تقلدها وترك فيها أثر حميدا وفاعلا. فحين تولى الشيخ صالح رئاسة شؤون الحرمين كان حريصا على مهمتين نبيلتين الأولى هي: أن يجعل المساواة تامة في الحقوق بين الناس في الحرمين تحقيقا لقول الله تعالى (سواء العاكف فيه والباد) والثانية: رفع المستوى العلمي والتأهيلي لمعاهد الحرمين العلمية والارتقاء بالدرجة العلمية في مستوى شهاداتها إلى مصاف درجات القبول في الشهادات الجامعية. ولقد بذل جهدا مقدرًا في تينك المهمتين دون ضجيج أو حفاوة إعلامية.

ربما ندر أن نجد من يجمع تلك الصفات المتعددة والفذة في منظومة واحدة من الفكر والسلوك، كما توافرت في الشيخ صالح. ولئن حدث ذلك مرة في هذا الزمن الذي عاشه الشيخ صالح بيننا، فإن تلك الحجية البالغة لحياته الزاهدة ستظل عنوانا نادرا، وتذكيرا مستمرا بإمكانية العيش بتعاليم الإسلام في حدود تقارب المعنى المثالي للزهد في هذه الأزمنة. وهو تذكير لا يبلغ حجيته تلك إلا بمثل هذه الواقعية الحية للزهد الإسلامي العميق كما تمثل في السيرة العلمية والسلوكية العطرة للشيخ صالح رحمه الله.



الفصل الثالث



الخطاب الفكري
للشيخ صالح الحصين
قراءة تحليلية



تمهيد

قدم الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين الرئيس العام السابق لرئاسة شؤون الحرمين، ورئيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني رحمه الله جهدا فكريا رصينا في مؤلفاته عن القضايا الإسلامية؛ كان هدفه الأساس منها؛ تأسيس رؤية معاصرة بمرجعية إسلامية وتكوين خطوط عريضة كمقدمات قابلة للتفصيل والإضافة، فيما بعد.

ذلك أن الشيخ صالح، لم يكن يكتب إلا لحاجة وضرورة تقتضيها الكتابة. وحين يكتب في قضية ما لا يكتفي فقط بالمرور عليها؛ وإنما يبحثها ضمن رؤية متماسكة، وأفق فكري رصين. بالإضافة إلى دقة في الأسلوب ومنهجية في الطرح وعمق في المضمون واختصار غير مخل.

ومع اختلاف الموضوعات التي تناولها، إلا أنها تميزت بالحيوية من ناحية، وبالاندراج في مشروع حياته المتصل بهدفين اثنين هما: إعادة

الثقة للمسلمين بدينهم العظيم. ونزع الانبهار بحضارة الغرب المعاصرة عبر نقد الأفكار السلبية التي تنطوي عليها، مع الإقرار بقيمتها الإيجابية بلا إفراط ولا تفريط.

في هذا الفصل بعنوان (الخطاب الفكري للشيخ صالح الحصين) ثمة محاولة لقراءة واستبطان رؤيته الكلية في مجمل كتبه، من خلال تحليل الأفكار الرئيسة لها؛ اعتماداً بالأساس على كتابه (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب) إلى جانب كتبه الأخرى.

التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب

أقر الإسلام، ضمن مبادئه الكلية المتصلة بمفهوم التعارف؛ قضية قبول الآخر. وهي قضية أصبحت اليوم من أهم قضايا التواصل الإنساني ولاسيما في ظل التواصل المعرفي لهذا العصر من خلال ثورة المعلومات والاتصالات التي تعتبر فضاءً عالمياً لاختبارفاعلية مبدأ التعارف الإنساني في الإسلام. ذلك أن فكرة التواصل الإنساني تتبع في الإسلام من تصوره للكون والإنسان والحياة في المنهج القرآني. فالعلاقات الثنائية القائمة بين البشر على مفهوم التكامل الإيجابي هو ما حض عليه الإسلام وشرع له في أكثر من موضع في القرآن الكريم، والحديث الشريف.

ومن خلال الرؤية العميقة المتأملة في المغزى الإنساني لفكرة التواصل المنبثقة عن التعارف، والمتضمنة بالضرورة قبولاً للآخر؛ سنجد الكثير من الأدلة الواضحة والداخضة لخرافات كثيرة أشاعها المستشرقون عن الإسلام؛ كالقول بأن الإسلام انتشر بحد السيف، ومن ثم بناء الكثير من المفاهيم المغلوطة على هذه الفكرة؛ مما سهل لهم في النهاية إصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين اليوم، خصوصاً بعد جرائم

أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

ضمن هذه الإشكاليات التي تواجه الإسلام بمفاهيم مشوشة، اهتم الشيخ صالح بالكتابة في هذا الصد.

ومن هذا المنطلق، يُعتبر كتابه «التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب» بمثابة محاولة رصينة، ومواجهة عقلانية عميقة لتحليل ونقد تلك المفاهيم المشوشة عن الإسلام، والإبانة عن الموقف النظري الصحيح في رؤيته الإسلامية حيال تلك الاتهامات التي اشتغل بها بعض الكتاب والسياسيين في الغرب انطلاقاً من مرجعية استشراقية حاولت أن ترسم صورة مغايرة ومضللة عن الإسلام، والرسول محمد صلى الله عليه وسلم؛ بهدف تمرير توجهات سياسية وأيديولوجية، بعيداً عن المنهجية الموضوعية في النقد، ودون أي اعتبار لمهمة البحث الرصين.

لذلك نأمل في هذا الفصل دراسة بعض نماذج الكتابات الفكرية للشيخ صالح رحمه الله حول تلك القضايا والاتهامات؛ من خلال تطبيق المنهج التحليلي لدلالاتها على مجمل أعماله. وذلك لأهمية التحليل كمنهج يبحث في الأصول الأولى للمعاني والأفكار ويعيد تركيبها؛ ليتأمل من خلال عمليتي التحليل والتركيب السمات المنهجية النازمة لتلك المعاني والأفكار، ويكشف من ثم عن خصائصها الإيجابية.

ذلك أن كل كتابات ومحاضرات وأقوال الشيخ الحصين - رحمه الله - تستحق الوقوف المتأنى بالبحث؛ لمعرفة المغزى الواعي والدلالة المنهجية العميقة التي تنطوي عليها. فالشيخ رحمه الله تميز بقدرات تحليلية عالية، وتدقيق منهجي رصين في دراسة الأفكار التي يكتب عنها.

ومن خلال القراءة المتأنية وفق المنهج التحليلي لتلك النماذج

الكتابية للشيخ صالح، يمكننا القول: أن ثمة فكرة مركزية كاشفة وملخصة لرؤية الشيخ صالح في منهجه المتصل بمواجهاته المعرفية لجملة من الاتهامات الموجهة للإسلام. هذه الفكرة تبدو لنا واضحة في هذا النص المقتبس من كتابه «التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب» حيث يقول:

(الإسلام عقيدة ومبادئ وأحكام، وليس الإسلام أصنافاً من البشر يسمون مسلمين، أو تاريخاً للمسلمين، إلا بقدر ما يكون الإسلام مطبقاً عملاً في حياتهم)^(١).

من خلال هذه العبارة القصيرة العميقة يبدو لنا أن الشيخ صالح قدم لنا فصلاً منهجياً ومعرفياً واضحاً بين الإسلام في نصوصه المؤسسة (القرآن والسنة) وبين التمثلات والتطبيقات المختلفة للمسلمين في تاريخهم لمبادئ الإسلام. هذا يعني أيضاً أن العبارة تتضمن تفرقة واضحة بين الدين والتدين، فإذا كان الدين هو نص الوحي من ناحية، والتطبيق النموذجي للإسلام في عهد النبي من ناحية ثانية؛ فإن التدين هو مجمل تطبيقات المسلمين في التاريخ.

وأهمية هذا الفصل بين الدين والتدين تبدو ضرورة منهجية لتحرير النقاش والجدل حول تلك الاتهامات التي تنتشر في الغرب وتخلط بين الإسلام والمسلمين. ذلك أن الهدف في هذه العبارة هو تمييز معنى الدين الإسلامي، وفصله عن التطبيقات المشوهة، أو المحرفة، أو المغرضة لبعض مفاهيمه من قبل بعض المسلمين اليوم، لاسيما تأويل الجماعات المتطرفة ممن يدعون حيابة فهم حصري وأحادي الإسلام؛ فيما هم يمنحون بتصرفاتهم تلك للغربيين أكبر فرصة لاتهام الإسلام بما هو

(١) الشيخ صالح الحصين، كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ٢١، طبع مؤسسة الوقف الإسلامي، الرياض، ١٤٢٩م ٢٠٠٩م

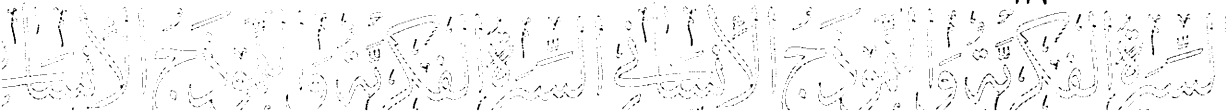


بريء منه، ويؤكدون لهم تصوراتهم المسبقة ذات المرجعية الاستشراقية حول الإسلام مثل عدم التسامح، وإلغاء الآخر، وغير ذلك.

انطلاقاً من رؤية تقوم على أن العلاقة مع الآخر المختلف هي الحوار لا الصراع، والجدل لا العنف فإن الإسلام دعا إلى الحوار مع الآخر المختلف وقبل التعايش معه. ولعل في (وثيقة المدينة) التي ربما تعتبر أول وثيقة سياسية مكتوبة للتعايش السلمي دلالة واضحة على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب هذه الوثيقة مع اليهود كمعاهدة ناظمة للسلم والعيش المشترك، وذلك عند هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة. ولهذا فإن مبدأ قبول الآخر هو النمط الذي شكل طبيعة العلاقات الدولية في الإسلام. بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول الأخرى.

إن الفكر المنفتح على تجسير العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى ظل هو الأفق الذي جعل من المسلمين قادرين على نشر الإسلام من خلال الحوار والتواصل. وبديهي أن مبدأ الحوار يتضمن اعترافاً بالمحاور وقبولاً للعيش معه ومجادلته بالتّي هي أحسن.

ولعل أبرز أسباب دعوة الآخرين إلى الإسلام نابعة من أن الإسلام دين إنساني وعالمي بطبيعته؛ فالمبادئ الكونية التي أقرها الإسلام وجعلها أصولاً كبرى لمنهجها؛ مثل حرية العقيدة، والكرامة الإنسانية، ووحدة الأصل البشري، والتعارف تؤكد عالميته من ناحية، وتؤكد استحقاقه لجميع البشر بوصفهم أمة للدعوة بالحوار وبعيدا عن الإكراه من ناحية ثانية، مصداقاً للآيتين الكريمتين من سورة سبأ ﴿وَإِنَّا أَوْيَاتِكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾. ومن ثم فإن مبدأ التسامح لا العدوانية هو الأفق الذي تنفتح عليه دعوة الإسلام



للناس ولهذا لا يمكن لمن يدعو إلى الحوار وفق مبادئ عامة وقيم إنسانية أن يكون عدوانياً بحسب الآية الكريمة ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾؛ مما يعني أن ثمة تشويشا كبيرا وتضليلا عمم في الغرب حيال رؤيته للإسلام. هذا يعني أيضاً أن قراءة الإسلام من خارجه، ومحاولة التعرف عليه بطريقة موضوعية تقتضي مناهج معرفية لا أيولوجية، ومفاهيم موضوعية لا تأويلات سياسوية مفرضة؛ على ما حاول الكاتب الأمريكي (صموئيل هنتغتون) صاحب كتاب صراع الحضارات.

ولعل الأهمية في دراسة الشيخ صالح الحصين وردوده على مثل هذه الأفكار نابعة من كونه، أولاً: رئيساً لرئاسة شؤون الحرمين، حيث قبله المسلمين، وثانياً: من كونه رئيساً لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، وثالثاً: لأن الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، جمع بين المعرفة الشرعية من ناحية والمعرفة المستندة إلى مفاهيم العصر وتياراته من ناحية ثانية هذا إضافة إلى كونه يجيد أهم لغتين للمعرفة في هذا العصر: الإنجليزية والفرنسية؛ مما يتيح له موقعا مركزيا في السجال الدائر حول تلك القضايا.

كذلك اهتم الشيخ صالح في أبحاثه الشرعية بعلمين مهمين لهما تأثيرات قوية وعميقة في الحياة المعاصرة، وهما علما الاقتصاد والقانون. فكتب إلى جانب قضايا الفكر والحريات والعلاقات الدولية ومزج كتاباته تلك برؤى معرفية عميقة آمن بها.

وتأتي كتابات الشيخ صالح، رحمه الله، ضمن مشروعه الدعوي والمعرفي حيال قضيتين أساسيتين لا يمكن إدراك رؤيته الكلية في الكتابة إلا من خلالهما؛ هاتان المهمتان هما: إعادة المسلمين إلى الثقة بدينهم، وكشف زيف الانبهار بالحضارة الغربية من خلال مناقشة الأفكار



الأساسية في هذا العصر؛ سواء أكانت متصلة بالفكر أم كانت بالاقتصاد أم كانت بالقانون أم بالوطنية.

قضايا كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب

تعرض الشيخ الحصين - رحمه الله - من خلال كتابه هذا للإشكاليات التي طرحها السياسيون والكتّاب والمستشرقون، برؤية نقدية عميقة، واستشهد في ردوده الرصينة بالعديد من الأساليب العلمية، مستخدماً قدراته المعرفية، ومعتدداً على مبدأ النقاش والحوار عبر المشتركات التي يتيحها الموضوع. فكان يستشهد بحقائق التاريخ، ودلالات الواقع، وشهادات العدول من أهل الإنصاف في الغرب كتاباً وباحثين ومستشرقين وغيرهم وتحليل حجج الخصوم ودفعها مستثمراً ثقافته القانونية المرموقة. كما تصدى الشيخ صالح الحصين، في كتابه هذا لشبهات مختلفة، صدرت من جهات عديدة؛ بعضها يتصل بمفاهيم الاستشراق، وبعضها بالشبهات التي يطلقها المفكرون والسياسيون في ردود فعلهم على بعض الأحداث التي تمارسها الجماعات المتطرفة. وفي كل تلك المحاججات اتسم أسلوبه بالرصانة والهدوء، والتدقيق المنهجي والقدرات التحليلية العالية في معرفة نقاط ضعف الخصم، وتدوير زوايا النظر في القضية الواحدة، وغير ذلك.

قضية انتشار الإسلام بالسيف

في مقدمة الكتاب، التي قسّمها الشيخ صالح إلى خمس مناطق شائكة، كلُّ منطقة ترد على اتهام معين؛ مثل شبهة الغرب حول انتشار الإسلام بعد السيف. ولقد حاول الشيخ أن يعرض نماذج الشبهات

ويلخصها بصورة مكثفة ثم يختتمها بسؤال على هذه الشاكلة:

(ما فتئ السياسيون والقائمون على وسائل الإعلام في الغرب يصرون على تثبيت صورة الإسلام على أنه ثقافة عدوانية تجعل من المسلمين مصدرًا للعنف والإرهاب، فما هي الحقيقة؟^(١)) وجريا على منهجه الذي يحاول أن يقارب القضايا بطريقة تجعل القارئ أكثر تقبلا للرد يقوم الشيخ بعرض استشهاد لبعض مفكري الغرب وبعض المستشرقين. فقد اختار الشيخ صالح مقتبسا عن شهادة للمستشرق pelary qleary.

(إنَّ التاريخ أوضح - بما فيه الكفاية - أن أسطورة المسلمين الذين انساحوا في العالم ينشرون الإسلام بحد السيف واحدة من أسخف الخرافات التي ظل المؤرخون «الغربيون» يرددونها)^(٢).

ومن خلال هذه المقولة العادلة لأحد المستشرقين يؤكد الشيخ في منهجه الرصين أن القضية إذا كانت مثار جدل واختلاف كبير بين المستشرقين أنفسهم فذلك يعني بالضرورة أن ثمة حقا وباطلا في أفكارهم، كما يعني في الوقت نفسه أن إمكانية تبرئة الإسلام من الانتشار بحد السيف، تاريخيا، من خلال أي قراءة تاريخية موضوعية لحركة المد الإسلامي والفتوحات في الإسلام.

بطبيعة الحال لا يعني نفي شبهة انتشار الإسلام بالسيف، نفيًا للحرب العادلة في الإسلام فلا تلازم بين الأمرين. فالحروب التي وقعت في تاريخ الفتوحات الإسلامية لم تكن ذات علاقة بقضايا الإكراه وقسر الناس على قبول الدين. لقد كان وجه العدالة في تلك الحروب مرتبطا

(١) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ١٨

(٢) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ٢٩



بحرية الدعوة للإسلام الذي هو هداية الله لكل الناس، ولم يكن القتال إلا في حال منع المسلمين من حرية الدعوة بقوة السيف؛ عند ذلك تصبح الحرب عادلة لأن المواجهة بالسيف لم تكن، حينها، من أجل إكراه الناس على الدخول في الإسلام؛ بل من أجل تمكينهم من حرية القبول أو الرفض.

والجدل حول هذه القضية التاريخية يلقي بظلاله اليوم في واقع المسلمين في قضايا الإرهاب التي تلصق بالدين الإسلامي في الكثير من كتابات الغربيين. ومن هنا كان الشيخ صالح الحصين رحمه الله يعني منهجيا بتتبع شبهات الرد وفق رؤية كلية.

قضية اتهام الإسلام بالإرهاب

كما تم الترويج في الغرب لخرافة انتشار الإسلام بحد السيف؛ انتشرت كذلك تهمة الإسلام بالإرهاب بناء على ردود أفعال بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة، ولاسيما بعد أحداث ١١ سبتمبر في نيويورك عام ٢٠٠١م.

لقد نشأ عن هذا الاتهام الباطل للإسلام على خلفية الإرهاب، مضافا إليها الاتهام التاريخي الآخر لانتشار الإسلام بالسيف والعنف؛ ما يسمى في الغرب بـ(الإسلاموفوبيا) أي (خُواف الإسلام).

ولقد ناقش الشيخ صالح الحصين رحمه الله هذه التهمة بطريقة عقلانية واضحة ومقنعة فأوضح في البداية أن الإرهاب ظاهرة يمكن أن تظهر في جميع المجتمعات والأديان، ومن ثم هي ليست حكرا على نتائج فهم ما لدين بعينه كالإسلام مثلا. فالغرب عرف الإرهاب في فترات عديدة من تاريخه وأدرك معناه جيدا. لذلك يسأل الشيخ صالح متعجبا

من إصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، وكأن الغرب لا يعرف أو لا يقدر أن يميز بين الدين وبين الفهم المتطرف الذي يتبناه بعض الناس من أتباع ذلك الدين. وهذا ما جعله يتساءل قائلاً (كأن الإرهاب أمر طارئ على الحياة الغربية)^(١). ولقد أكد الشيخ صالح أن الواقع الموضوعي لرصد ظاهرة الإرهاب لا يشي بحقيقة تلك التهمة في كونها منطبقة على الإسلام كدين. ذلك أن الولايات المتحدة نفسها لم ترض بالتوافق على تعريف دقيق للإرهاب لرغبتها السياسية في توظيف تهمة الإرهاب على من تشاء.

ولهذا لا بد من الفصل الكامل بين النص الديني (القرآن والسنة) وبين التأويلات المتطرفة التي ينتجها ويطبقها بعض الجماعات الإسلامية، وكل اتهام للإرهاب لا يستصحب ذلك التفريق المنهجي في الفصل بين الدين وممارسات التدين سيؤدي بالضرورة إلى إرهاب مضاد. وفي رده على محاولات بعض الدوائر الإعلامية والسياسية وإصرارها على تثبيت صورة للإسلام بوصفه ديناً إرهابياً. فهذا التوصيف بالضرورة سيجعل جميع المسلمين مصدراً للإرهاب المحتمل في كل زمان ومكان، وهو توصيف يتناقض جوهرياً مع رسالة الإسلام الكونية في هدفها الإنساني. وفي غياب ذلك الفرز المنهجي بين الدين وتطبيقات المسلمين من ناحية و الغرب من ناحية ثانية يتساءل الشيخ صالح بهذه الفقرة في كتابه: (هل صحيح أن العدوانية، صفة مميزة للثقافة الإسلامية، وأن التسامح صفة مميزة للثقافة الغربية؟) ذلك أن الجدل المنهجي حول قضايا الإرهاب وإصاقها بالإسلام بتلك الطريقة المفرضة والمجردة من أي رؤية معرفية يستدعي بالضرورة ترحيل سؤال الإرهاب إلى صميم الجذر

(١) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ١٤



المعرفي للثقافتين الإسلامية والغربية، وتحديد أصولها وما إذا كانت تلك الأصول تنطوي على هوية واضحة للإرهاب في مادتها الأولى. وصولاً بعد ذلك إلى نتائج منهجية واضحة تسمح بالخروج بحقائق وأحكام منطقية بعد الحوار. وللإجابة عن هذا السؤال في العبارة السابقة، دون أي تحيُّز، وبالموضوعية ذاتها التي اعتمدها في أبواب الكتاب بشكل عام، يقرر الشيخ صالح في البداية، أنه سيتجنب بقدر الإمكان إصدار الأحكام، أو إبداء رأيه الشخصي. وإيراد النصوص من القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والاستشهاد بالكتاب غير المسلمين، حين تكون الشهادة في صالح الدين الإسلامي؛ مستثنياً من ذلك نصوص المستشرق النمساوي الأصل محمد أسد، لأنه عايش الثقافة الغربية في أدق ظروفها، واقترب أيضاً من المسلمين، واتصل بحياتهم مباشرة ثم أسلم، بل إن غزارة المعلومات عنده، لاطلاعه على مختلف الثقافات، ومعرفته بلغات المسلمين «العربية، الفارسية، التركية، والأردية»، واتصاله بزعمائهم، ومعايشته لفترات التحول في حياتهم، ساعدته كثيراً في توجيه الكتاب وفق رؤية نقدية محكمة، فكانت أحكامه موضوعية. وذلك لأن (محمد أسد) كما قال الشيخ صالح الحصين: (ينظر إلى الثقافة الإسلامية بعين المثقف الغربي، وفي الوقت نفسه ينظر إلى الثقافة الغربية بعين العالم المسلم بصورة يندر أن يوجد لها شبيهاً). . . وهذا ما لم يتوافر في كثير من المستشرقين.

الاحتجاج بتجربة محمد أسد

كما أفرد الشيخ الحصين -رحمه الله- كتيباً عن محمد أسد، عنوانه «محمد أسد في الطريق إلى مكة». رصد فيه قصة التطور الفكري لمحمد أسد خطوة خطوة حتى انتهت خطواته باعتماده الإسلام.

ويرى الشيخ صالح الحصين في تجربة (محمد أسد) ورحلته تلك وصولاً إلى الإسلام ما يفسر الكثير من القضايا المتصلة بين الإسلام والغرب. فمحمد أسد من ناحية شخص عاش حقيقة الحياة في الغرب وأدرك كنهها بعمق وتجربة معاشة، وهو أيضاً من ناحية ثانية رجل عرف الإسلام عن كثب بين مجتمعات المسلمين واعتنقه عن قناعة.

يورد الشيخ صالح في كتابه (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب) نصاً لمحمد أسد في هذا المقتبس الآتي:

(مهما كانت ضالة ما عرفت عن الإسلام، إلا أنه كان أشبه برفع ستار، بدأت في معرفة عالم من الأفكار، كنت غافلاً عنه، جاهلاً به، حتى ذلك الوقت، لم يبد لي الإسلام ديناً بالمعنى المتعارف عليه بين الناس لكلمة «دين»، بل بدا لي أسلوب حياة، ليس نظاماً لاهوتياً، بقدر ما هو سلوك فرد ومجتمع، يرتكز على الوعي بإله واحد. لم أجد أي أثر على الثنائية في الطبيعة البشرية، فالبدن والروح يعملان في المنظور الإسلامي كوحدة واحدة، لا ينفصل أحدهما عن الآخر^(١)).

ويقول أيضاً محمد أسد أيضاً: (أدهشني في البداية اهتمام القرآن الكريم ليس بالجوانب الروحية فقط، بل بجوانب أخرى غير مهمة من الأمور الدنيوية، ولكن مع مرور الوقت بدأت أدرك أن البشر وحدة متكاملة من بدن وروح، قد أكد الإسلام ذلك، لا يوجد وجه من وجوه الحياة يمكن أن نعدّه مهمّشاً، بل كل جوانب حياة البشر تأتي في صلب اهتمامات الدين، لم يدع القرآن الكريم المسلمين ينسون أن الحياة ليست إلا مرحلة في طريق البشر نحو وجود أسمى وأنقى، وأن الهدف النهائي ذو سمة روحية،

(١) محمد أسد (الطريق إلى مكة) ص ١٦٦

ويرى أن الرخاء المادي لا ضرر فيه إلا أنه ليس غاية في حد ذاته، لذلك لا بد أن تقنن شهية الإنسان وشهواته، ويتم السيطرة عليها بوعي أخلاقي من الفرد، هذا الوعي لا يوجه إلى الله فقط، بل يوجه أيضاً إلى البشر فيما بينهم، لا من أجل الكمال الفردي الروحي وحده، بل من أجل خلق حالة اجتماعية تؤدي إلى تطور وعي المجتمع بأكمله، حتى يتمكن من أن يحيا حياة متكاملة^(١).

لقد كانت أهمية استدلال الشيخ صالح الحصين بنصوص من محمد أسد نابعة من كون تلك التجربة تأسست على تقاطع عميق بين الاسلام والغرب، ومن ثم فإن شهادة محمد أسد عن الإسلام وعن الغرب في الوقت نفسه قد تكون أكثر مصداقية ودقة من الآخرين في الغرب سواءً أكانوا مستشرقين أم سياسيين أم كتاباً.

وهكذا من خلال ثلاث منهجيات اتخذها الشيخ صالح الحصين كاستراتيجية للكتابة والرد في كتابه (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب) أولاً، من خلال الاستشهاد بنصوص للشخصيات الغربية المنصفة كمحمد أسد في خصوص هذه القضية، وثانياً من خلال سرد الحجج المنطقية ومعالجة الشبهات بمنهج عقلاني رصين، وثالثاً بإيراد نصوص من القرآن الكريم والسنة الشريفة، بعيداً عن أي آراء خاصة، أو تحيات ذاتية.

حين يورد الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، هذا المقتبس في كتابه:

(الإسلام عقيدة ومبادئ وأحكام، وليس الإسلام أصنافاً من البشر

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٦ ١٦٨

يسمون مسلمين، أو تاريخاً للمسلمين، إلا بقدر ما يكون الإسلام مطبقاً عملياً في حياتهم^(١)

فمن الواضح أنه يريد أن يؤسس لتلك المنهجية الموضوعية القاضية بفصل النص عن تطبيقاته في سلوكيات المسلمين عبر التاريخ؛ لكشف تناقضات تلك التهم التي تصدر فقط عبر قياسهم الخاطئ على بعض الممارسات المتطرفة ومن ثم إصاق التهم بالإسلام من خلال أفعال المسلمين.

وإذا كانت شبهة انتشار الإسلام بالسيف تحيل بالضرورة على معنى العنف بين المجتمعات فإن أقل مقارنة في تاريخ العنف كفعل جذري بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية لا تصمد أمام الحقائق التاريخية الدالة على أن العنف في المجتمعات الغربية علامة بارزة في تاريخها القديم والحديث، فالإسلام كما يقول الشيخ صالح الحصين في كتابه (لم يكن سببا في الحريين العالميتين؛ الأولى والثانية، ولم يكن المسلمون هم الغازون، وأصحاب المستعمرات المترامية في أنحاء العالم الممتد، كما أن الإسلام دخل جنوب شرق آسيا، من دون أي غزو عسكري، أي أن الإسلام، لم يكن مسؤولاً عن أي عمل عسكري داخل العالم الإسلامي أو بين العالم الإسلامي وخارجه) ولهذا، يواصل المؤلف قوله في دحض هذه الفرية (لقد اختفت - أو كادت تختفي - خرافة أن الإسلام انتشر بالسيف، من الكتابات الجادة للمؤرخين الغربيين)^(٢) ولعل أبرز الشواهد التاريخية هو انتشار الإسلام بلا عنف في مجتمعات شرق آسيا، بل وظل الإسلام ينتشر حتى في المجتمعات التي كانت تحكمها سلطات

(١) المرجع السابق، صفحة ٢١

(٢) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ١٠



غير مسلمة مادامت لا تمنع المسلمين من الدعوة إلى الإسلام سلمياً ولا تحيل بينهم وبين نشر الدعوة بالسلم. فقد أكد الشيخ صالح الحصين رحمه الله على أن الإسلام انتشر في العديد من المجتمعات التي حكمتها السلطات العسكرية، ولم تتأثر قدرته على الانتشار وفي هذا الصدد يقول الشيخ صالح في كتابه: (وبنظرة سريعة إلى التاريخ، وجدنا أن القوى الاستعمارية التي كانت تعمل الغزو طوال تاريخها هي الدول الغربية، وليست العربية الإسلامية).

وتكمن المقارنات العقلانية في خطاب الشيخ صالح وردوده من خلال عبارات قوية الحجة عميقة المعنى تنطوي على دلالات كاشفة لحقيقة العنف الذي مارسه الغرب في البلاد المستعمرة، وبين الفتح الإسلامي الذي دخلت فيه المجتمعات غير المسلمة بفعل الدعوة السلمي وأثرها الإيجابي، وتأكيداً لهذه الحقيقة يقول الشيخ صالح هذه العبارة الدالة في تأكيد ذلك الاختلاف الجوهرى بين المجتمعات الإسلامية والمجتمعات الغربية:

(لا تشهد أحداث هذه الحروب على أن الثقافة الغربية كانت تتجح دائماً في ترويض الطبيعة)^(١) فالعجز عن ترويض الطبيعة يعني العجز على اقتناع المجتمعات المستعمرة بحقيقة الاستعمار، ولهذا وجد المد الاستعماري مقاومات ومواجهات عنيفة في مختلف البلدان التي تعرضت للاستعمار؛ سواء أكانت تلك البلدان بلدانا إسلامية أو غير إسلامية. هذا يعني أن الفرق الجوهرى بين الإسلام، وحركة المد الاستعماري الحديث يكمن قبول المجتمعات للمسلمين عبر ظاهرة الفتح، ولهذا أصبحت مجتمعات إسلامية منذ الفتح وإلى الأبد، فيما واجه المد الاستعماري

(١) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ١٣



حروباً مضادة وحركات مسلحة حتى خرج من تلك البلاد ، وهذا أكبر دليل، أولاً، على عدم انتشار الإسلام بحد السيف، لأن كل فعل عنيف له رد فعل عنيف ومماثل. وثانياً الإسلام دعا إلى الحق وإلى الإيمان وإلى العديد من القيم الإنسانية التي تتقبلها الفطرة البشرية، فيما كانت حركات الاستعمار مشاريع للنهب والإذلال وسرقة خيرات تلك الشعوب. ومن هنا نرى تهافت الحجة القائلة بأن الإسلام انتشر بحد السيف، وكذلك إصاق تهمة الإرهاب بالإسلام؛ فيما الغرب عبر تاريخه القديم والحديث شهد ظواهر عديدة للإرهاب لم تنته إلا عند نهاية القرن العشرين. وفي هذا الصدد يقول الشيخ صالح الحصين رحمه الله في كتابه:

(إن الغرب دائماً ما يصوّر نفسه، أنه أقل عدائية من العرب المسلمين، وحين طُبّق ذلك على الواقع، اتضح أن هناك فروقاً كثيرة، كلها لصالح العرب المسلمين، وليس ضدهم، منها أن سلطان الغرب في العصرين القديم والحديث كان يهيمن على العالم العربي الإسلامي، (أي أن الإسلام خلال القرون الماضية، لم يكن مسؤولاً عن أي عمل عسكري داخل العالم الإسلامي، أو بين العالم الإسلامي وخارجه).

ولم تغفل مقدمة الكتاب في الوقت نفسه من إشارة إلى ظاهرة «الإسلاموفوبيا» القائمة على إصاق صفة الإرهاب، بالإسلام، خصوصاً بعد انهيار برج التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية في أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، حيث يؤكد الشيخ الحصين، رحمه الله، أن الغرب حين يتناول ظاهرة الإرهاب، يتناولها كأنها ظاهرة طارئة عليه، قريبة العهد به، أو أنها خارجة عن ثقافته تماماً، وأن الإسلام، والإسلاميين هم من وراء كل حادث إرهابي في العالم الغربي، والأمريكتين، ثم يفند ذلك أيضاً، من خلال ما أورده في مقدّمة الكتاب، حين تطرق إلى أن

اصطلاح الإرهاب «terrorism» في اللغات الغربية اصطلاح حديث نسبياً، وإذا عرفناه بأنه: السعي للقتل والتدمير بقصد إثارة الرعب العام، بحيث لا يكون الضحايا فيه هدفاً لذاتهم - وإن تعمد قتلهم- وإنما يكون هدفه تحقيق مقاصد سياسية وأيديولوجية، إذا عرفناه بذلك فإن محتواه أيضاً يعتبر حديثاً^(١)،

وهكذا فإن الإرهاب، بحسب بعض تعريفاته التي ظهرت في الغرب هو ظاهرة غربية بامتياز أنتجها تاريخ طويل من العنف والحروب في المجتمعات الغربية. لكن ذلك لا يعني بالطبع عدم انطباق ذلك التعريف على مسلكيات لجماعات إسلامية متطرفة مارست القتل بطريقة عدمية ومجانية باردة في حق المسلمين وغير المسلمين. ولهذا فإن تصوير الإسلام كدين إرهابي إنما هو في الحقيقة تنصل من الاستحقاق الأخلاقي، وتجنّي على المعرفة، وإبراء الغرب نفسه من تاريخ طويل ومخز للعنف والإرهاب. ضد المجتمعات الأخرى. ولاسيما من خلال الحركة الاستعمارية في بلدان آسيا وإفريقيا.

التسامح جذور وثمار

لم يكن وقوف المؤلف على نقاش مجمل تلك القضايا بطريقة مباشرة وإنما عالجه بمنهج نقدي رصين وعبر سياقات متعددة. وبعد أن ناقش في المقدمة تلك القضايا بطريقة مقتضبة. بدأ الشيخ صالح الحصين كتابه (التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب) بتأصيل مفهوم التسامح تحت عنوان (التسامح جذور وثمار). وتتبع معاني التسامح ومفهومه في القرآن الكريم والسنة النبوية. واختار بعض الآيات الدالة على مستويات متعددة

(١) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ١٥

لمفهوم التسامح كقوله تعالى في الآيات: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ بِالْكَاسِ لَرُبُّكَ رَجِيمٌ﴾ آية ١٤٣ (سورة البقرة) ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ سورة الزمر: آية ٥٢، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩ وغير ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي وردت في القرآن للدلالة على عدم وجود دين أعطى السماحة كل هذه المساحة في الحض عليها، والحرص على أن تشيع بين أتباعه، وأن هذه الرحمة، هي أساس الدين الإسلامي الذي ادعى المدعون أنه دين عنف وإرهاب، مع الحرص على التأكيد أن التسامح لا يعني المذلة أو الهوان، ولا يعني التسوية بين المسيء والمحسن، مستشهدا في ذلك بما قالتها المستشرقة الإيطالية Lora veccia vaglieri في وصف النبي صلى الله عليه وسلم): لقد امتزج فيه التسامح بالعدل، الخصلتان الأكثر نبلا في الإنسان من السهل أن نورد على هذا أمثلة كثيرة من سيرته (مما يدل دلالة واضحة أن التسامح مفهوم مركزي في القرآن الكريم وفعل أصيل من أفعال رسول الإسلام صلى الله عليه وسلم. هذا يعني أن العدوانية لا يمكن أن تكون صفة متصلة بهذا وهو على هذا الوضوح في آياته وأحاديث نبيه حيال معنى التسامح والمفاهيم المتصلة به كالرحمة. ومن ثم فإن الإرهاب أبعد ما يكون عن هذا الدين بخلاف ما يروجه بعض الغربيين من تهمة الإرهاب، أو العنف لتشويه صورة الإسلام. فمن شأن مثل هذه التهم المجانية للإسلام أن يكون المسلمون جميعهم مشجبا لها ومن ثم إعفاء الغرب لذاته من الإسهام في صناعة الإرهاب والتتصل من مسؤولياته التاريخية في هذا الصدد. ولعل إيراد الشيخ صالح الحصين رحمه الله لمفردات العفو والتسامح والمغفرة والرحمة وهي كلها مفردات



تحليل على معنى التسامح في أعلى صورته الإنسانية؛ كان بهدف الإبانة أن الأمر في الإسلام حيال فكرة التسامح إنما هو واجب ومسؤولية أخلاقية بين المسلمين تجاه أنفسهم، ومع غيرهم أيضاً. فالتسامح لا يعني فقط عدم العدوان، وإنما هو أيضاً قيمة مطلقة يلتزم بها لذاتها:

يقول الشيخ صالح في كتابه المذكور «فيلاحظ أن القرآن الكريم كرراً ذكر الرحمة والرأفة والعفو والصفح والمغفرة والصبر أكثر من تسعمائة مرة، وأن الرحمة كصفة نسبت لله سبحانه وتعالى، ولرسوله الكريم في مواضع كثيرة جداً في القرآن الكريم، منها قوله تعالى «هو الرحمن الرحيم»، «كتب على نفسه الرحمة»، «فاصفح عنهم وقل سلام»، وغير ذلك الكثير من المواضع التي لم تخل من ذكر الرحمة لله سبحانه وتعالى، ومدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من كونه رءوف رحيم، في أكثر من موضع»^(١).

ويؤكد الكاتب أن مفهوم التسامح، وفق الدين الإسلامي، قريب في تصوره من التصور الذي وضعته منظمة اليونسكو حين قررت: (أنه يتفق تماماً مع احترام حقوق الإنسان؛ القول بأن الأخذ بالتسامح لا يعني التسامح تجاه الظلم الاجتماعي أو تنازل الإنسان عن معتقداته، أو التنازلي عن بعضها. إنه يعني أن تكون للإنسان الحرية في التزام ما يعتقد وقبول حرية الآخر في الالتزام بما يعتقد)^(٢).

ويورد الشيخ صالح مقتبساً للكاتب الغربي جوستاف لوبون في هذا الصدد عن اتباع خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لمنهجه في التسامح

(١) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ٢٤

(٢) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، صفحة ٢٨



قائلا (كانت الطريق التي يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه وأعلنوا في كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وأعرافها وعاداتها)^(١).

ويقول M. N. ROY: (الخلفية التاريخية للإسلام والظروف الاجتماعية التي نشأ فيها طبيعته بطابع التسامح الذي قد يظهر للعين غير المدركة لا يتفق مع روح التعصب - التي اعتدنا تقليدياً أن نربطها بالإسلام، ولكن «لا إله إلا الله» وحدها تخلق التسامح)^(٢).

وبعقد الشيخ الحصين رحمه الله اقترانا شرطيا بين قول (لا إله إلا الله) ولزوم قيم العفو والتسامح والرحمة مستدلا في ذلك بمقولة الكاتب البريطاني H. G. wells) حيث يقول: (إن أعظم ما اجتذب قلوب غالبية الناس عندما جاء محمد بدين الإسلام، هو فكرة الإله «الله»^(٣) فهذا يعني بالضرورة أن الإسلام قد فتح القلوب والصدور قبل أن يفتح الحصون والبلدان. لأن الفطرة الإنسانية جبلت على توحيد الله، وقبول كلمة الحق التي جاء بها الإسلام. ومهما حاول الغربيون والمستشرقون طمس هذه الحقيقة وقفت أمامهم الأدلة التاريخية المتناسكة، والحجج العقلانية الرصينة التي تكشف زيفهم وتبين تناقضاتهم. وإذا كان زخم الحضارة العالمية الحديثة يشيع لدى بعضهم صورة ما للقيم الإنسانية فإن بنية هذه الحضارة ذات الجذر المادي هي التي أسست وما زالت تؤسس للعنف. فلن يكون كافيا مجرد إطلاق الأحكام بلا دليل حول الإسلام؛ فقط لأن كثيرا من الأوساط الإعلامية في الغرب تشربت الفكر الاستشراقي ولاسيما

(١) جوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتير ص ١٢٤

(٢) M. N. Roy Historical Role of Islam P. P. 40 - 41

(٣) H. G. wells. Outline of history. PP. 271-272 . P. 211

أفكار المستشرق البريطاني (برنارد لويس) الذي حاول أن يؤكد للغربيين والأمريكيين أن الإسلام يختلف جذريا مع الثقافة الغربية، ويقوم على صدام منها. ولعل أهم قيمة قاد إليها التسامح في واقع المسلمين؛ هي أن ذلك التسامح يخلق شعورا عميقا بالتواضع والمساواة بين المسلمين بصورة تنفي الطبقيّة والعنصرية حتى في يوميات الحياة وعادياتها؛ كالصلوات في المساجد وغيرها، كما أن العبادات والشعائر تظل بصورة يومية كالصلاة لتمنح المسلمين إحساسا بالأخوة الإنسانية المستمرة. ولهذا بمجرد أن فتح الصحابة البلاد في الفتوحات الإسلامية أصبح أهل تلك البلاد إخوانا لهم بمجرد إسلامهم مصداقا لقول الله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنْكُمْ فِي الَّذِينَ تَفَضَّلْتُمْ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ التوبة: ١١. وكانت تلك الإخوة الإيمانية تصبح نافذة ولا يحول دونها أي معنى طبقي أو عنصري. بل لقد كانت شعائر العبادة في الإسلام من الوضوح واليسر ما جعلها قائمة على تقليد يمنع عنها طابع الغموض، أو يرهنها لطبقة معينة من رجال الدين، أو يحصرها في طقس جماعي فقط؛ الأمر الذي جعل من قيمة التسامح الدائم بين المسلمين قائمة على التجديد فيما بينهم إلى جانب القيم العظيمة الأخرى للدين الإسلامي، كما جعل منها سببا كبيرا ومؤثرا في شيوع مفهوم التسامح بين المسلمين. ولعل وجود الطوائف الدينية كاليهود والمسيحيين في المشرق العربي ومصر وغيره عبر التاريخ ما يؤكد قيمة التسامح التي تنفي الإكراه وتبذ التعصب. بل لقد ثبت تماما أن تاريخ المسلمين خلا تماما من ظاهرة المذابح الدينية على خلفية الانتماء؛ كالمذابح التي وقعت في أوروبا طوال القرون الوسطى بين المسيحيين أنفسهم وليس في قدرة باحث أو مؤرخ مهما بحث أن يثبت وقوع مذبحه جماعية وقعت من قبل المسلمين تجاه أهل الأديان السماوية الذين عاشوا بينهم؛ فضلا عن أن تكون بينهم.



ذلك أن الإسلام بحسب كلام الكاتب البريطاني H. G wells :
(أوجد مجتمعاً تحرراً من القسوة والاضطهاد الاجتماعي، إلى درجة لم
يبلغها أي مجتمع من قبل)^(١).

كما ينقل الشيخ صالح عنه أيضاً: (إن الإسلام انتشر وساد لأنه
قدّم للإنسان أفضل نظام سياسي اجتماعي يمكن أن يمنحه الزمان، هذا
النظام الذي يمثل أوسع وأنقى وأنظف فكرة سياسية أمكن حتى الآن أن
تطبق عملياً على الأرض)^(٢).

وسعيًا على منهجه في تكثيف نقولاته عن الغربيين من باب إلزام
الخصم بما ألزم به نفسه يذكر الشيخ مقولة للكاتب البريطاني (Leonard):
(إنني أجد نفسي مجبراً على الاعتراف بأن محمداً يرفض، ولا يقبل العنف
في الدين)^(٣).

حسن الخلق

حسن الخلق هو المصدر الأخلاقي للكثير من مفردات السلوك
الحميد، وهو معين النزاهة التي تعكس في صاحبها جميع القيم الأخلاقية
التي يتحلّى بها حينما يتمثل الإسلام ويفهمه فهما معيارياً. والحقيقة لقد
أراد الشيخ صالح الحصين، بتخصيص الحديث عن (حسن الخلق)
في الكتاب؛ التأكيد على أن قيمة التسامح لها ارتباط عضوي ومركزي
بمنظومة أخلاقية وإيمانية لا تنفك عنها، بل تظل باستمرار تعبيراً عنها
وانعكاساً لمفاعيل تلك المنظومة. ومن هنا أيضاً فإن اختيار الشيخ صالح

H. G. wells. Outline of history. PP. 271-272 . P. 211 (١)

H. G. wells. Outline of history. P. 211 (٢)

A. G. Leonard. Islam. P72 (٣)



لمنظومة الأخلاق كدلالة على التسامح عبر (حسن الخلق) يأتي في سياق الاستدلال بالأخلاق بوصفها أخلاقاً إنسانية مركوزة في فطرة البشر جميعاً. والشيخ، إذ يفعل ذلك فإنما يؤكد منهجيته في المحاجة التي التزم بها في خطة الكتاب. ذلك أن سرد النصوص المتصلة بالالتزام الأخلاقي في القرآن والسنة تكشف تماماً عن القيمة الذاتية للأخلاق، من حيث كونها مطالب معنوية تطلب لذاتها ومن أجل صلاح الحياة الإنسانية بصورة عامة نظراً لنعمة العام للبشر، وبصورة عابرة للأديان والأعراق والثقافات. وهذا في وجه آخر معنى عميق لفكرة عالمية الإسلام؛ لأن خطابه الموجه للبشرية لا بد أن ينطوي على منهج أخلاقي شامل.

لهذا فإن وجه الاستدلال بالأخلاق على نفي العدوانية عن الإسلام، وتأكيد التسامح الذي جاء به؛ يكمن في أن مفاعيل الأخلاق وأثرها في البشر قابلة للتصور الإنساني العام بحيث يدركها الجميع من حيث كونهم بشراً وبفطرتهم التي فطرهم الله عليها.

ومادامت الأخلاق الكبرى؛ كالصدق، والأمانة، والكرم، والشجاعة، وغيرها قابلة للإدراك والتعقل البشريين؛ فإن نتائجها وأثارها أيضاً ستكون كاشفة عن فعلها في التاريخ. ولقد جسد تاريخ الفتح الإسلامي قيماً أخلاقية للمسلمين الأوائل شهدت بها جميع الأمم التي عاصرتهم آنذاك، ومن هنا فإن الاستدلال بالرصيد الأخلاقي لتاريخ المسلمين الأوائل يكشف بطريقة منهجية وموضوعية عن حقيقة التسامح في المسار التاريخي للإسلام. ولهذا فإن الشيخ صالح الحصين رحمه الله كان موفقاً في الربط المنهجي بين منظومة (حسن الخلق) وبين كونها من أبرز الدلائل التاريخية العامة على سلوك التسامح الذي اتسم به المسلمون. ولكي يؤكد بعض المعاني الواضحة لـ (حسن الخلق) فقد أورد

الشيخ صالح مقولة للتابعي عبد الله بن المبارك ذات دلالة معيارية أقرب للفهم منها إلى الفهم الخاص أي في قابليتها لأن تكون تفسيراً إنسانياً عاماً لحسن الخلق كمنظومة للسلوك. وذلك حين أورد الشيخ الحصين، نقلاً عن ابن المبارك: (أن تتحمل ما يكون عليه الناس)^(١).

فهذه العبارة المكثفة والجامعة للمعنى السلوكي الفعلي لحسن الخلق؛ هي خلاصة معمقة لفهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي كانت واضحة وحكيمة في ضرورة الالتزام بحسن الخلق؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ سورة العنكبوت الآية (٤٦)

قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق وإن صاحب حسن الخلق ليبليج به درجة صاحب الصوم والصلاة)^(٢). وكذلك في وصف السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله)^(٣)

وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن التعامل مع

(١) موسوعة (نصرة النعيم)، مجموعة من المؤلفين بإشراف الشيخ صالح الحميد، دار الوسيطة، ص ١٥٨٤

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب: في حسن الخلق، برقم (٤٧٩٩). والترمذي، كتاب البر والصلة، باب: ما جاء في حسن الخلق، برقم (٢٠٠٢) وصححه الألباني

(٣) رواه البخاري في كتاب: الحدود. ومسلم في كتاب: الفضائل.

الناس: (رحم الله امرأ سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى).^(١)

وختم الشيخ صالح الحصين رحمه الله هذا الفصل مستنتجا ومستخلصا هذه العلاقة الطبيعية والعضوية بين منظومة حسن الخلق، وبين سلوك التسامح الذي ينبثق عنها انبثاقا موضوعيا؛ ليقول: (فإن تعود المسلم على تفاصيل السلوك التي تدعو إليها النصوص الإسلامية، من الوحي، وترغب فيها على نحو ما أشارت الآيات والأحاديث، وترويض نفسه عليها حتى تكون له عادة وأسلوب حياة ثم طبيعة ثانية، كل ذلك كفيل بأن يهيئه نفسياً وذهنياً للتسامح تجاه الآخرين حتى يصدر منه هذا الخلق عفواً وبدون تكلف)^(٢)

التسامح في ظلال الوجود

شكل الإسلام منظومة للحياة تقوم على معنى التصالح. وأسس لتلك المنظومة منهجية أخلاقية وتشريعية محكمة. ذلك أن الرؤية الإيمانية في الإسلام تفتح على آفاق متناغمة ومنسجمة مع عناصر الوجود (الكون والحياة والانسان) لتجسيد الحكمة الإلهية وتحقيق مراد الله للبشر على الأرض (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) لهذا، ووفق هذا التصور المتصالح بين جميع مفرداته تتجلى كلمة الإسلام، ذاتها، في معناها الأعمق لتحيل على الإنسان المسلم. وذلك كي يكون هذا الإنسان بإسلامه، تحديداً، هو العنصر الإرادي المتسق مع الكون المسخر جبرياً؛ وفقط بفضل تسليمه لأمره كله لله سبحانه وتعالى، أي إتباع أوامره واجتتاب نواهيه، يتم الانسجام في الحياة الإنسانية.

(١) رواه البخاري

(٢) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب) صفحة ٤٠

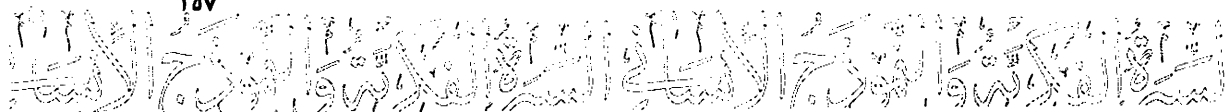
ولهذا فإن الشيخ صالح الحصين رحمه الله في رؤيته الكلية لمعنى التسامح، الذي لا ينبع في الأصل إلا من نفس متصالحة مع ذاتها؛ أراد أن يعكس أفقا أعلى لقيمة التسامح في الإسلام وضمن رؤيته الشاملة ومصدره المحيط، ليس فقط مع الإنسان، بل كذلك مع الطبيعة ذاتها، بحيوانها ونباتها وجمادها.

ومن ثم فإن منهجية الحجاج المحكمة في أسلوب الشيخ صالح، وطريقته المعرفية تضع الخصم محاصرا وعاجزا عن مقابلة الحجة الناصعة. لهذا يعود الشيخ الحصين، مرة أخرى، إلى الكاتب النمساوي المسلم محمد أسد؛ بوصفه رجلا مخضرمًا عاش حياتين وخبر تجربتين (الحياة وفق الإسلام، والحياة الغربية) ليمنح القارئ المحايد فرصة لتأمل معاني التسامح وهي تتجلى في آفاق أخرى.

ينقل الشيخ صالح هذا المقتبس من محمد أسد: (لقد بدا لي الإسلام مثل تكوين هندسي محكم البناء، كل أجزائه قد صيغت ليكمل بعضها البعض، وليدعم بعضها بعضاً، ليس فيها شيء زائد عن الحاجة، وليس فيها ينقص عنها، ونتيجة ذلك كله توازن بناء محكم)^(١)

ذلك أن المنظومة الكلية والإرادة العليا التي أبدعت هذا الكون وجعلته مُتَّسِقاً ومتناغماً؛ هي التي شرعت الأخلاق والقيم الإسلامية التي التزم بها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، ومن ثم فإن أي دراسة موضوعية لقراءة ذلك الاتساق المتكامل بين تسخير الكون وتشريع الإسلام وتجلياته في الحياة الإنسانية والتاريخ من خلال تجربة الصحابة الكرام في العصر الإسلامي الأول لا بد أن تقضي إلى إقرار حالة من

(١) نقلا عن كتاب محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق) ترجمة الدكتور عمر فروخ.



التماهي والتماثل تتبع من التقاء الغائتين؛ غاية التسخير، وغاية الإرادة. وهذا تحديدا ما دلت عليه كلمة (الفتح) مصداقا لقول الله تعالى في سورة «النصر» ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ﴾ فكلمة الفتح التي تحيل إلى معنى الاتساق بين الفاتح والمفتوح، كما تحيل إلى نفي أي معنى للإكراه أو للقسر.

لقد حاول الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، تحليل معنى التقاء التسخير والإرادة في مفهوم التسييح الذي هو المشترك التعبدي بين فعل البشر الإرادي، وفعل الطبيعة الجبري المسخر. ولهذا فإن العبادة في كونها تسييحا هي التي تمنع المسلم من أن يمارس إكراها أو قسرا بحد السيف أو غيره..؛ لأن عرض الإسلام كما هو في طبيعته كاف بذاته في قبول الناس له. ولهذا فإن التسامح هو الخلق الأكثر لياقة بحركة الإسلام في التاريخ والتعبير الأفضل للمسلمين عن أسلوب حياتهم فيما بينهم ومع الآخرين.

هذا الربط المنهجي بين التصالح مع الطبيعة وأثره في علاقة التسامح التي تنعكس على المسلمين في ممارساتهم ينفي ظاهرة العدوانية بالضرورة، ومن ثم ينسف تلك الشبهات التي تنسب العدوانية إلى الإسلام والمسلمين.

ومن خلال بعض الآيات الدالة على هذا المعنى في القرآن الكريم؛ مثل قوله تعالى: ﴿سُيِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْحَبُ بِحَبْدِهِ﴾ الإسراء: ٤٤. عبر هذا الوعي الذي قدّمه الشيخ الحصين عن مفهوم التسخير وعلاقته بالمسلم، يتضح أن المسلم الواعي حين يدرك أن الكون كله مسخر له، ونعم أنعم الله بها عليه «فإن من الطبيعي أن يشعر

يألف للطبيعة، وأنس بها، وأن يعتبرها صديقة وليست عدوة»

وهكذا إذ تغدو الألفة هي العلاقة النازمة لحركة المسلم في الكون وعناصره، فهو عند ذلك يكون أكثر قدرة من غيره على التصالح مع ذاته، ومع الطبيعة ومع البشر. وهذا المعنى بذاته هو ما أثر في المجتمعات التي فتحها الإسلام. لقد كان التأثير بالمسلمين تأثراً أشبه بالإغراء لا بالإكراه. أي لقد كانت حياتهم المنسجمة مع معناها الإسلامي العميق تغري الآخرين بالدخول في الإسلام أفواجا وجماعات. وهذا هو الفتح الذي تم للإسلام في عصره الأول.

ولأن تجليات هذا الاتساق في الطبيعة، وفي علاقته بحركة المسلم على الأرض تتطوي على كثير من الأشكال والتمثيلات فقد أبان الشيخ جملة من المفاهيم والقوانين التي توجّه ذلك الاتساق عبر العبادة بصورة تقضي إلى التسامح مع البشر والألفة مع الطبيعة فإذا كان مفهوم (التسبيح) هو المؤشر إلى حركة العبادة في الوجود بمختلف عناصره، فإن نظام (التسخير) هو السبب في جعل هذا الاتساق ممكناً بين البشر والطبيعة والحياة. وإذا كان قانون الزوجية هو الحاكم لثنائية الكون والمنتج للطاقة والحيوية فيه فإن الوحدة النازمة لجميع عناصر الكون، بمختلف تنوعها، هي الدالة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، وهذه الوحدة هي أيضاً الدالة على الحقيقة العلمية والمفسرة في الوقت نفسه لظاهرة الاتساق والتناغم التي هي العلاقة الكبرى للوجود مع عناصره؛ تلك الحقيقة التي عبر عنها عالم الفيزياء وصاحب نظرية النسبية البرت (انشتاين) بقوله: God does not play dice⁽¹⁾ كما أوردها الشيخ صالح في الكتاب.

(١) الشيخ صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، هامش صفحة ٤٦

وفي هذا الصدد يقول الشيخ صالح في الكتاب: (المسلم الواعي حين يسمع أو يقرأ هذه الآيات، من السهل عليه أن يدرك أن الاختلاف الظاهر في الطبيعة وفي الحياة اختلاف تنوع وتكامل وليس اختلاف تناقض وتضاد، يرى المسلم الوحدة في الكون الصادرة عن الواحد الخالق، ويرى الوحدة في القانون الذي يحكم الكون من الذرة إلى المجرة، ويرى أن القانون الذي يسيطر على الحياة قانوناً واحداً، هو قانون الزوجية، الذكر والأنثى، الليل والنهار، الجسد والروح، الدنيا والآخرة، وحتى الموت والحياة، كلها أجزاء في المنهاج الكوني تسير مترافقة إلى غايته)^(١).

ثم يخلص الشيخ إلى هذه الحقيقة قائلاً: (فالأساس في الكون الوحدة لا التعدد والتكامل لا الصراع)^(٢) وهذا تحديداً هو التصور الإسلامي العميق والنافي لظاهرة العدوانية أصلاً في منظومة المفاهيم الإسلامية المركزية.

بيد أن منطق الشيخ ومنهجه المعرفي في حوار ومناقشة شبهة اتهام الإسلام بالعدوانية لدى الغربيين لا يكتفي، فقط بإبراز الحجج الدامغة والأدلة المؤكدة لحقيقة التسامح في الإسلام والنافية للعدوانية عنه؛ بل كذلك يعيد الكرة إلى ملعب أصحاب الشبهات من الغربيين هذه المرة ليغوص عميقاً في الطبقات الراسبة للعقل الباطن للغربيين، وليؤكد أن العدوانية هي في الحقيقة ظاهرة متجذرة في العقل الغربي الحديث؛ وذلك بسبب افتقاد هذا العقل للتوجيه الرباني، وتغليب الحس والمادة، مما جعله عقلاً مغترباً عن فطرته وطبيعته. فينقل الشيخ صالح الحصين هذا المقطع من محمد أسد: (ان المدنية الغربية لا تجحد الله البتة ولكن

(١) المرجع السابق ص ٤٤

(٢) المرجع السابق ص ٤٥

لا ترى مجالاً ولا فائدة لله في نظامها الفكري الحالي) ونتيجة لذلك ف(إن الإنسان الغربي أسلم نفسه لعبادة المادة، لقد فقد منذ وقت طويل براءته، فقد كل تماسك داخلي مع الطبيعة، لقد أصبحت الحياة في نظره لغزاً. إنه مرتاب شكوك، لذلك فهو منفصل عن أخيه الإنسان. ولكي لا يهلك في وحدته وفرديته هذه فإن عليه أن يسيطر على الحياة بالوسائل الخارجية. وحقيقة كونه على قيد الحياة لم تعد وحدها قادرة على أن تشعره بالأمن الداخلي، ولذا فإن عليه أن يكافح دائماً وبألم في سبيل هذا الأمن. وبسبب أنه قرر الاستغناء عن كل توجيه ديني فإن عليه أن يخترع لنفسه، وباستمرار، حلفاء ميكانيكيين؛ من هنا نما عنده الميل المحموم إلى التقنية والتمكن من قوانينها ووسائلها. إنه يخترع كل يوم آلات جديدة ويعطي كلا منها بعض روحه لكي تدافع عنه في سبيل وجوده، وهي تفعل ذلك حقاً، لكنها في الوقت نفسه تخلق له حاجات جديدة ومخاوف جديدة وظمناً لا يروى إلى حلفاء جدد).^(١)

وهكذا يتضح في التحليل النهائي أن العدوانية مكون بنيوي في العقل الغربي الحديث ، والشاهد على ذلك الحروب الطاحنة والطويلة التي شهدتها تاريخ أوروبا في العصور الوسطى وفي العصر الحديث حيث جرت أكبر حربين عالميتين في التاريخ الإنساني.

ثم يعود الشيخ صالح الحصين، ليرسم صورة موازية ونقيضة لتلك الرؤية العدوانية، تميز بها الإسلام وانعكست على المسلمين؛ يقول الشيخ صالح الحصين،

(في حياة المسلم كل نشاط، أو امتناع عن نشاط يمكن أن يكون

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة ص ٢٧٢

عبادة، والعبادة في الإسلام ليست مجرد طقوس تؤدي في المعبد، يعرف علماء الإسلام العبادة بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، كل عمل صالح حين يقترب بالإخلاص فهو عبادة، لا فرق بين ما تعارف الناس على تسميته «دينيًا» وما تعارفوا على تسميته «دنيويًا»، الباحث في معمله، والطبيب في عيادته، والجراح في غرفة العمليات، المهندس يمارس مهنته، والعامل في المصنع، والمجاهد في ميدان المعركة، كلهم يعبدون الله بعملهم حينما يقترن بالإخلاص والاحتساب لله^(١).

ثم يعود الشيخ، مرة أخرى، لمحمد أسد مستشهدا به وناقلا لقوله: (إن العبادة في الإسلام ليست محصورة في أعمال من الخشوع الخالص كالصلوات والصيام مثلا، ولكنها تتناول كل حياة الإنسان العملية أيضًا)^(٢).

ويخلص الشيخ صالح الحصين من خلال هذه التمايزات والمقارنات الجوهرية من حيث المصادر الفلسفية المختلفة لكل من الإسلام بالنسبة لمفهوم التسامح. وبالنسبة للغرب في مفهوم العدوانية إلى ابراد شاهد نصي من الكاتب النمساوي المسلم محمد أسد.

«أحسست بضرورة فهم روح تلك الشعوب المسلمة، لأنني وجدت لديهم تلاحمًا عضويًا بين الفكر والحواس، ذلك التلاحم الذي فقدناه نحن الأوروبيين، واعتقدت أنه من خلال فهم أقرب وأفضل لحياتهم يمكن اكتشاف الحلقة المفقودة التي تسبب معاناة الغربيين، وهي تآكل التكامل الداخلي للشخصية الأوروبية، لقد اكتشفت كنه ذلك الشيء الذي جعلنا

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب

(٢) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ ص ٢٩-

نحن أهل الغرب ننأى عن الحرية الحقبة بشروطها الموضوعية التي يتمتع بها المسلمون، حتى في عصور انهيارهم الاجتماعي والسياسي^(١).

هكذا عبر هذه النماذج المتعددة في تأويل حقيقة التسامح الإسلامي ومصادره وتطبيقاته التي منعت المسلمين في تاريخهم الطويل من ارتكاب المجازر الجماعية بحسب ادوارد سعيد يواصل الشيخ رؤيته النقدية العميقة، ملتزما بإستراتيجيته في البحث، ومتقدما نحو المزيد من الشواهد المعرفية والعلمية والتاريخية التي تؤيد رؤيته، وتؤكد موقفه النقدي. ليصل عبر تلك الشواهد إلى أن جذور العدوانية في الغرب نابعة من الفصام بين الروح والمادة، ومن ثم بين الأخلاق والسياسة، وصولا إلى التسليم بتلك المادة وقابلية الخضوع لإكراهاتها التي تشكلت بلبوس المعرفة ومناهج البحث فأحكمت سيطرتها على الغربيين مما أدى في النهاية إلى غياب الأخلاق في الممارسات الغربية السياسية والاقتصادية مع باقي شعوب العالم.

لقد بدا واضحا أثر تلك العدوانية في بنية الفكر الغربي وعقله الباطن. ولعل أبرز الدلالات الكاشفة عنها تتمثل في المقولات المشهورة التي يطالعها أي باحث في تاريخ العلوم الغربية مقولات من مثل (قهر الطبيعة) (الانتصار على الطبيعة) وغير ذلك من العبارات التي توضح تلك العدوانية ضد الطبيعة، وهي عدوانية انتقلت من الطبيعة إلى البشر خلال أكبر حركة تاريخية لنهب وإذلال شعوب آسيا وإفريقيا عبر الحركة الاستعمارية.

(١) محمد أسد، الطريق إلى مكة. ص ١٣٢

عقبة في طريق فهم الغرب للإسلام؛ جدل التصورات

تحت هذا العنوان يتحدث الشيخ صالح الحصين عن سوء فهم تاريخي بين الغربيين والإسلام؛ سوء فهم لا ينبع، بطبيعة الحال، من حقيقة الإسلام؛ بل ينبع في الأصل من محاولة لقياس الإسلام من وجهة نظر لها صورة واحدة لنمط الدين. ولأن الشرط الشارط لفهم أي فكرة أو نظام أخلاقي ما؛ هو في عدم قولبته وفق تصورات مسبقة ومنحازة، أو تصورات ذاتية صادرة عن توهم؛ فإن المطلوب هنا إما: محاولة فهم الإسلام بعقل مفتوح ورغبة في الفهم بعيدا تداعيات الذاكرة أو تصورات الذات؛ وإما التجريب المباشر بنية المعرفة والإخلاص لها.

ولأن الفرق يكمن في اختلاف التجريبتين الدينيتين؛ إذ إن التجربة الدينية للمسيحية الأوروبية في القرون الوسطى وهي تجربة فظيعة للتدين المسيحي لا تزال حتى اليوم هي سقف التصور الذي يحمله الأوروبيون لكل الأديان فإن الخروج بمثل تلك التأويلات الفاسدة عن الإسلام يصبح أمرا ممكنا. وهكذا حين قالت الملكة « مرجريت الثانية » ملكة الدنمرك، عن المسلمين: (هناك شيء مثير للمشاعر في هؤلاء الناس الذين يحكم كل حياتهم من العشاء إلى الفجر) كانت تستصحب في شعورها قضية الفصل بين الدين والدنيا، ولهذا تخيلت أن خضوع المسلمين لحكم الدين، من خلال صلواتهم الخمس في اليوم، سيجعل من دينهم دينا شكليا وطقوسيا، وسيحد من حرياتهم في الحياة.

لكن المتأمل في موقفها هذا بحسب الشيخ صالح الحصين يدرك تماما أن الملكة تخلط بين المسلمين والإسلام؛ فهي إذ لا تملك في ذهنها أولا، تصورا يفصل بين الدين في نصه وبين تطبيقاته كما بين رجاله من ناحية، وإذ لا تملك ثانيا تصورا يتقبل أداء طقوس العبادة خارج دور

العبادة وداخلها، أفرادا وجماعات؛ عند ذلك في الواقع لا تستطيع إلا أن تخرج بتلك النتيجة التي جعلتها تقول: (هناك أيضا شيء مخيف ومرعب من مثل هذه الشمولية التي تعتبر جزءا من دين الإسلام). ومع ذلك فإن العبرة ليست في كثرة الصلوات في الأسبوع التي ستكون مقارنة بصلاة الكنيسة الأسبوعية بنسبة ١ - ٣٥ بقدر ما هي في طبيعتها وحقيقتها، وليست في العبادة بقدر ما هي في طبيعتها وحقيقتها. ولهذا فإن العبادة في الإسلام بوصفها في الأصل انسجاما مع حركة الكون وتصالحا مع الحياة والطبيعة فإنها ستعني بالضرورة شمولاً لجميع نواحي الحياة، ولكنها في شمولها ذاك لا تفرض حالة طقوسية تطبع مختلف نشاط المسلمين الطبيعي في حياتهم، وإنما تبارك لهم نشاطهم الديني وحتى غرائزهم إذا ما كانت تعبيرا طبيعيا وإيجابيا في مختلف نواحي الحياة. ولهذا يسوق الشيخ صالح الحصين في الكتاب تعريفات للعبادة تدل على ذلك، كقله عن شيخ الإسلام في تعريفه للعبادة (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة).

ومن خلال محاولة لتفسير المعضلة المتصلة بفهم الغرب الأوروبي للإسلام، يعقد الشيخ صالح الحصين مقارنة بين طبيعة المنهج لدى المسلمين، من جهة، والغرب من جهة أخرى، فالمسلم، يمتزج عنده الديني والديني، وهذا الامتزاج قائم على التكامل وليس التنافر، لكن المعضلة تكمن في رؤية كل طرف «الغرب»، إلى الطرف الثاني «المسلمين»، فخطورة النظرة الدينية لدى العلماني في الغرب إلى العالم يشوبها الكثير من القلق، وفق التاريخ الخاص للدين بحسب تجربة العصور الوسطى الأوروبية مع الكنيسة، ومحاولة سيطرتها على كل كبيرة في مفاصل المجتمع والحياة والدولة، مما حدا بالكنيسة إلى تكفير جاليليو حين أثبت

علميا كروية الأرض مثلاً، وأدى ذلك إلى إعدامه، بسبب النظرة الدينية التي كانت تحتكر المعرفة جميعاً وتسيطر على المجتمع والحياة والدولة، فالعلماني الآن في الغرب، أو في أي مكان، يخشى هذه المخاوف وفق التجربة التاريخية للغرب، ومن ثم يتصور تلك المخاوف ويسقطها على الإسلام، من دون أن يكون قادراً على تصور الفرق بين المسيحية الأوروبية وبين حقيقة تصور أن الإسلام دين يدعو إلى العلم؛ إذ أكد القرآن في بعض آياته نظريات علمية أسهمت في إسلام مئات البشر، منهم علماء غربيون، بسبب ما عرف لاحقاً بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فالمسلم حين يرتبط عنده الديني والدنيوي وفق منهج عبادة لله سبحانه وتعالى، يصير كل فعل بالنسبة له عبادة.

وبهذا الاعتبار فإن العبادة في الإسلام ليست ذات طابع خصوصي إلا في الشعائر فقط، وإنما هي أيضاً ذات طابع دنيوي؛ وطابعها الشعائري هو بمثابة مولد الطاقة في حركة المسلم نحو أفعال الخير في مختلف جوانب نشاطه، سواء مع المسلمين أم غير المسلمين، بل مع جميع عناصر الكون. لذلك يورد الشيخ صالح الحصين رحمه الله ملاحظة ذكية ومجملّة تشمل بصورة مكثفة معنى الإسلام. وذلك حين يقول (ولذلك فإن علماء الإسلام حينما يريدون أن يلخصوا الإسلام في عبارة موجزة يقولون مثلما يقول ابن تيمية « الإسلام يدور على الإخلاص للحق ورحمة الخلق»، أو كما يقول الرازي « مجامع الطاعات هي تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله).⁽¹⁾

ولأن المنهجية الصحيحة في المقاربة، تقتضي الاستشهاد بشخص اختبر حياة مزدوجة عاش طرفاً منها في الغرب، وطرفاً في الإسلام؛

(1) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة 75

كالكاتب النمساوي محمد أسد؛ فإن الاستعانة به في إضاءة ذلك الفرق وتبيان صورته الحقيقية؛ تصبح أكثر إنصافا وعدلا واتساقا مع المنهج المعرفي الرصين للشيخ صالح الحصين. لهذا يورد الشيخ صالح في الكتاب نصا مقتبسا من محمد أسد يبين ذلك الفرق. يقول محمد أسد:

(إن بعض النقاد الذين أشهروا عداوتهم للإسلام، يجعلون هذا النوع من الصلاة برهانا على زعمهم أن الإسلام دين رسوم ومظاهر، وفي الحق أن أهل الأديان الأخرى أولئك الذين تعودوا أن يفصلوا تماما بين الأمور الروحية والأمور الجسدية، كما يفعل اللبان عندما يخض الحليب ليستخرج زبدته، لا يفهمون بسهولة أن في الحليب الصريح في الإسلام يجتمع هذان العنصران مع أنهما متمايزان في أجزاءهما ويعيشان متجانسين ويعبران عن نفسيهما أوضح تعبير).^(١)

على أن محمد أسد رحمه الله حين لاحظ ما أسماه التلاحم العضوي بين الفكر والحواس خلال أوائل القرن العشرين، في المدن الإسلامية؛ كالتآلف والتراحم والتفاعل الاجتماعي النابع من روح الأخوة بين المسلمين، مصداقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) وقوله: (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) كان يلاحظ فرقا واضحا بين حياة المسلمين وبين حياة المجتمعات الغربية التي اختفت منها روح التعاطف والتلاحم العضوي والمشاركة الوجدانية؛ وهي كلها خصال تفتقر إليها المجتمعات في الغرب نتيجة للنزعة المادية. ولكنه في الوقت نفسه كان يخشى أن يفقد المسلمون أيضا تلك الخصال نتيجة لتأثرهم بالحضارة الغربية الطاغية. وهنا يقول الشيخ صالح الحصين رحمه الله (في خلال ثمانين عاما، وتحت وطأة

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة عمر فروخ ص ٢٠

التأثير الطاغي للثقافة الغربية على حياة المسلمين وعلى تصورهم عن الحياة ظهرت دلائل على ما توقعه محمد أسد من تهديد لهذا التصور في حياة وفكر المسلم^(١).

الاعتدال والوسطية

ثم ينقل المؤلف، رحمه الله، عن محمد أسد هذا المقتبس الذي يؤكد حديثه (لا يوجد في العالم أجمعه ما يبعث في نفسي تلك الراحة التي شعرت بها بين المسلمين والتي أصبحت غير موجودة في الغرب وتهدد الآن بالضياح والاختفاء من الشرق؛ تلك الراحة وذلك الرضا اللذان يعبران عن التوافق الساحر بين الذات الإنسانية والعالم الذي يحيط بها)^(٢).

يبين الشيخ صالح الحصين رحمه الله في ثانيا كتابه هذا: أن السماحة هي الصفة العامة للشريعة الإسلامية، فيقول (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصف الإسلام بالشريعة السمحة)^(٣) فإن تكون الشريعة سمحة هذا يعني ضرورة أنها لا تتطوي على أي معنى للعدوان. وأن تكون كذلك ميسرة للناس جميع الناس مصداقا لقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة آية رقم ١٨٥) ولقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (سورة الحج آية ٧٨). ولهذا فإن الإسلام يتوخى الوسطية والاعتدال. وهذه الوسطية هي ماسمي في القرآن بـ(السرائط المستقيم) وما سمي في بعض الآيات القرآنية بالميزان كقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ «سورة

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ٦٧

(٢) المصدر نفسه، نقلا عن كتاب محمد أسد: الطريق إلى مكة

(٣) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ٧٠

الشورى» ولهذا فإن مفهوم العدل الذي هو طبيعة هذه الشريعة السمحة جعل من حياة المسلمين في تطبيقاتهم النموذجية للإسلام إبان العصر الأول، ظاهرة واضحة لكل من احتك بهم أو تعايش معهم. فالوسطية القائمة على العدل والحق هي شرط الشهادة على الناس، كل الناس، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ ولهذا جاءت حركة المسلمين أثناء الفتوح الإسلامية ترجمة صادقة لهذه الآية، فحققوا معنى الوسطية بإقامة العدل والإنصاف. بعيدا عن العدوان أو الإكراه. ذلك أن العدوان في بعض معانيه هو تجاوز للحد، والتوسط هو الالتزام الوسطي بين حدي الإفراط والتفريط. في هذا المعنى يقول الشيخ صالح الحصين رحمه الله (لم يكن غريبا أن يتكرر في القرآن الثناء على الوسطية والاعتدال، والنعي على تجاوز الحد وما يتولد عنه من تعصب وبغي وعدوان وأن يتكرر ذلك في أكثر من ثمانين موضعا)^(١) ثم يؤكد الشيخ بعد ذلك أثر الوسطية في سلوك الفرد المسلم ومن ثم على الآخرين قائلًا (فالعدل والاعتدال والتوسط في سلوك الإنسان في نفسه وفي معاملته لغيره سمة عامة في الإسلام، وتوسط الإنسان واعتداله في تصوره عن نفسه وحكمه عليها يحكم في الغالب تصوره عن غيره وحكمه عليه).

وبالرغم من أن واقع المسلمين اليوم يعكس بعض التطبيقات المتشددة في فهمها للإسلام، وما يتردد عن تلك الجماعات المتطرفة من حديث طويل متصل بقضية الإرهاب وعلاقته بالإسلام في الوسائط الإعلامية الغربية ذات التأثير العالمي، ولاسيما في ظل ثورة الاتصالات والمعلومات؛ فإن رؤية الشيخ صالح رحمه الله في نقاشه لهذه الفكرة لا

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ٧٠

تنفي إمكانية وقوع أعمال إرهابية من قبل بعض المسلمين. وإنما تكمن رؤيته الثاقبة في: عدم وجوب تعدية الحكم المتصل بسلوك جماعة متطرفة بعينها وإسقاطه على ثقافة عامة ودين كامل ولهذا يقول الشيخ صالح: (بصرف النظر عما جرى من تبدل في حياة المسلمين وتصوراتهم وأفكارهم فإن من البديهي أن لا يغير ذلك من حقيقة أن ثقافة تسودها روح التآلف والتعاون لا بد أن تختلف عن ثقافة تسودها روح المغالبة والصراع من حيث خلق بيئة ملائمة لوجود ونمو سلوك التسامح).

إن مرجعية الحكم على ثقافة ما، أو مجتمع ما لا تتبع فقط من تطبيقات الأفراد أو حتى الجماعات المتطرفة فيها، وإنما تتبع أصلاً من الأفكار والنصوص المعرفية والفلسفية والنظريات التي يجعلها ذلك المجتمع أو الثقافة مصدراً لرؤيته للكون والحياة والإنسان.

إن منهج الوسطية باعتباره شرطاً للأمة الإسلامية كي تكون شاهدة على الناس، أي على المجتمعات الأخرى، يعني العدل. فمن يحكم بالعدل هو من يكون مؤهلاً للحكم على الناس. ولأن العدل قيمة عليا من ناحية، ولأن في وسع كل إنسان في أي مجتمع كان، قدرة على معرفة العدل بفطرته من ناحية ثانية؛ كان معياراً وحيداً في استحقاق مرجعية الحكم على الناس. وفي هذا الصدد يبين الشيخ صالح الحصين رحمه الله في كتابه هذا طبيعة منهج الحكم على الناس، وأهم خصيصتين في ذلك المنهج؛ قائلاً (يبدأ الإسلام التدريب على الاعتدال والوسطية والتوازن بالتدريب على المنهج السليم في الحكم على الأشياء والأشخاص والآراء فيسمى هذا المنهج السراط المستقيم وهو يتضمن عنصرين: «الأول» العلم، بأن يبذل الإنسان غاية ما يستطيعه بصفته إنساناً للوصول إلى حقيقة الحكم فلا يحكم بالظن ولا بالشائعة، ولا بناء على خبر غير موثق؛

إذ يسمي هذا الحكم صراط الضالين «والثاني» عدم التحيز والعدول عن موجب العلم بأن لا يحكم على خلاف ما أوصله إليه علمه، لهوى أو عاطفة إذ يسمي مثل هذا الحكم صراط المغضوب عليهم^(١) ومنهج هذا شأنه في شرط إطلاق الأحكام على الناس والأشياء والآراء، لا يُتصور أبد أن يتضمن عدوانا أو طغيانا في الحكم.

وبمثل هذه المنهجية الإسلامية ينعكس الشرطان (العلم والعدل) على أحكام المسلمين المفترضة، وهما شرطان يحقق التحقق بهما غايتي العبادة في الإسلام: (تعظيم أوامر الله، والرحمة بخلق الله) وهاتان الغايتان تتفاعلان بطريقة إيجابية مؤثرة؛ فالتحقق بأوامر الله يفضي بالضرورة إلى الرحمة بخلق الله. وهذا مصداق قول الله سبحانه وتعالى عن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والتسامح ضرب من ضروب الرحمة. والملاحظ هنا أن الرحمة هي للعالمين، أي لجميع الخلق، وليس فقط مختصة بالمسلمين بل بكل البشر من ناحية، وبكل عوالم الكون من ناحية ثانية.

وهكذا يحقق المسلم عبادة الله من خلال علاقيتين اثنتين؛ الأولى علاقته بالله وهذه تقتضي تعظيم أوامره وتطبيقها قدر المستطاع والثانية علاقته بخلق الله، وهذه تكون قائمة على منهج التراحم وما دونه من مستويات العلاقة بين البشر كالتسامح والعدل وغيرها من القيم الكبرى للإسلام. ويسوق المؤلف نصا لمحمد أسد الذي ربما كان من أصدق الذين عبروا عن المقارنة المنهجية بين القيم الإسلامية والقيم الغربية. يقول محمد أسد: (هناك فرق بين الإسلام وبين سائر النظم الدينية المعروفة، ذلك أن الإسلام لا يكتفي بأن يأخذ على عاتقه تحديد الصلات

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ٧٤



المتعلقة بما وراء الطبيعة فيما بين المرء وخالقه فقط، ولكن يعرض أيضاً
للصلات الدنيوية بين الفرد وبيئته الاجتماعية).

على أن معنى التسامح وإن كان أصلاً من أصول العلاقات الإنسانية
في الإسلام؛ فإنه مثل سائر المفاهيم يصبح فاعلاً ودالاً على قيم الإسلام
كلما التزم المسلمون في كل زمان ومكان برؤية معرفية ومنهج سلوكي
منضبط بقيم الإسلام. وهذا بطبيعة الحال، ليس مضطرباً في التاريخ.
لكن عصر الإسلام الأول والقرون الثلاثة التي تلتها جسدت واقعا تاريخيا
لمعنى التسامح كان هو السبب الأكبر حركة المد الإسلامي والفتوحات.
لهذا يؤكد الشيخ صالح الحصين؛ عدم اطراد واقع المسلمين دائماً في
دلالتهم على قيم التسامح في عصور الانحطاط وأزمة التخلف. يقول
الشيخ صالح الحصين في كتابه:

(للأسف فإنه في عصور التخلف والانحطاط في تاريخ المسلمين
غابت هذه المعاني عن حياة كثير من المسلمين وانحرفت مفاهيمهم
عن هذه التصورات الإيجابية فانتشرت تقاليد الدروشة، والانسحاب من
الحياة، وأصبحت المجتمعات بالعجز والكسل... أما في هذا العصر فإنه
من المبرر الخشية على المسلم من التأثير السلبي للحياة الغربية، وتصور
هذه الثقافة للكون والحياة، حيث في هذا التصور يرى الشخص السبب ولا
يرى وراءه الله ويرى النتيجة ولا يرى أمامها الله).^(١)

وهكذا فلا بد من الفصل المنهجي بين أحكام القيمة و أحكام
الواقع، وتحقيق الفرز الضروري بينهما؛ فحكم الواقع متغير، بينما حكم
القيمة ثابت. ولهذا فإن حكمنا على الإسلام بالسماحة يندرج في أحكام

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ٨٩

القيمة، أما حكمنا على بعض المسلمين في بعض الأوقات فقد يندرج في أحكام الواقع بالضرورة.

ولتأكيد هذه الحقيقة يقول الشيخ صالح في الكتاب:

(السر في أن التسامح طبع سلوك المسلمين بقدر التزامهم لمنهج الاعتدال والتوازن في كل العصور وفي كل الأقطار؛ هو ما يفسر أن انحراف بعض المسلمين عن منهج الاعتدال والتوازن شكّل أول إخفاق للمسلمين في تاريخ الإسلام، وكان عاملاً مهماً في خلق ما واجهه المسلمون من مشكلات فيما بعد وعلى مدى الزمن. إن العجز عن انتهاج منهج الإسلام يمكن أن يفسر امتداد الظلامية والتطرف والتعصب والعدوانية في هذا العصر في الغرب والشرق، بالرغم مما وصل إليه الإنسان من نضج في مجال الفكر والعلم)^(١)

الإسلام وقضايا التمييز والطبقية

نظراً لأن شبهة اتهام الإسلام بالعدوانية تستدعي مفاعيل وأثار أخرى بالضرورة؛ فإن منهجية الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، رحمه الله، كانت تنحو إلى الإحاطة بجميع الآثار المحتملة والإشكالات المتفرعة عن ظاهرة العدوانية؛ لهذا فإن المحاجة النقدية تستدعي بالضرورة قطع الطريق عن تداعيات ذلك الاتهام وتفرعاته التي يمكن أن تتمثل في ظواهر أخرى ناتجة عن الظاهرة الأصلية للعدوان.

ومن هذا المنطلق ناقش الشيخ الاتهام المحتمل للإسلام بالعنصرية والتمييز بناء على الاتهام الأول (العدوانية). وجريا على إستراتيجيته

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٠٠



في المواجهة العلمية المحايدة والرصينة؛ يقدم الشيخ صالح الحصين في هذه القضية موضع الاتهام، تجديداً للمنهج الذي التزم به. ابتداءً بإيراد النصوص من القرآن الكريم والسنة النبوية، واستشهاداً بشهادات موثقة للكتاب الغربيين، وانتهاءً بذكر حقائق التاريخ وأحداثه في سبيل تأكيد موقفه النقدي المتشكك من تلك الإستراتيجية المعرفية الصارمة يورد الشيخ صالح في البداية نصاً قرآنياً محكماً في دلالاته على المعنى المنضبط والنافي تماماً للتمييز أو الطباقية بأشد صور الوضوح. وذلك في قوله تعالى من سورة الإسراء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَدِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء ٧٠) فالدلالة الواضحة على كرامة الإنسان في هذه الآية تبين بوضوح أن التكريم من الله سبحانه وتعالى إنما هو لبني آدم جميعاً، ولا علاقة له بالإيمان أو الكفر فهو ليس محصوراً على المسلمين ومنتقياً عن غيرهم. وهذا يعني بالضرورة التزاماً أخلاقياً باحترام حقوق الإنسان التي تضمنها تلك الكرامة. ولقد أكد علماء المسلمين أن سبب الكرامة من الله للبشر، ليست بسبب الإيمان أو الكفر؛ بل لأن في الإنسان نفحة من الروح الإلهية التي هي سبب التكريم ومحل الاحترام. وهذا أصل كبير من أصول الإسلام التي ترتبت عليها آثار كثيرة في حياة المسلمين. كما أورد الشيخ صالح في كتابه قولاً بينا للنبي صلى الله عليه وسلم حول هذه القضية: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، أَلَا لَا فَضْلَ لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، أَلَا قَدْ بَلَغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ).^(١)

وفي هذا الصدد يقول الشيخ صالح: (والواقع أن التاريخ يكشف

(١) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني

في مختلف العصور ومختلف الأماكن عن وجود ظاهرتين في العالم الإسلامي؛ الأولى: إلغاء الطبقة. الثانية منح الأديان وأتباعها الحرية في الاعتقاد والعبادة والتمتع بالحقوق المدنية^(١) فهاتان الظاهرتان تشكلتا عبر التاريخ كثمرة للتفاعل بين النص الديني وفهم المسلمين المعياري ولاسيما في العصر الإسلامي الأول. مما يعني أن ذلك الأصل الكبير الذي قرره الإسلام لناحية الكرامة المتساوية للبشر ظل حافظاً كبيراً للمسلمين في الالتزام بالتسامح حيال بعضهم بعضاً، وحيال غيرهم من الأمم.

أما لناحية توثيق الشهادات المنصفة لبعض الكتاب والمستشرقين الغربيين والنافية لتلك التهم عن الإسلام فيورد الشيخ صالح الحصين رحمه الله جملة من المقتبسات. منها ما أورده الشيخ عن المؤرخ البريطاني الشهير (آرنولد توينبي) حيث يقول: (إن انعدام الطبقة في المجتمع الإسلامي كان واحداً من الإنجازات الأخلاقية بالغة الروعة للإسلام وفي عالمنا المعاصر توجد حالة ملحة للإفادة من هذه الفضيلة الإسلامية)^(٢) كما ينقل الشيخ صالح عن المستشرق البريطاني «هاميلتون جب» قوله: (الإسلام لا يزال قادراً على أن يمنح خدمة جلى للهدف الإنساني. إن للإسلام تقليداً رائعاً من التعاون والتفاهم بين مختلف الأعراق. لا يوجد مجتمع آخر كالإسلام كان له مثل سجله في النجاح في أن يوجد في المساواة في المركز الاجتماعي والفرص في العمل والنجاح مثل هذا التنوع من الأجناس البشرية)^(٣).

ومن خلال تلك المقتبسات التي سجلها الشيخ صالح لآخرين من

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٠٢

(٢) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٠٤

(٣) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٠٥

الكتاب والمستشرقين الغربيين، وكذلك بعض الكتاب من آسيا، في هذا الصدد يتأكد تماما لكل قارئ محايد أن توجيه مثل تلك التهم المتصلة بالتمييز والعنصرية والطبقية إلى الإسلام إنما هو افتراء محض لا يسنده دليل.

ولأن الطابع النقدي لمنهج الشيخ يستصحب دائما استكمال زوايا النظر في القضية مثار الجدل فإن الشيخ رحمه الله يستشهد، مرة أخرى، أيضا بالكتاب الغربيين ولكن في سياق معكوس تماما، إذ يعيد التهمة بالتمييز والعنصرية إلى المجتمعات الغربية على الأقل إلى بدايات تاريخها المعاصر مشيرا إلى الفظاعات التي مارسها الحركة الاستعمارية الأوروبية في حق شعوب آسيا وإفريقيا. ومستدلا في ذلك بكتابات توماس س باترسون؛ حيث يقول هذا الأخير في كتابه بعنوان «الحضارة الغربية»: (إن مصطلح الحضارة صيغ في أوروبا في سياق التوسع الاستعماري الأوربي فيما وراء البحار. وإن المصطلح جرى على السنة النخبة في الدول الغربية، واستهدفوا التمييز بين أنفسهم والشعوب التي التقوا لها، فما أن انتقلوا إلى ما وراء البحار حتى استخدموا التصنيفات الفتوية الشائعة آنذاك مثل عبارات: المتوحشين والهمج والكفار والبرابرة لوصف أبناء الشعوب الذين التقوا بهم وأثناء الانسياح الأوربي الاستعماري عامل المستعمرون في كثير من الأحيان الشعوب الأخرى كما لو لم يكونوا بشرا وارتكبوا نتيجة لذلك ضد هذه الشعوب فظاعات وحشية).^(١) وبطبيعة الحال فإن الشيخ صالح رحمه الله في إيراده لهذه المقتبسات من الكتاب الغربيين لنفي تهمة التمييز والعنصرية والطبقية عن الإسلام، لا يكتفي بها فقط كمقتبسات دالة على آراء أصحابها فحسب. وإنما يستصحب في

(١) توماس، س، ياترسون، الحضارة الغربية، ترجمة شوقي جلال. ص ٢١

توظيفه لتلك المقتبسات مساءلة الجذور الفلسفية للتمييز والعنصرية في أوروبا والولايات المتحدة خلال القرن التاسع عشر.

وكما أن مرجعيته في الإسلام هي نصوص القرآن والسنة النبوية ذات الدلالات الإنسانية والكونية الواضحة في تقرير الحقائق والمبادئ الكلية للإسلام؛ كذلك حين يسوق الشيخ صالح الحصين اتهاماته للغرب بالتمييز والعنصرية، يختار في النصوص التي يستشهد بها على ذلك من كتابات الغربيين؛ ما هو أكثر دلالة على النظريات الفلسفية التي شرعت للأوروبيين فكرة العرق المتفوق ومنحتهم بذلك قيمة مضافة على الشعوب المستعمرة ونهب ثرواتها باعتبارهم عرقا حقق الإرادة العليا للطبيعة؛ كمذهب الداروينية الاجتماعية الذي كان هو الغطاء الفلسفي للفظاعات التي ارتكبتها المستعمرون الأوروبيون في حق بعض شعوب آسيا وإفريقيا من مجازر ومذابح بدم بارد؛ إيماننا منهم بأن تفوقهم العرقي هو نتيجة للتطور الاجتماعي للبشر. وقد شاعت أفكار هربرت سبنسر ولويس هنري مورغان عن الداروينية الاجتماعية في تزامن مع حركة المد الاستعماري الأوروبي.

وهنا ينقل الشيخ صالح هذا المقتبس لتوماس باترسون، مضيئاً هذه الحقيقة: (أعتقد كثير من المفكرين في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية أن تقدم الحضارة نتاج العملية الطبيعية للتطور الاجتماعي ودافع التطوريين الاجتماعيين من أمثال « هربرت سبنسر » في إنجلترا و« لويس هنري مورغان » في الولايات المتحدة بأن كلا العالمين الطبيعي والبشري يخضعان لقوانين التطور ذاتها، وهي قوانين لا تقبل التغيير. بيد أنهم اعتقدوا بأن التطور غير متساو بمعنيين اثنين فالمجتمعات والسلالات المختلفة تتقدم بسرعات مختلفة. . . لتأسيس زعم: أن هناك



ترتيبات هرمية اجتماعية وثقافية وعرقية. .وبدا أن هذا نوع من المصادقة العلمية على المعتقدات التي اعتبرت الفوارق بين الأفراد والمجتمعات والأعراق والأمم على أنها فوارق ضاربة بجذورها في الطبيعة. وفسرت هذه الايدولوجيا التي عرفت بـ «الداروينية الاجتماعية» العالم في ضوء البقاء للأصلح).^(١)

بيد أن الجذر الأعمق لتلك الفرادة المتوهمة والانتخاب الطبيعي الذي أسقطه الأوروبيون على مجتمعاتهم تجلى أيضا في تاريخ الولايات المتحدة، التي شهد تأسيسها إبادة لشعوب الهنود الحمر بلغت الملايين. ففي الولايات المتحدة كانوا يعتقدون (أن مجتمعهم ليس فقط مجتمعا استثنائيا فريدا؛ بل وإن أبناء هذا المجتمع أيضا هم « شعب مختار» اختاره الرب لمهمة إنجاز رسالته لنشر الحضارة).^(٢)

ورغم هذه الوثائق والحقائق المفسرة لاستبطن معنى العدوانية تحت غطاء الإيديولوجيا والنظريات الفكرية في أوروبا والولايات المتحدة؛ فإن الشيخ صالح الحصين، وهو يقدم هذه الرؤية النقدية العميقة، ظل منصفا للمجتمعات الغربية اليوم وما تتمتع به من أفكار وقوانين ضد التمييز والعدوان والعنصرية. حيث يقول الشيخ صالح رحمه الله (ولا شك في أن الأدبيات الأوروبية والأمريكية غنية بالأفكار التي ترفض التمييز العنصري وتقرر مبادئ المساواة بين البشر، ولكن ما تقدم يدل بلا شك أيضا على أن الثقافة الغربية أخفقت في أن تحقق ما نجح فيه الإسلام من إلغاء الوعي بالتمييز العنصري بصفة كلية).^(٣) وهذه الرؤية العميقة

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١١١

(٢) توماس، س، باترسون، الحضارة الغربية، ترجمة شوقي جلال ص ٢٨

(٣) المصدر نفسه صفحة ١١٦

في تحليل الشيخ صالح الحصين، تشير بطبيعة الحال إلى عجز أوروبا والولايات المتحدة حتى اليوم عن تعميم العدل والقيم الإنسانية خارج حدودهما، ما يعني حصر التمتع بقوانين العدل والحرية والكرامة داخل الحدود الوطنية لتلك الدول وبين مواطنيها أو المقيمين داخل حدودها. أما في الإسلام فإن التحقق بتلك القيم والدعوة إليها يظل إنسانيا وعاما بحيث يبدو الفرق واضحا هنا بين نموذج (المواطن الصالح) كما تتوخاه كل من أوروبا وأمريكا، و(الإنسان الصالح) الذي يتوخاه الإسلام. ولهذا يختم الشيخ الحصين مقارنته قائلًا:

(والمقارنة بين الثقافتين الإسلامية والغربية في هذا المجال وفي ضوء الحقائق السابقة لا تدل بأي حال على أن التسامح خصيصة غربية، أو أن عدم التسامح يتفق مع الإسلام).^(١)

الإسلام وإشكاليات التعددية الثقافية

بالرغم من أن مفهوم التعددية الثقافية مفهوم حديث إلا أن معناه العام المتصل بحرية تعدد الثقافات والأديان والأفكار ظل معروفا منذ ظهور الإسلام. لأن هذا المفهوم لم يكن متصورا قبل الإسلام، وذلك لاقتصار رسالات الأنبياء على أقوامهم. ولهذا فهو أحد الظواهر المرتبطة عضويا بالإسلام في كونه رسالة إنسانية ودينا عالميا لكل الناس. (لقد نشأت هذه الظاهرة الإنسانية والحضارية مع الإسلام منذ لحظة ميلاده)^(٢) كما يقول الشيخ صالح الحصين مفتتحا حديثه حول هذه القضية ليؤكد من خلاله طرحه النظري في نقد تهمة العدوانية التي لا تتفق مع التعددية، فبينما أن

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١١١

(٢) المصدر نفسه ص ١٢٠

العدوانية تتضمن إكراها فإن التعددية تتضمن بالضرورة اختياراً.

وكانت التجربة الأولى للمسلمين منذ بداية إقرار وثيقة المدينة عندما هاجر المسلمون إلى المدينة، التي تعايشوا فيها عبر تلك الوثيقة مع اليهود. ومع محاولات اليهود الكثيرة في استخدام الأذى اللفظي ضد المسلمين مع إقرارهم بينود هذه الوثيقة إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحاربهم إلا عندما نقضوا بنود هذه الوثيقة، وأعلن بعضهم الحرب على المسلمين، وانتقلوا من الأذى بالكلام إلى الأذى بالفعل. وحين حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم أعلن الحرب فقط على من حاربه منهم. ويسوق المؤلف حادثتين من العهد النبوي تؤكد حرية التعددية الثقافية؛ إحداهما حينما سمح النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نجران النصراني بالصلاة في مسجده.

وظاهرة قبول التعددية الثقافية في الإسلام تعتبر من أوضح الظواهر في تاريخ المسلمين، وأبرز دلالاتها اليوم تتمثل في بقاء الأقليات المسيحية واليهودية في العالم العربي والعالم الإسلامي حتى اليوم.

ويستشهد الشيخ صالح الحصين في كتابه بحوادث من تاريخ الإسلام ارتبط فيها مفهوم التعددية الثقافية بمواقف عملية أملت روح التسامح لدى المسلمين؛ فينقل عن (تاريخ الطبري) موقف عمر بن الخطاب من أهل أرمينية على لسان عامله (عتبة بن فرقد) وذلك حين فتحت أرمينية (هذا ما أعطى عتبة بن فرقد، عامل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، أهل أرمينية سهلاً وجبلها وحواشيها وشعارها وأهل ملتها لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومللهم وشرائعهم على أن يؤدوا جزية على قدر طاقتهم).^(١)

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (١٥٢/٤)



إلى جانب ذلك، يواصل الشيخ صالح الحصين في نقولاته عن كتب المستشرقين المنصفين وآرائهم حيال هذه القضية؛ من ذلك ما ذكره غوستاف لوبون: (ويمكن القول أن التسامح الديني كان مطلقاً في دور ازدهار حضارة العرب، فتسامح مثل هذا لم تصل إليه أوروبا بعدما قامت به في ألف سنة من الحروب الطاحنة).^(١) بالإضافة إلى نصوص مشابهة لكتاب ومستشرقين آخر حول فتح الأندلس وصقلية وغيرها.

ويرد الشيخ صالح الحصين رحمه الله إجماع هؤلاء المستشرقين والكتاب رغم اختلاف جنسياتهم وبلدانهم ولغاتهم على قبول ظاهرة التعددية الثقافية في التاريخ الإسلامي إلى ميزتين، الأولى أن: (المدى الذي حققه الإسلام عملاً في قبوله تحت سلطانه التعددية الثقافية وقابليته للتعايش مع الأيدولوجيات والثقافات الأخرى، بما هو فريد لا يوجد مماثل له في التاريخ الماضي والحاضر، والثاني: استمرار هذه الظاهرة على مر العصور وفي مختلف الأقطار التي حكمها الإسلام، بما يعني أنه لم يكن لتغير ظروف الزمان والمكان أثر في هذه الظاهرة).^(٢)

ومن خلال منهجية الإسلام في قبول التعدد الثقافي من ناحية، والاحتفاظ بهويته التي تتناقض بعض مكوناتها عقائد أهل الثقافات التي تعايشت مع المسلمين من ناحية ثانية؛ يناقش الشيخ صالح إحدى القضايا المعاصرة والمتفرعة عن هذه قبول التعددية الثقافية. فبالرغم من أن الإسلام نقض بوضوح عقيدة التثليث المسيحية، مع إقراره بتعظيم وتمجيد المسيح كنبى من أنبياء الله أولي العزم، وكذلك بالنسبة لليهودية؛ بالرغم من ذلك لم يكن ذلك الموقف العقدي للإسلام خصماً على صيغة قبول التعدد الثقافي للمسيحيين أو اليهود ومن خلال هذه الحقيقة التاريخية

(١) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٢٠٨ - ١١٠

(٢) المصدر نفسه، صفحة ١٤٢

يكشف الشيخ صالح الحصين، زيف حجة الاتجاه غير التسامحي الذي بدا يظهر في الغرب بالتضييق على الأقليات بحجة أن احتفاظها بنمط ثقافتها مصادم لطريقة الحياة؛ كالقانون الذي أقرته فرنسا لمنع ارتداء الحجاب. ثم يصل الشيخ في تفنيده لهذه الحجة إلى المغزى المضمّر لذلك التضييق على الأقليات الإسلامية في الغرب قائلًا: (من المحتمل في الغالب أن الحجة التي يستند إليها في الإلحاح على الأقليات المسلمة في أوروبا وأمريكا الشمالية بالتخلي عن خصائصهم الثقافية وعلى العمل على اندماجهم في المجتمع والأخذ بطريقة الحياة الغربية أو الأمريكية؛ هذه الحجة مجرد تبرير سياسي يستعمل لإخفاء التناقض بين قيم الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، وبين ما يتخذ من إجراءات قانونية أو بوليسية ضد الأقليات المسلمة).^(١)

وبالرغم من هذه التناقضات التي كشفها الشيخ في عجز الثقافة الغربية على تمثيل القيم والحرية كاملة في مسألة حقوق الأقليات المسلمة، إلا أنه يتفهم كذلك قوة ضغط المشاعر السلبية على العقل الباطن للغربيين. يقول الشيخ صالح رحمه الله في هذه القضية: (إن المشاعر السلبية تجاه الإسلام هي من القوة والتجذر في الثقافة الغربية بحيث لا يكون من العدل أن تعتبر آثارها في واقع الفكر والسلوك الغربي المعاصر دليلاً على إخفاق الثقافة الغربية في مجال قبول التعددية الثقافية).^(٢)

وختاماً يخلص الشيخ صالح الحصين إلى توصيف دقيق لطبيعة العلاقة بين الإسلام والتسامح من ناحية، و الثقافة الغربية والتسامح من ناحية ثانية. فهو حين يثبت حقيقة قبول التعددية الثقافية في التاريخ

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٤٨

(٢) المصدر نفسه صفحة ١٦٧



الإسلامي، لا ينفي كذلك حقيقة التسامح في الثقافة الغربية المعاصرة بقدر ما يشير إلى إخفاق هذه الثقافة وتناقضها حين تكشف عن مشاعر الغربيين السلبية تجاه الإسلام. وذلك عندما يقول:

(إن التسامح الذي لازم تاريخ المسلمين وأماكن سلطانهم تجاه الأقليات المخالفة لهم في الأيديولوجية، وقبول التعددية الثقافية نظريا وعمليا يدل على صلة التسامح الوثيقة بطبيعة الإسلام وجوهره. وبالعكس فإن إجراءات عدم التسامح التي واجهتها وتواجهها الأقليات الإسلامية في الغرب لا تدل بالضرورة على أن الثقافة الغربية لا تعترف بالتسامح قيمةً حضارية، وإنما تدل فقط: على أن الثقافة الغربية لا تنجح دائما في اختبار الالتزام بهذه القيمة الحضارية عندما تواجه المشاعر السلبية للغربيين تجاه الإسلام).^(١) تلك المشاعر التي وصفها (غوستاف لوبون) في كتابه حضارة الغرب معبرا عنها بقوله: (تراكمت «مبتسراتنا» الموروثة ضد الإسلام والمسلمين في قرون كثيرة وصارت جزء من مزاجنا وأضحت طبيعة متأصلة فينا تأصل حقد اليهود على النصارى الخفي أحيانا والعميق دائما).^(٢)

هكذا استطاع الشيخ صالح الحصين رحمه الله من خلال منهجه النقدي الرصين توجيه الجدل بطريقة عقلانية كشفت عن براءة الإسلام من تهمة العدوانية واستحقاقه للتسامح.

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٦٦

(٢) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص ٥٦٩ - ٥٧٠



العلاقات الدولية:

رهان المبادئ والمصالح بين الإسلام والغرب

تشكل العالم الحديث، على مبادئ الحداثة السياسية التي تمخضت عن التحولات التي شهدتها أوروبا خلال القرون الأربعة الأخيرة. وهي تحولات ثورية وفلسفية وسياسية قامت في أساسها بمعزل عن الدين المسيحي بتأويله الأوروبي وعلى نقيض الرؤية الدينية للعالم. ونشأت السياسة عبر المصالح الوطنية التي تحددها كل دولة وفق قوتها وقدراتها التسليحية والاقتصادية. لقد انخرط العالم بعد اتفاقية وستفاليا عقب حرب الثلاثين عاما في أوروبا والتي حُوِّلَ بموجبها في العام ١٦٤٨ الحدود الدينية للإمبراطوريات إلى حدود وطنية وسياسية، لتحل مبادئ الوطنية في وعي الشعوب الأوروبية محل العقائد الإيمانية، ولينشأ بعد ذلك سباق محموم شهدته حركة المد الاستعماري الذي احتل بلدان آسيا وإفريقيا حتى قبيل الربع الأخير من القرن العشرين، ولم يخرج الاستعمار عن بلدان آسيا وأفريقيا وبلدان العالم الإسلامي إلا بعد أن أعاد تشكيلها سياسيا عبر خرائط العالم السياسية التي وضعها الأوروبيون، مع ما ارتبط بها من مقومات الدولة الحديثة التي بنيت على أساس تلك الحدود التي وضعها المستعمر؛ كالجيش، ونظم التعليم، ومؤسسات الدولة، وغيرها. حتى أصبح العالم الإسلامي في صيفته المعاصرة دولا تأسست على نمط الكيانات السياسية في أوروبا.

وهكذا بعد أن شهد العالم حروبا طاحنة؛ عالمية وإقليمية، نشأت أساسا من تناقضات المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية بين القوى الأوروبية المختلفة وصولا إلى الحريين العالميتين أصبحت السياسة لعبة مصالح قبل أي شيء آخر، كما أصبحت الأخلاق خارج

التفكير السياسي لقادة العالم. ومن هنا نشأت العلاقات الدولية بين الأمم المختلفة.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ صالح الحصين رحمه الله (بالرغم من استناد السياسيين الدائم إلى القيم الخلقية وإلى القانون الدولي في تبرير سلوكهم في العلاقات الدولية المعاصرة فإن الواقع كما هو معروف، وكما تقرره الكتب المدرسية المؤلفة في العلاقات الدولية أن العلاقات الدولية المعاصرة في حالة السلم أم الحرب، تقوم على أساس المصلحة القومية والقوة، ولا تقوم على أساس الأخلاق والقانون؛ إذا لم يتفق أي منهما مع المصلحة القومية والقوة).^(١)

وإذ يبدو اليوم بديهيا، وليس غريبا ألبتة انفصال الأخلاق عن السياسية تبعا لثبات الأولى وتغير الثانية؛ فإن ما جعل الأمر كذلك ليس هو طبيعة الأشياء، ولا نتيجة لتناقض أصلي بين الأخلاق والسياسة؛ بقدر ما هو ترتيبات أصّلتها النزعة المادية التي حكمت أوروبا في كل علاقاتها أفرادا وشعوبا.

وعلى ذلك فإن التناقض الرئيس هنا سيكون واضحا عند مقارنة العلاقة بين التسامح والعدوانية. ذلك أن البنية المادية التي تتحكم في رؤية السياسات والمصالح الوطنية لكل القوى العظمى، وما يتصل بها من مواقع نفوذ ومصادر طاقة وغير ذلك؛ إذ جعلت من أوروبا وأمريكا تنظران للسياسة بعيدا عن الأخلاق، وتبعا لها كذلك النظم السياسية والدول في العالم أجمع التزاما بالتصور الذي وضعه الأوروبيون لإستراتيجيات السياسة في العالم الحديث ومنظوماتها المتصلة فإن أي معنى لتصور

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٧٢



التسامح هنا ضمن هذه العلاقات الدولية يبدو عبثاً وبلا طائل، ما يعني ذلك ضمناً أن هوية الصراع الذي تأسست عليه الحضارة المادية الأوروبية هي التي تتحكم في رؤية الكيانات الدولية لعالم اليوم.

والسؤال الذي يفرض نفسه هو: هل صيغة الصراع التي تستقطب تناقضات السياسة، هي الصورة الوحيدة للكيانات السياسية في عالم اليوم، وهل هناك أصلاً من علماء السياسة والقانون الدولي من يرى أفقا للعلاقات الدولية في إطار الأخلاق الإنسانية، لا في إطار المصالح وموازن القوى؟

ثم هل اتساق النظرة الإسلامية لمفهوم التسامح، وروحية العبادة في الإسلام التي تقوم على طاعة الحق والرحمة بالخلق تصلحان لتأسيس منهج سياسي يأخذ طابعه من روحية العبادة لا من مادية الصراع؟

وفقاً لرؤية الشيخ صالح الحصين، وإستراتيجيته في نقد شبهات العدوانية فإن سماحة الإسلام يمكن أن تضع منهجاً للسياسة، نسبة لشمول العبادة في الإسلام لكل نواحي الحياة. لكن الشيخ صالح بالرغم من إقراره بأن ميزان العلاقات الدولية سيظل مختلاً ومحكوماً بالتناقضات المتقاطعة لمصالح الدول الكبرى إلا أنه يؤمن بأن المنهج الإسلامي القائم على التسامح، والشريعة السمحة يمكنه أن يؤسس لحياة سياسية لا تنفصل عنها الأخلاق بل تصبح الأخلاق فيها حاكمة للسياسة لا منفصلة عنها.

وعلى طريقته المنهجية التي التزم بها في الاستئناس بحجج العارفين من أهل الغرب، ينقل الشيخ صالح الحصين رحمه الله مقتبساً مهما لعالم القانون الكبير الدكتور رينولد نيبير: (إن البشر بدلاً من أن

يمدوا قواعدهم الأخلاقية لتشمل السياسة الدولية فإنهم ينزعون إلى استخدام السياسة للتفيس عن نزعاتهم غير الأخلاقية).^(١)

ذلك يعني أن هناك إمكانية أخلاقية متصورة لطبيعة العلاقات الدولية، ومستوحاة من القيم في الوقت عينه. ثم يورد الشيخ مقتبسا من (جوزيف فرانكل) حول ضعف القانون الدولي أمام القانون المحلي بسبب أن هذا الأخير مجمع عليه: (إن التشابه في الاسم بين القانون المحلي والقانون الدولي لا يعني تماثلا في وظيفة القانونين. إن القانون الدولي يعمل في محتوى اجتماعي مختلف تماما، وهو لا ينهض على اتفاق اجتماعي كالقانون الوطني، ودون سلطة مركزية تضمن تطبيق الجزاء على مخالفة قواعده. والدول تختلف عن الأفراد من حيث إنها لا تعد رعايا للقانون. ذلك لأن القانون الدولي ليس قانونا فوق الدول. . . وهذا الوضع لا يتفق وطبيعة النظام القانوني إلى درجة أن بعض رجال القانون ينكرون الطبيعة القانونية للقانون الدولي كلية بسبب افتقاره إلى الخاصية الأساسية للقانون وهي: الجزاءات الفاعلة)^(٢) ومع ذلك يؤكد الشيخ صالح الحصين إمكانية وضع نظام للقوانين الدولية إذا ماترك الأمر لفقهاء الدستور والقوانين الدولية، ناقلا عن جوزيف فرانكل قوله: (ليس من الغريب أن نجد اختلافا كبيرا حول تقييم أهمية « القانون الدولي » فبينما يعتبره بعض الناس مجرد قانون صوري، يرى آخرون أن رجال القانون بإمكانهم لو أتاح لهم رجال السياسة المجال أن يضعوا مجموعة من القواعد القانونية تكفل السلام على الأرض). ويستطرد الشيخ صالح، نقلا عن فرانكل: (المصلحة القومية هي المفتاح السياسي في السياسة

(١) جوزيف فرانكل، ترجمة غازي القصيبي، العلاقات الدولية، ص ٧١

(٢) المصدر السابق صفحة ١٧١



الخارجية ويرتد هذا المفهوم في جوهره إلى مجموع القيم الوطنية. وإذا كان من الصعب بيان المقصود بالمصلحة الوطنية كفكرة مجردة؛ فإن من المستحيل أن نجد إجماعاً على ما تعنيه في قضية معينة^(١).

وهكذا سيتبين أن هشاشة القانون الدولي نابعة من نسبية الضبط لمفهوم المصلحة الوطنية، وهذا بالضرورة سينعكس غموضاً في القيمة الأخلاقية التي تقف وراء تلك المصلحة. لهذا يعلق الشيخ صالح الحصين على تلك الاقتباسات قائلاً (من الاقتباسات السابقة يمكن استخلاص ما يأتي؛ أن هناك ميزتين تطبعان منهج العلاقات الدولية في الحضارة المعاصرة «الحضارة الغربية»: الأولى: هشاشة القوة الإلزامية للقواعد القانونية المفروض أن تحكم العلاقات الدولية.

والثانية: هشاشة الأساس الأخلاقي الذي يركز عليه المنهج؛ لذا من الطبيعي أن تكون العلاقات الدولية مؤسسة على هذا المنهج^(٢).

وهكذا فإن القوة التي تحكم قانون العلاقات الدولية نتيجة لهشاشة الأساس الأخلاقي، تفتقر عن الحق والعدل؛ إذ إن معرفة الحق والعدل في القضايا الدولية أو القضايا البينية للدول لا تكفيان بذاتهما ما لم تكن هناك قوة تقف إلى جوارهما، أي أن قيمتي الحق والعدل في قانون العلاقات الدولية لا يملكان حجيتهما أو سلطانيتهما الأخلاقيين ما لم تصحبهما قوة. وعلى النقيض من ذلك يمكن للقوة المجردة أن تصبح معياراً للقبول بحكم الأمر الواقع، بعيداً عما إذا كان من يحوزها محقاً أم غير محق!

(١) المصدر السابق صفحة ٥٢

(٢) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٧٥

وهذه النتائج الفظيعة التي تجلت في الحروب بين البشر بناء على افتراق القوة عن قيمتي الحق والعدل؛ هو ما دفع الفلاسفة والعلماء في أوروبا إلى إدانة تلك الكوارث التي خلفها منطلق القوة العاري وتناقضات المصالح الوطنية والإستراتيجية بين الدول؛ لذا يسوق الشيخ صالح الحصين رحمه الله مقولة مهمة للعالم الفيزيائي الشهير ألبرت إنشتاين حيث يقول: (لقد وُعد العالم بالحرية والعدل ولكننا لا نزال نرى قوى الحرية تصب النار وتصف بالقنابل شعوباً لا لشيء إلا لأنها تطالب بالحرية والعدل).^(١)

هكذا تتجلى آثار العدوان في بنية العقل الغربي حين يفرق بين العدل والحق من ناحية، و القوة من ناحية ثانية، في علاقات الأمم والدول. وهي آثار لا تزال تفعل فعلها المدمر في حياة البشر وفي الأمم والشعوب بناء على منطلق القوة لا منطلق العدل والحق. لهذا كثيراً ما تسمى السياسة الدولية بـ(سياسة القوة).

على النقيض من ذلك أقام التسامح الإسلامي قواعد العلاقات الدولية على قيم الحق والعدل وعلى القوة الإلزامية للاتفاقيات؛ لأن (الاتفاقيات بين الدول هي المصدر الرئيس للقانون الدولي)^(٢) كما يقول الشيخ صالح الحصين رحمه الله ذلك لأن العدل في الإسلام قيمة مطلقة يحتاجها كل الناس، ولهذا وردت كلمة العدل بصيغها المختلفة حوالي ٣٥٠ مرة في القرآن الكريم. كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِأَلْفُسُطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۚ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ ۚ﴾ (النساء ١٣٥) وفي آيات أخرى كثيرة أمرت

(١) P. 93. 201-A. Einstin. out of later teras. PP. 200

(٢) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٧٨

بالعدل ونهت عن الظلم.

ولقد نهى الإسلام عن سفك الدماء ولم يبجحها إلا بحقها في ثلاث مواضع هي: الحدود، والقصاص، والجهاد. لأن المواضع الثلاث تتضمن سلوكا بشريا شريرا ومفسدا للحياة. أما في غيرها فنهى عنه نهيا قاطعا. والجهاد في الإسلام هو أبرز صور الحرب العادلة في تاريخ المسلمين، ولهذا شرعه الله لغايات نبيلة ولتأسيس قيم عظيمة، كالدفاع عن النفس، ومحاربة الفساد وغيرها.

ولأن الجهاد في صورته القتالية بمثابة حرب عادلة في غاياتها فإن الإسلام كذلك شرع تشريعات للحد من الآثار السالبة لمفردات أو هوامش تلك الحرب، ومن ثم حرم كل ما يجعل منها سببا للانتقام الشخصي، أو من الأبرياء كالأطفال والنساء والعجزة، إلى جانب الكثير من التشريعات المتعلقة بالقتال. فغاية الجهاد هي منع سفك الدماء، ومحاربة الإفساد، والوقوف في وجه إرادة العلو في الأرض. ولأن الغايات الثلاثة تتصل، على التوالي؛ بحياة الإنسان، وقوام حياته وحرية، لذا أصبح مهما الحفاظ عليها كي تستقيم الحياة.

لقد جعل الشيخ صالح الحصين رحمه الله من استشهاده بالشواهد الأخلاقية التاريخية المتصلة بغايات الجهاد المذكورة، في الجهاد بمعناه الإسلامي؛ هدفاً لإثبات قيمة التسامح من ناحية، وللتأكيد على أن تلك الغايات ليست غايات مثالية مستحيلة التطبيق، كما يزعم بعضهم تحت وطأة واقع الحياة المادية وصراعاتها في العالم المعاصر. ولهذا حين اشترط في تحديد وصف الجهاد بأنه (في سبيل الله) يكون ذلك الوصف نافيا بالضرورة كل هدف آخر للحرب، سواء لسفك الدماء، أو للاستعلاء في الأرض، أو للإفساد فيها. وهنا تكمن القيمة المثالية الواقعية في الوقت

عينه. وكانت ظاهرة القتال التي صاحبت الفتوح الإسلامية الأولى كانت في سبيل الله، كون هدفها تحدد في: (القتال لحماية حق الإنسان في اختيار أن يكون الله إلهه لا إله سواه). ويخلص الشيخ صالح الحصين إلى هذه الحقيقة التي يبين فيها الفرق بين الجهاد الإسلامي والحروب المعاصرة حين يقول (عندما نلاحظ الفرق بين طبيعة الجهاد وطبيعة الحروب المعاصرة بما تلقيه كلمة حرب من ظلال وإيحاءات تشارك في صياغة معنى ومضمون هذه الكلمة؛ فإنه يكون من غير الملائم اعتبار القتال في الجهاد حربا، بمعنى ومضمون الحروب المعاصرة) (١).

ذلك أن أبرز ثمرات الجهاد هي الفتوحات الإسلامية، التي وصفها الفيلسوف عبد الله العروي بأنها (معجزة بشرية). وهذا ما أشار إليه الشيخ صالح الحصين حين قال (وحتى الآن لا يزال المؤرخون في حيرة لتفسير سر هذه الظاهرة المدهشة التي تستعصي على التفسير الذي تعودته الناس لأحداث التاريخ) (٢) فهذه النتائج الإنسانية والأخلاقية للجهاد الإسلامي كانت أيضا ترجمة عميقة للمنهج القرآني ومبادئه في الحرب. لهذا يقول الكاتب Alcsander Powele (في انتصارات المسلمين الحربية أظهروا درجة من التسامح أخجلت كثيرا من الشعوب المسيحية) (٣).

هكذا بدا التسامح كقيمة إسلامية في كل التشريعات التي شرعها الإسلام. ثم يقول الشيخ صالح الحصين في ختام حديثه عن علاقة التسامح بالجهاد في الإسلام (المسافة بين التحضر والوحشية قصيرة يسهل على الإنسان أن يتخطاها ما لم يترب في ظل ثقافة قادرة على أن

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٨٧

(٢) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ١٩٠

(٣) Alexander Poull . Struggle of Powerin Moslim Asia. P. 48



تروض الطبيعة العدوانية في داخله. ولن تكون الثقافة قادرة على ذلك إلا إذا كان التسامح والنفور من الظلم والعدوان جزء من طبيعتها. لقد ملك الإسلام هذه القدرة التي وصفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « بعثت بالحنيفية السمحة »^(١).

وفي نهاية نقده المنهجي المقارن لظاهرتي التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب، ينجح الشيخ صالح رحمه الله في إقناع القارئ بصواب إستراتيجيته المعرفية في توجيه النقاش وتحرير الخلاف عبر تحديد هوية النقاش من حيث المقارنة بين الإسلام في نصوصه الأصلية المحكمة والثابتة لا واقع المسلمين المتغير والنصوص النظرية والفكرية لمناهج المعرفة في الغرب.

والحال أن الشيخ صالح الحصين رحمه الله إذ يعترف بالقيم المعرفية والإنسانية الحية لحضارة الغرب، إلا أنه في الوقت عينه يؤكد بعمق ونزاهة أن تلك الحضارة لا تزال تتضمن قيما ومفاهيم أخرى تضمحل انحرفا واضحا عن القيم الإنسانية. حيث يقول الشيخ صالح: (الثقافة الغربية تعبر عن نضج الإنسان وتطور تفكيره وتسليمه بالقيم الانسانية واستشرافه لصياغة الحياة وفق مقتضاها، وفي الوقت نفسه لا تنفي هذه الثقافة شوائب أخرى مثل؛ سيادة فكرة الصراع، النسبية الأخلاقية، المكيفيلية، والمعايير المزدوجة للقيم، والإخفاق في ضبط الميول الغريزية الحيوانية. ولكن ربما كان أهم عامل في ما يحدث من إخفاق للثقافة الغربية في رعاية القيم الإنسانية، بما فيها قيمة التسامح ومقاومة النزعة العدوانية، هو: أن تسليم المثقفين الغربيين بالقيم الإنسانية ليس في كل الأحوال تسليم الإيمان القلبي، بل هو في أحيان كثيرة تسليم

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ٢٠١

المنطق النفعي).^(١)

ولعل العامل الأخير الذي ذكره الشيخ صالح رحمه الله وهو عامل التسليم بتلك القيم وفق منطق نفعي مادي، غير إيماني هو العامل الأخطر الذي سيعجز دائما عن تحقيق العدل والحق الإنسانيين وتعميمهما على جميع البشر.

ذلك أن المادية هي البنية الناظمة لجوهر التفكير الأخلاقي في الغرب، والمادية بطبيعتها تصبح عاجزة عن تصور تقديم الخير المجرد بلا مردود نفعي مقابل. والشرط الوحيد الذي يسمح بتعميم العدل والحق الإنسانيين وتقديمهما لجميع البشر بلا مقابل، وبحيث يعم الجميع هو الإيمان بالله واليوم الآخر؛ فذلك الإيمان هو فقط الذي يجعل من تعميم قيم الخير لجميع البشر والموت في سبيل ذلك الخير إذا اقتضى الأمر، واجبا وممكنا.

وهذا تحديدا ما قام به النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والتابعون الأول في حركة الفتوح الإسلامية الأولى؛ فخرج الصحابة إلى العالم بهدي الإسلام لم يكن الهدف منه ماديا أو نفعيا، وإنما كان تحقيقا لنصر الله وإيماننا به، وطلبا لرضوانه ولهذا كانت ثمرة ذلك الخروج هي الفتوحات الإسلامية، التي لم تجد لها حتى اليوم تفسيراً موضوعياً بعيداً عن مفهوم الإيمان بالله واليوم الآخر لا في قوانين التاريخ، ولا في قوانين علم الاجتماع، لا قديما ولا حديثا؛ لأن ذلك الإيمان هو العنصر الغيبي الوحيد الذي يفسر تلك (المعجزة البشرية) فيما حققه المسلمون الأوائل، كما يقول الفيلسوف المغربي عبد الله العروي.

(١) صالح الحصين كتاب التسامح والعدوانية بين الإسلام والغرب صفحة ٢٢٢

وبالرغم من وجود مفكرين كبار في الغرب دافعوا بقوة عن ضرورة تعميم الحق والعدل الإنسانيين لكل البشر وليس فقط بين مواطني دول الغرب لذا وجدوا أنفسهم بالضرورة مدافعين عن القضايا الأخلاقية المحقة كالقضية الفلسطينية من أمثال (نعوم تشومسكي) الذي يوصف بالمنشق في الإعلام الأمريكي و(إدوارد سعيد)، و(يورغن هابرماس). ورغم حججهم الأخلاقية المتماسكة نظريا حيال تلك القضايا إلا أنه تم تهميشها في ظل عالم تحكمه المادية والقوة.

جدل الحرية الدينية في السعودية

في كتابه (الحرية الدينية في السعودية) يناقش الشيخ صالح الحصين - رحمه الله - الاتهامات التي وردت في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية عن الحريات الدينية في السعودية؛ الذي صدر في العام ٢٠٠٥م. وعلى طريقتة في أعمال الحياد الموضوعي خلال مناقشة التقرير، يحاول الشيخ صالح نقض شبهاته من خلال مقارنات، ونظائر، من ناحية، وعبر تصوير الحجج بمنهج عرض عقلاني ومنطقي قابل للتفهم من الجميع بما فيه من أفكار متماسكة من ناحية ثانية، فيما تتجلى بعض قدراته التي اكتسبها من دراسته للقانون في توجيه الردود وعرض الأمثلة التي تشرح المعاني والأفكار.

فما اعتبره التقرير الأمريكي، حَجْرًا على حرية العبادة في السعودية من خلال تصويره لمنع بناء المعابد والكنائس لغير المسلمين في السعودية، وأدرجه في خانة انتهاكات حقوق الإنسان؛ يرده الشيخ صالح إلى حقيقة قررها الإسلام بنصوص صريحة، وأجمع عليها المسلمون بكافة مذاهبهم؛ هذه الحقيقة تقضي بأن مركز الإسلام في العالم كلها هو مكة



ونواحيها، والمدينة ونواحيها، واليمامة ونواحيها؛ وبما أن هذه النواحي أصبحت منذ وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمثابة مركز للإسلام فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون فيها معبداً أو كنيسة بقوله صلى الله عليه وسلم في أواخر حياته حين أوصى بأن (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) حيث فسر العلماء جزيرة العرب بـ(الحدود السياسية للمملكة العربية السعودية اليوم) ما يعني أن قرار الحكومة السعودية بمنع إقامة معابد أو كنائس لغير المسلمين ليس قراراً ضد الحريات الدينية بل هو تطبيق لأمر ديني وحكم من أحكام الإسلام أجمع عليه جميع المسلمين وليس السعوديين فقط منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

بيد أن هذه الحقيقة استثناء وليست قاعدة؛ فالأرض التي منع فيها إقامة معابد وكنائس لغير المسلمين (حدود السعودية اليوم) تعتبر جزءاً صغيراً جداً من خارطة العالم الإسلامي التي امتدت تاريخياً من الصين إلى جنوب فرنسا، والتي تشمل اليوم حوالي ٥٦ دولة من مجموع دول العالم.

وبما أن الإسلام لم يمنع طوال تاريخه الأقليات الدينية من تطبيق شعائرها والتحاكم إلى قوانينها بما في ذلك قانونها الجنائي في كل الرقعة الجغرافية التي انتشر فيها تاريخياً باستثناء تلك الرقعة الصغيرة (حدود المملكة العربية السعودية اليوم) فإن هذا المنع الذي يعتبره التقرير الأمريكي انتهاكاً للحريات الدينية في السعودية هو في الحقيقة تنفيذ لذلك الاستثناء الذي قرره الإسلام وأجمع عليه المسلمون، وتطبيق لقناعة الشعب السعودي؛ بما أن الشعب السعودي شعب مسلم مائة في المائة.

إذن فهذا التشريع ليس نابعا من التعصب أو الكراهية، أو الخوف

كما يتوهم معدو التقرير فلو كان الأمر كذلك لكان المنع عاما في حق كل الأقليات الدينية داخل العالم الإسلامي اليوم، وبما أن ذلك غير صحيح فإن وجه الاحتجاج على هذا القرار من قبل معدي التقرير يعتبر باطلا واتهاما للسعودية بغير وجه حق.

هكذا ناقش الشيخ صالح الحصين، وفند هذا الاتهام بطريقة كشفت عن وجه الحق وأبانت أن الأمر ليس متصلا بتقييد الحريات الدينية، أو انتهاكات لحقوق الإنسان وإنما هو حكم إسلامي أوصى به النبي وأجمع عليه المسلمون منذ وفاته صلى الله عليه وسلم. ذلك أنه إذا ثبت (أن تطبيق الحكم بعدم السماح بالوجود الدائم للأشخاص والمؤسسات التي لا تعترف بالإسلام دينا حقا هو أمر لا يخضع للسلطة التقديرية لحكومة المملكة العربية السعودية، ولا يملك أي سلطان سياسي على أرضها تغييره؛ تبين أن اتهام الحكومة السعودية بانتهاكها للحرية الدينية على أساس تطبيقها لهذا الاستثناء هو اتهام لا يستند إلى الحق والعدل ومقتضى المنطق السليم)^(١)

دعوى الإخلال بالنظام العام بين الحقيقة والتبرير

مع إقرار الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، بمنطق المبادئ العامة، أو النظام العام لأي مجتمع أو دولة؛ إلا أنه يؤكد أن ذلك المنطق قد لا يستخدم من أجل الحقيقة بالضرورة، بل قد يستخدم من أجل تمرير بعض المواقف الأيديولوجية والسياسية، بغطاء من ذلك المنطق. يقول الشيخ صالح: (إن دعوى الإخلال بالنظام العام أو الآداب العامة أو الأمن القومي

(١) الشيخ صالح الحصين، (الحريات الدينية في السعودية) صفحة ٢٨، غيناء للنشر، ط
 أولى ٢٠٠٩

قد تكون دعوى يقصد منها التبرير وليس الحقيقة؛ وفي هذه الحالة كثيرا ما تكشف الظروف الملابس حقيقة مثل هذه الدعوى^(١)

ولتأكيد الاستخدام المزدوج لمنطق الإخلال بالنظام العام يضرب الشيخ صالح مثالا واضحا في استخدام ذلك المنطق كغطاء للتبرير وليس للحقيقة. ذلك أن أوروبا منذ إلغاء محاكم التفتيش في العام ١٨٣٥ ظلت تعتبر القانون الإسباني الصادر في القرن السادس عشر والقاضي بمنع المرأة المسلمة من ارتداء حجابها؛ انتهاكا للحرية الدينية. ولقد ظلت المحاكم الأمريكية والفرنسية والألمانية تحكم بحق المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب على أساس حقها في الحرية الدينية. وأصبح ذلك مبدأ عاما. وفي بداية القرن الحالي صدرت قوانين في فرنسا وألمانيا بتقييد حرية الحجاب للمرأة المسلمة على أساس مخالفة ارتداء الحجاب لقيم العلمانية الفرنسية والقيم الأخلاقية الألمانية. وبين الشيخ صالح الحصين تهافت القانونين الفرنسي والألماني اللذين يقيدان حرية المرأة المسلمة في ارتداء الحجاب بالقول (يتضح من هذين المثالين أن الظروف الملابس تُظهر أن الدعوى بمخالفة ارتداء المسلمة الحجاب للنظام العام أو للآداب العامة هي دعوى قصد منها تبرير انتهاك الحرية الدينية للمرأة المسلمة وليست دعوى تعبر عن الحقيقة؛ إذ إنه في الأزمان السابقة لصدور القوانين المشار إليها لم يكن أحد يدعي في فرنسا أو ألمانيا: أن ارتداء المرأة المسلمة للحجاب يناقض النظام العام أو الآداب العامة).^(٢)

(١) الشيخ صالح الحصين، (الحرية الدينية في السعودية) صفحة ٣٠، غيناء للنشر، ط

أولى

(٢) الشيخ صالح الحصين، (الحرية الدينية في السعودية) صفحة ٣١، غيناء للنشر، ط

أولى



وهكذا فإن السعودية لم تمارس أصلاً تمييزاً دينياً استناداً على تبرير منطق الإخلال بالنظام العام ولا بالأداب العامة. كما فعلت كل من فرنسا وألمانيا عبر استغلالهما لمنطق الإخلال بالنظام العام من أجل تبرير انتهاك الحرية الدينية للمرأة المسلمة.

حول كتاب خاطرات حول المصرفية الإسلامية

ظل الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، وفيما لمشروعه الذي لخصه في مهمتين أساسيتين الأولى: إعادة الثقة للمسلمين بدينهم والتعريف بحقيقته العظيمة، وقدرته على مواجهة تحديات العصر وأفكاره.

والثانية: نزع الهالة المبهرة للحضارة المعاصرة من نفوس أبناء المسلمين، وكشف الكثير من التناقضات والأوهام التي تتخفى وراء الشعارات البراقة للحدثة الغربية.

كان هذا يعني بالضرورة أن يعكف الشيخ على دراسة العلوم والمعارف العصرية، إلى جانب العلم الشرعي، من خلال لغتي العصر: (الإنجليزية والفرنسية) اللتين أتقنهما. كما كان حريصاً على دراسة علمي: القانون والاقتصاد ليتمكن من خلال دراستهما من تفنيد الكثير من الشبهات التي تطرح على الإسلام، والاتهامات التي يكيلها له الغربيون وأتباعهم، سواء في مجال الفكر أم القانون أم الاقتصاد. لكن الشيخ صالح، في الوقت عينه لم يكن من المعنيين بتأليف الكتب الكبيرة في هذه المجالات التي درسها؛ بقدر ما كان معنياً بتوظيف معرفته في تلك العلوم نحو بناء منظومة فكرية متماسكة لرؤيته الإسلامية دفاعاً عن الإسلام وتبييناً لمنهجه المتكامل ومنظومته الفريدة التي لا يمكن معرفتها إلا من خلال نسيج محكم الهدف منه تقديم منهجية متماسكة لنظام الإسلام

والكشف عن القيم الإنسانية والأخلاقية التي تحكم تصوراته وتشريعاته وأحكامه، وقرائها في ضوء المعرفة الشرعية والحقائق التاريخية وعلوم العصر. فكون من ذلك المزيج منهجا حكيما بلغة عصرية تتميز بعمق الفكرة، ودقة العبارة، وقوة الحججة.

لهذا فإن ما كتبه في الاقتصاد، والقانون، والوطنية، ونقد الحضارة المعاصرة تميز كله بذلك الأسلوب الذي ذكرناه آنفاً. إلى جانب ذلك كان لزهده، وتقلله من الدنيا، وصدقه مع الله، وأمانته مع البشر، سببا كبيرا في نصاعة حجته وقوة بصيرته، ودقته تصوراته وأفكاره في تلك العلوم؛ لأن الهدف من التأليف لديه لم يكن مجرد الكتابة؛ وإنما كان يحاول أن يكتب ما يظن أنه قادر على الإفادة فيه، والكتابة عنه.

في كتابه: (خاطرات في المصرفية الإسلامية) تميزت رؤيته بتقصي جدوى الغاية الحقيقية من تحريم الربا، والكشف عن معنى تسييل المال وعلاقته بالعمل والتوظيف والاستثمار، لا الادخار. وهو كتاب أزال فيه اللبس عن الكثير مما يوهم العامة بأنها عمليات مصرفية إسلامية فيما هي تتطوي على اختلاف جوهري مع المصرفية الإسلامية الحققة، ولعل مقولته الواضحة والفاصلة للتفريق العام والنظري بين المصرفية الإسلامية والمصرفية غير الإسلامية تكمن في عبارته ذات الدلالة العميقة حين رأى أن المصرفية الإسلامية تكمن في (التعامل بالمال) فيما تشغل المصرفية غير الإسلامية على (التعامل في المال) ودقة العبارة في دلالة حروف المعاني واضحة أشد الوضوح في التفريق بين المعنيين حيث إن المعنى الأول يجعل من المال وسيطا، وأما المعنى الآخر فيجعله سلعة بذاته بما يصرف المصرفية عن الإسهام الإيجابي في التنمية الاقتصادية للمجتمع. ويجعل المال سلعة للتبايع، المصرف فيها يسهم في تدمير المجتمعات، مقدرات وحكوماتٍ وشعوبا.

جاء في مقدمة الكتاب «مرَّ المجتمع السعودي بتجربة رأسمالية، ولكنها كانت كافية ليدرك المجتمع أن الاتجاه الرأسمالي في الاقتصاد ليس دائماً عامل بناء، وأنه يمكن أن يكون عامل تدمير».

ولأن المجتمع الرأسمالي في رأي المؤلف يتغذى على الحرب، والجشع فقد أورد المؤلف مقولة الخبير الاقتصادي الأول لبنك مورجان ستانلي في شهر أبريل عام ٢٠٠٦: (إن أزمة كبرى ترسم أمامنا وإن المؤسسات العالمية من صندوق النقد الدولي أو البنك الدولي وسائر آليات الهندسة المالية الدولية غير مجهزة لمواجهتها).

وتحققت تنبؤات الخبراء الاقتصاديين عام ٢٠٠٨، واجتاحت العالم الأزمة المالية الشهيرة.

تعرض المؤلف في الكتاب إلى شجاعة الحكومة السعودية منذ البداية في منع النظام الربوي في البنوك. وذلك عندما أصدرت نظام بنكها المركزي (مؤسسة النقد العربي السعودي) عام ١٣٧٧هـ على أن تضمن المادة الثانية منه النص أنه (لا يجوز لمؤسسة النقد العربي السعودي دفع أو قبض فائدة، وإنما يجوز لها فقط فرض رسوم لقاء الخدمات التي تؤديها للجمهور أو للحكومة، وذلك لسد نفقات المؤسسة، ونصت المادة السادسة على أنه: (لا يجوز لمؤسسة النقد العربي السعودي القيام بأي عمل من الأعمال الآتية مباشرة أي عمل يتعارض مع قواعد الشريعة الإسلامية السمحاء، فلا يجوز لها دفع أو قبض فائدة على الأعمال).

ويعلق الشيخ صالح الحصين على هذه المادة قائلاً: (وهكذا رفعت المملكة العربية السعودية الراية للمسيرة المباركة، وأعلنت بوضوح أن العمل على التحرر من النظام البنكي الربوي ليس ممكناً فحسب، بل هو واجب).

وعلى الرغم من إصرار بعض الناس على إجراء المحاولات التوفيقية، لإخراج مفهوم الفائدة البنكية من دائرة الربا، إلا أنه كما يقول

المؤلف -رحمه الله - (أمام صراحة النصوص وثبوتها القطعي كان من الطبيعي أن تتجه المحاولات كلها إلى محاولة إخراج الفائدة البنكية من مفهوم الربا الوارد تحريمه بصريح النص).

لقد تضمنت الأفكار والآراء والأحكام التي قررها الشيخ صالح الحصين في كتابه (خاطرات حول المصرفية الإسلامية) رؤية تنموية هادفة، وتشجيعاً على التأمل العميق فيما وراء أحكام الربا، والتشبيه لخطورة التحايل على الصيغ الإسلامية للاقتصاد الإسلامي. والالتفات إلى المقاصد الكلية لحركة المال في اتصالها بقيمة العمل والحركة والتداول والاستثمار بدلاً من الادخار.

هكذا استطاع الشيخ صالح الحصين رحمه الله في هذا الكتاب؛ استجلاء ملامح دقيقة لطبيعة تصريف المال في النظام الاقتصادي الإسلامي بعيداً عن الربا، وربط حركة المال بحركة الحياة والعمل وفق المقاصد الكلية للإسلام، وتعزيز الأفكار التنموية للمجتمع الإسلامي من خلال رؤية كانت تهدف إلى توسل المال في مشروعات النفع العام والتداول النشط بدلاً من تجميده في المصارف.

في التأصيل لوطنية سعودية

بناء على رؤيته للواقع عبر المعرفة الشرعية المسنودة بمعرفة عصرية حديثة، قدم الشيخ صالح الحصين، رحمه الله، اقتراحاً لصياغة مفهوم للوطنية السعودية. في محاضرة له تحت هذا العنوان.

ومن خلال قراءاته لصيرورة المفهوم باختلاف تعريفاته بين دولة ودولة من ناحية، و كونه اليوم هو أحد المفاهيم المركزية التي شكلت العالم الحديث، من ناحية ثانية؛ فإن الشيخ صالح كان يدرك أهمية هذا المفهوم، ويدرك من ثم الحاجة إليه في ظل إعادة تعريف جديد له داخل

السعودية، ومن خلال مرجعية إسلامية. وذلك حين قال: (إن من الخطورة البالغة أن لا يوجد لدى أي بلد مفهوم واضح للوطنية، يتكون على أساسه رأي عام، ويكون أساساً لتعليم مادة التربية الوطنية في المدارس).

لقد تفهم الشيخ صالح، رحمه الله، سلاسة هذا المفهوم عندما تبناه الأتراك وفق إحدى نظريتيه؛ نظرية (العوامل الوضعية) وتلك السهولة التي لم تجعلهم حائرين حيال التفسير اللغوي الواحد لكلمة (Nationalism) بينما لم يتمكن العرب من ترجمة واحدة لذلك المفهوم الأمر الذي جعل بعضهم يفسره بـ (الوطنية) فيما فسره آخرون منهم بـ (الأمة) حتى الأمر مضطرباً فإذا صح الحديث عن وطنية (كويتية) ووطنية (قطرية) ووو، فليس من السهل الحديث عن (أمة كويتية) أو (أمة قطرية) أو غيرها. وهنا تتبين ثمرة الاختلاف في ترجمة المفهوم إلى العربية بطريقة ملتبسة.

لكن اقتراح الشيخ صالح لمفهوم الوطنية السعودية، كان يستند إلى ما أسماه المفهوم المثالي المجرد، بحيث يكون ذلك المفهوم قابلاً لتحقيق متطلبات ضرورية تكون المضمون التعريفي له، نظراً لاختلاف مفهوم الوطنية ذاته بين دولة ودولة.

يتخذ الشيخ صالح رحمه الله من الاستثناء الإسلامي لجزيرة العرب في الحكم الذي أوصى به النبي بأن (لا يجتمع فيها دينان) أساساً لهوية دينية واحدة، ومختصة بحدود المملكة العربية السعودية اليوم لوقوع أراضيها مشمولة بذلك الحكم.

وبما أن الشعب السعودي كله شعب مسلم فإن المرجعية الإسلامية ستكون هي الأيديولوجية الوطنية بالنسبة له جغرافياً وديمغرافياً.

كما يربط الشيخ صالح في تأويله لمفهوم الوطنية بين اقتضاها للعقل والواقع، والبيئة الخارجية الملائمة. وكل ذلك مما يتوافر في الحالة السعودية.

وينبغي أن يستجيب المفهوم المثالي المجرد للوطنية السعودية لسبع متطلبات هي:

العقلانية، الواقعية، القابلية للأدلجة، الثبات، الوسطية، والحصانة.

ولهذا يستخلص الشيخ صالح تعريفاً للوطنية بحسب تلك المتطلبات في المفهوم المثالي لها على النحو الآتي: (الارتباط بالجماعة الكبرى التي يقيم أفرادها إقامة دائمة على أرض المملكة العربية السعودية، الحالية، ويخضعون لسلطان قانوني واحد ارتباطاً يوجب الوفاء بالقيم الوطنية).^(١)؛ والقيم الوطنية المشار إليها في هذا التعريف هي ذات مرجعية إسلامية؛ مثل: الأخوة، الموالاة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الشورى، التواد والتراحم، لزوم الجماعة، الطاعة في المعروف، والنصيحة.


ويبدو الاحتراز الواضح في عنوان المحاضرة (اقتراح لصياغة مفهوم للوطنية السعودية) دلالة على أن الاقتراح هو بمثابة مشروع مفتوح لبلورة وطنية سعودية، دون أن يكون هو بذاته منطوقاً على إحاطة مفصلة بإشكاليات المفهوم وما يترتب عليه عند اعتماده.

هذه المحاولة الجريئة من قبل الشيخ، صالح رحمه، الله في مقاربتة لمفهوم الوطنية السعودية لا تخلو من روح التجديد، كما أنها تعكس طريقة ملائمة للمزج بين التصورات العصرية لمفهوم الوطنية وبين المرجعية الإسلامية في الوقت عينه.


هكذا بدأ هذا الفصل بمثابة تلخيص مكثف لقراءة تحليلية حاولت أن تستبطن الرؤية الفكرية والمعرفية لمشروع الشيخ صالح عبر ملامح عامة، ومحطات مختلفة، للوقوف على بعض عناصر ذلك المشروع دون أن تزعم إحاطة أو شمولاً.

(١) الشيخ صالح الحصين، محاضرة، اقتراح لصياغة مفهوم للوطنية السعودية، صفحة ٧

الفصل الرابع



الشيخ صالح الحصين
ريادة الحوار
بين الوسطية والاعتدال





تضفي شخصية العالم المفكر المتميزة على منهج البحث العلمي شكلا من أشكال الرؤية الواثقة التي تشغل عبر يقينها الموضوعي بكل الأسئلة التي تصل إلى هذا اليقين، وتصل إلى النتائج المقبولة التي تحدث إجماعا من قبل قارئها ومتابعيها.

ولقد شكل الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين - رحمه الله - خلال فترة عمله بمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني هذا المجال الحواري الواثق الذي يعي الأمور بمنظور علمي منهجي محايد هدفه الوصول إلى حقيقة الأشياء وتبيانها. إن الشيخ صالح الحصين لم يكن يؤثر أن يقول هو بقدر ما كان يفضل أن يطرح القضية أو الإشكالية من مختلف جوانبها، ملامسا مهادها الأول وخصائصها وظواهرها وصولا إلى نتائج مقنعة يتسنى له أن يقنع الحضور بها، وأن يطرح أمامهم جملة من

الأسئلة الداعية إلى إعمال العقل والفكر دون أن ينأى بالطبع عن الثوابت الدينية وعن الروح الإسلامية البحثية التي لا تلج إلى الثوابت قدر ما تعمل العقل والرأي في المسائل الفرعية.

إن قراءتنا لتجربة الشيخ صالح الحصين سوف تكون قراءة تحليلية تسعى إلى تبيان ملامح الرؤية الحوارية لديه، وهي رؤية لم تتشكل إلا عبر خبرات وتجارب طويلة في معايشة المنهج الإسلامي أولاً، ومتابعته في مختلف مظانه ومصادره، وعبر قراءات وتأملات مستديمة قام بها الشيخ سواء من خلال خطبه ومحاضراته، أم من خلال كتبه ومؤلفاته ومشاركاته في الحياة العلمية العامة.

إن هذه القراءة وهي تهدف إلى ملامسة التجربة الحوارية للشيخ صالح الحصين إنما تهدف إلى تقديم نموذج إنساني له جهده البحثي والعلمي المتميز الذي يستند إلى فكر إسلامي راسخ، وإلى هوية ثقافية وفكرية تعلي من شأن الخطاب الديني الإسلامي الذي يعتمد على الوسطية والتسامح والحق وفي التعبير عن الرأي والحق في الاختلاف، ولكن ضمن الأطر التي لا تمس العقيدة ولا تقترب من الثوابت الدينية، ذلك لأن الإسلام ليس محل بحث ونظر وحوار لأنه هو الدين السماوي الخاتم، ولكن القضايا الإنسانية والاجتماعية وبيان موقف الإسلام منها هي محل النظر والحوار والبحث.

وفي ظل هذا الوعي فإن القراءة الماثلة هنا هي قراءة ستحقق في جملة الأفكار والتصورات الحوارية التي طرحها الشيخ صالح الحصين خلال عمله بمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الذي استمر قرابة عشر سنوات منذ تأسيس المركز في العام ١٤٢٤ حتى رحيله في العام ١٤٣٤هـ.



وهي مرحلة خصبة مترعة بالتحويلات والأحداث والقضايا المحلية الوطنية والإقليمية والدولية.

لقد ألقى الشيخ صالح الحصين مجموعة من الكلمات في افتتاحيات اللقاءات الوطنية التسعة التي حضرها، كما ألقى مجموعة أخرى من الكلمات والمحاضرات خلال ترؤسه لجلسات الندوات الثقافية التي عقدها مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ومن أبرزها: لقاءات الخطاب الثقافي السعودي التي بلغت حتى نهاية العام ١٤٢٤هـ سبعة لقاءات. فضلا على عدد من المقالات والردود الإيضاحية التي كان ينشرها الشيخ صالح الحصين عن نتائج اللقاءات الوطنية التي يعقدها مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني.

إن هذه القراءة سوف تتأمل بحثيا في هذا النتاج الذي يشكل المادة البحثية لهذه القراءة، ونقدم هنا قراءة في كلماته الافتتاحية في اللقاءات الوطنية للحوارات الفكرية التي تشكل جوهر العمل المنبري الحواري لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، كنموذج للإطار الفكري الذي شكل رؤية الشيخ صالح الحصين للعملية الحوارية، حيث نقف على أبرز تصوراتها ورؤاها.

السياقات الممهدة

تؤذن هذه القراءة أولا بالوقوف على السياقات التي مهدت لجلاء فكرة الحوار الوطني وبروزها كحاجة فكرية وثقافية كان من الضروري إطلاقها لاستيعاب المتغيرات والتحويلات الوطنية والاجتماعية من جهة، ومواجهة التحديات التي تواجه المملكة العربية السعودية في الحاضر والمستقبل بسبب وجود تحديات ومتغيرات إقليمية وعالمية كان من

الضروري أن تحفز المملكة لمواجهتها، من جهة ثانية.

لقد جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لتوجه نوعا من الصدمة العالمية إزاء التعاون الدولي والثقافي والتواصل الحضاري. وبعيدا عن الأحداث الحربية التي جرت بعد هذا التاريخ من غزو العراق وأفغانستان من قبل قوات التحالف الغربي، فإن الفجوة التي أحدثتها هذه الأحداث والحروب كانت هائلة بين الثقافات والأمم والحضارات، أبرزها الفجوة الحضارية بين الغرب والشرق، وهي فجوة موجودة على مختلف الصعد منذ عصر الثورة الصناعية ما قبل الاستعمار وما بعده، بيد أنها ازدادت شراسة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

كانت الأحداث الإرهابية قد ازدادت أيضا بعد هذا التاريخ في عدد كبير من الدول، وهي أحداث إرهابية لا تتوقف على أي حال إلا بعد أن تواجه بحزم كبير من مختلف الهيئات المسؤولة، فتقل نسبتها وهو الأمر الذي واجهته الدول بشدة حتى انحسرت هذه الأعمال أو كادت تتحسر بعد العام ٢٠١٢م تعرضت المملكة العربية السعودية بعد أحداث ١١ سبتمبر حتى العام ٢٠١١م إلى عدد من الحوادث الإرهابية (*) وقد ذكرت جريدة الشرق

(*) انطلقت الأعمال الإرهابية الأثمة في السعودية، في ١٨ مارس (آذار) ٢٠٠٣ عندما انفجرت في منزل بحي الجزيرة شرق الرياض عبوة ناسفة أعدها فهد الصاعدي لتبدأ بعدها حملة من الأعمال الإرهابية طالت مختلف مناطق المملكة. وبين العامين ٢٠٠٢ و ٢٠٠٦ تعرضت السعودية لموجة من الهجمات الدامية شنها تنظيم القاعدة استهدفت مقرات أمنية ومنشآت حكومية وأماكن سكن خاصة بالأجانب أوقعت الكثير من القتلى. ويبلغ عدد الحوادث الإرهابية التي تعرضت لها السعودية حتى عام ٢٠١١ بحسب بعض التقارير نحو ٩٨ عملية إرهابية راح ضحيتها أكثر من ٩٠ شخصا من المدنيين إضافة إلى إصابة نحو ٦٠٨ آخرين فيما تكبدت الأجهزة الأمنية خسائر بشرية بين منسوبيها بلغت نحو (٦٥) وإصابة نحو (٢٩٠)، واختلفت بعض الإحصاءات من تقارير أخرى لكن تظل الضحايا من المدنيين أكثر من العسكريين، ١٢ مايو (آيار) ٢٠٠٢ ٣ سيارات مفخخة تستهدف ٣ مجمعات سكنية يقطنها غربيون وعرب، في الرياض، قتل فيها ٢٠ شخصا و١٩٤ إصابة

الأوسط في تقارير صحفية لها أن المملكة العربية السعودية تعرضت لأكثر من ٩٨ حادثاً إرهابياً في هذه الفترة، ولكن بفضل الله ثم بفضل الجهود الأمنية الصارمة استطاعت المملكة أن تقضي على الظاهرة الإرهابية، ليعود الأمن والثم إلى الوطن.

في ظل هذه الأحداث المأساوية، كانت هناك خلافات فكرية بين تيارات المجتمع بالمملكة حول أحداث ١١ سبتمبر وما تلاها من أحداث وغزو العراق وأفغانستان، واختلفت الآراء حول كيفية تلقي هذه الأحداث والموقف منها، وتجلت حالات التأييد والمعارضة، وهي حوادث خارجية لكنها كانت مؤثرة دولياً ومحلياً، وكان لابد من التعامل معها فكرياً على الأقل.

لقد أصبح الحوار ضرورة وطنية، لشم الشمل الفكري حول القضايا الشائكة والقضايا المثارة، ومن هنا بادرت القيادة السعودية إلى فتح المجال للحوار الوطني حيث وجه الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - بإطلاق الحوار الوطني ودعا ولي العهد وقتها الأمير عبد الله بن عبد العزيز إلى عقد اللقاء الوطني الأول للحوار الوطني في رحاب مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض تحت عنوان: «الوحدة الوطنية والعهود والمواثيق الدولية» الذي عقد في المدة ما بين ١٥-١٨/٤/١٤٢٤هـ الموافق ١٥-١٨/٦/٢٠٠٣م وقد اشترك في هذا اللقاء مجموعة من أهل العلم الشرعي والفكر الإسلامي من أطياف فكرية متعددة، وافتتح اللقاء بكلمة ضافية من صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني ألقاها نيابة عنه رئيس مجلس الشورى الشيخ الدكتور صالح بن عبد الله بن حميد.

وقد أكد الملك عبد الله بن عبد العزيز - حين كان ولياً للعهد -



في كلمته التي ألقيت باللقاء الوطني الأول - على ضرورة ترسيخ أسس الحوار وثقافته، والابتعاد عن الغلو والتطرف والتشدد.

ومما جاء في كلمة الملك عبد الله: «لا يخفى عليكم وقد اجتمعتم في هذا اليوم المبارك لهدف نبيل وغاية شريفة ما يحدق ببلادنا من أخطار، وما تمر به من ظروف دقيقة حرجة وما تعانيه من ضغوط، وما تواجه من هجمات شرسة تمس العقيدة وتهدد الوحدة الوطنية وتعرضها للاختراق من قبل الأعداء الأمر الذي يوجب على كل مخلص من أبنائها أن يبذل أقصى الجهد والاجتهاد للتصدي لمحاولة النيل من وحدتها والمساس بأمنها واستقرارها وتهديد مصالحها وأن ينتبه كل ذي لب لعوامل التنافر والشقاق وظهور العدوان سواء من العصبية القبلية أو النعرات الإقليمية أو الاختلافات الفقهية أو أي شكل من أشكال الغلو والتطرف».

وأكد الملك عبد الله بن عبد العزيز - رحمه الله - على ضرورة إنضاج أساليب جديدة لحماية الدين والوطن حيث قال: «أيها الإخوة . لابد أنكم تدركون بما حباكم الله من نعمة العلم والمعرفة، ما أصبح عليه العالم الآن من حولنا، وما حدث فيه من تطورات متسارعة على الصعيد العلمي والتقني، حيث اهتدى الإنسان إلى علوم كثيرة أتاحتها له الخالق بقدر معلوم وفي زمن معلوم، ولعل أبرزها وأشدها أثرا تلك التي حدثت في مجالات الاتصالات والإعلام التي أسهمت في تحويل العالم بأسره إلى قرية واحدة يتبادل الحديث والرأي كل سكانها في وقت واحد بلغة واحدة أو بلغات عدة مفهومة، فتحطمت أمام حقائق العلم كل الأسوار المنيعة، واخترقت وسائله خصوصيات المجتمعات كافة على اختلاف عقائدها وثقافتها وتقاليدها، وبحكم أننا جزء من هذا العالم الفسيح ومجتمع من مجتمعاته ولا نستطيع العيش بعزلة عنه، وأن حماية البلاد والمواطنين من الأفكار

المخالفة والاتجاهات المؤثرة الضارة لم تعد متاحة في وسائل الحجب والمنع كما كانت في السابق، فقد أصبحت الحاجة ملحة وماسة لنفكر معا في إنضاج أساليب جديدة وطرائق مختلفة لحماية ديننا ومواطنينا بما هو مجد وفاعل، ولا شك في أنكم تتفقون معي في أن أنجع الأساليب وأجداها في هذا الاتجاه هو الإقناع ومخاطبة العقل والاستعانة بالمنطق الفكري في إطار منطلق سليم وحوار هادئ منظم يركز على تبيان الحجج واحترام الرأي الآخر وإتاحة الفرصة لتبادل الرأي والمناقشة. من هذا المنطلق نشأت فكرة إقامة هذا الحوار الفكري في لقاء وطني بين أبناء الوطن المهتمين به المعنيين بشؤونه، ليتناول عددا من الموضوعات التي تختلف فيها الآراء، ويدور حولها الجدل، ويكثر فيها النقاش في جو من الحوار العلمي الموضوعي الهادئ بعيدا عن أجواء التنافر ووحشة القلوب وإساءة الظن، وبطبيعة الحال فقد كان لابد من تحديد هدف أمامكم في هذا اللقاء النواة، والبدء بالأولويات المهمة من بين الموضوعات الجديرة بالنقاش والحوار، ومن هنا فقد تم تخصيص هذا اللقاء لمناقشة قضية من أهم القضايا وأولاها في المرحلة الدقيقة الراهنة من تاريخ بلادنا وأمتنا الإسلامية ألا وهي قضية الخطاب الإسلامي الداخلي والخارجي بأمل الوصول إلى ما يكرس تمسك المملكة بعقيدتها الإسلامية، ويمكن من توثيق صلاتها بالعالم الإسلامي وتوثيق عرى الوحدة الوطنية في إطار من الوسطية والاعتدال، والبعد عن التشدد والغلو على ضوء ما تسفر عنه مناقشاتكم وتناولكم للمحاور المهمة في هذا الحوار».

في ظلال هذه الأجواء كان على الشخص المفكر أو العالم أن يحدد رؤيته تماما، فلا مجال للمكوث في الحالة الرمادية، الانحياز للوطن وللوحدة الوطنية وللثوابت أمر ضروري من أجل البناء، ومن أجل صياغة منهج حوار ضروري للوصول إلى نتائج مثلى وقيمة.

لقد جاء اختيار وتكليف الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين من قبل الملك عبد الله بن عبد العزيز حين كان وليا للعهد، ليكون على رأس اللجنة الرئاسية لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني؛ دلالة مائزة في هذا الاختيار، فالشيخ صالح الحصين هو الذي يتأسس الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، وللرجل باع طويل كرجل دولة وله خبرة كبيرة في التعايش مع مختلف الظواهر والتيارات والأفكار والأطياف بحكم عمله في رئاسة الحرمين الشريفين، كما أن كتبه ومؤلفاته تزكي تماما هذا الوعي الكبير منه بالثقافات وبالأفكار العالمية بحكم دراسته العليا ورؤيته الساطعة لمختلف الثقافات، كما أن اختيار الشيخ جاء موفقا نظرا لما يتمتع به من سيرة عطرة طيبة في مختلف الأوساط وهو الذي يبادر دائما إلى العمل الخير، وهو عضو في عدة مراكز وجمعيات خيرية وعلمية.

وكما تبين سيرته فإنه فاز من قبل بجائزة الملك فيصل العالمية في مجال البحوث والدراسات كما بينا في الفصل الأول من الكتاب، ومن هنا اجتمعت عدة صفات في الشيخ صالح الحصين؛ فهو العالم والمفكر ورجل الدولة والأديب والمنطقي الذي يقنع من حوله ببراعة تفكيره وقوة حجته.

في ظل هذا الوعي جاءت كلمة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين رئيس اللقاء الوطني حيث ألقى كلمته الافتتاحية في افتتاح هذا اللقاء الوطني الأول قائلا:

«سوف أتحدث عن فكرة الحوار الوطني التي نشأت منذ نحو سبعة شهور، حينما اجتمع مجموعة من المفكرين ممن يهتمون بالمصلحة العامة فرأوا أن حريتي الفكر والتعبير هما أساس حل المشكلات التي يواجهها الوطن، وقد أخذوا في حساباتهم التحديات التي يواجهها الوطن



الحبيب والتي لم يواجهها من قبل، وهذه التحديات تواجه الوطن وتواجه الإسلام كدين، كان من رأيهم أن حرية الفكر وحرية التعبير بما أنهما وسيلتان فاعلتان في التطور لما هو أفضل ولمعالجة المشكلات التي يواجهها المجتمع، فكانوا يرون أن وسائل التعبير تختلف في مدى أثرها سواء كان إيجاباً أو سلباً، وظاهرة التعبير عن الرأي ككل الظواهر لا بد أن يكون لها إيجابيات ويكون لها سلبيات فكان من المهم المحاولة في الاختيار أو الانتباه إلى أفضل السبل لأداء هذه الوسيلة، وكان من رأيهم أنه إذا كان لحرية التعبير في مخاطبة الجمهور بعض السلبيات فقد يكون تخفيف بعض السلبيات بأن يكون التعبير عن الرأي في دائرة مغلقة، لا أقول مغلقة، بأن تكون محفوظة بسريتها لا يطلع عليها أحد وإنما بأن تكون بعيدة عن تأثير العواطف والتأثير الخارجي، فكانوا يرون إيجاد عادة الحوار كأسلوب في الحياة في مجتمعنا، ربما كان هذا من أفضل الوسائل والصور التي يمكن أن تظهر حرية التعبير وتؤدي نيتها وفائدتها المرجوة منها، وكانوا يرون أنه لا بد من وجود تجربة في هذا الأمر، فإذا نجحت أمكن تعميمها وأمكن تطويرها وأمكن إيجاد آلية لها بحيث تكون أسلوباً من أساليب الحياة فتكون بين شرائح المجتمع على اختلاف أنواعها، واختلاف مستوياتها حتى تصل إلى المدارس بين الطلبة، ولا شك لو أمكن أن يتم هذا عملياً قد يكون - إن شاء الله - من الأسباب الناجحة لإمكانية وجود نموذج ناجح ومشجع على البدء فيه، وكان هذا في الحقيقة من أهداف الإخوان الذين اقترحوا الأمر ورفعوه للمقام السامي ووجد كل ترحيب، وطلب منهم موضوعات معينة لتكون موضوعاً للحوار مأخوذاً في الذهن الغاية الأولى أن يكون وجود أنموذج صالح للحوار، وأن الحوار هو أصلح الأدوات وأسلمها لحرية التعبير عن الرأي، وكذلك اختيار مجموعة من الأشخاص يتحاورون حول هذه الأطروحات واختار الإخوان موضوعات

محددة ستجدونها في هذه الورقة التي بين أيديكم مفصلة في محورين للحوار كما اختاروا الأسماء التي يرون أنها ملائمة لأول نموذج للحوار الفكري المرجو نجاحه ولقد كلفنا وزميلين كريمين هما: الدكتور/ عبد الله نصيف، والدكتور / راشد الراجح من قبل المقام السامي لإدارة هذا الحوار بموجب الخطاب رقم ٩٧٠٤١ في ٤/٣/١٤٢٤هـ وعندما جاء التكليف بإقامة الحوار لمناقشة (الخطاب الإسلامي الداخلي والخارجي) ونُصّ فيه على الرغبة بتوجيه دعوة لأصحاب الفضيلة المشايخ وطلبة العلم والباحثين المرشحة أسماؤهم والمذكورة وفق الخطاب خطاب المقام السامي وإقامة الحوار الفكري وفق الموضوع والمحاور التي نُصّ عليها، واهتم الخطاب بالإشارة إلى أن يتطلع الحوار لمناقشة الخطاب الإسلامي الداخلي والخطاب الإسلامي الخارجي و الأهداف المنشودة والرامية إلى تمسك المملكة العربية السعودية بالعقيدة الإسلامية، وبما يمكن من توثيق صلاتها بالعالم الإسلامي وتوثيق عرى الوحدة الوطنية في إطار الوسطية والاعتدال والبعد عن التشدد والغلو».

شكلت هذه الكلمة الافتتاحية الرؤية الأولى لطبيعة الحوار لدى الشيخ صالح الحصين، وحددت ملامحه إلى حد كبير، فهو حوار من أجل الوطن، وهو يقدم ظاهرة جديدة بالتأمل والبحث، فحرية التعبير لا تكون مطلقة تماما فهي كما لها إيجابيات لها سلبيات أيضا، إلا أن ذلك لم يمنع الشيخ صالح الحصين من الاعتداد بالفكرة الحوارية نفسها، ومناقشة كافة الإشكاليات عبر الحوار الوطني، حيث يؤكد في كلمته على قيمة الحوار والفكر قائلا:

(إن حرية الفكر وحرية التعبير بما أنهما وسيلتان فاعلتان في التطور لما هو أفضل ولمعالجة المشكلات التي يواجهها المجتمع، فكانوا

في القضايا الحيوية والتحديات التي تواجه المملكة العربية السعودية، وكان التركيز بداية على الوحدة الوطنية باعتبارها الثابت الوطني الذي لا يتزعزع مع جملة الثوابت الأخرى المتمثلة في ثبات العقيدة ومبادئ القيم الدينية والانتماء والوحدة.

الحصين والرؤية الحوارية

ترتكز رؤية الشيخ صالح الحصين الحوارية على أساس عقدي في المحل الأول، ذلك لأن الشيخ الحصين يؤمن بشكل يقيني أن العقيدة الإسلامية هي أساس التطور والتقدم وجوهر الحوار حول حل القضايا الإنسانية والعالمية، فالشيخ الحصين يرى أن الحوار ليس حول العقيدة، وليس حول الإسلام وشريعته، فالإسلام لا يحتاج حوارا ولكنه يحتاج تطبيقا، من هنا فهو يؤكد في محاضراته ولقاءاته أن الإسلام ليس محورا للإصلاح لأنه هو جوهر الإصلاح، هو الذي يقود إلى ذلك.

وهو يؤكد كثيرا على أن المسلمين إذا التزموا بالإسلام الصحيح الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعهد الصحابة فإن التقدم سوف يكون سبيلهم الحقيقي.

إن هذه الرؤية الثابتة التي يركز عليها الشيخ الحصين نابعة من يقينه الحقيقي بقيمة الإسلام، وقيمة تأثيره في الإنسان والحياة.

ومن هذا المنطلق يقدم الشيخ صالح الحصين كلماته التي ألقاها في مختلف اللقاءات الوطنية منذ اللقاء الأول حتى اللقاء السابع، وفي مختلف افتتاحيات لقاءات الخطاب الثقافي، ومختلف المحاضرات والندوات التي شارك فيها خلال ترؤسه اللقاء الوطني للحوار الفكري.

إن من البديهي أن تتوافق رؤية الشيخ صالح الحصين مع الإطار العام الذي تبني عليه المملكة العربية السعودية ونظامها الأساسي المنبثق من الاعتماد على الثوابت الدينية والوطنية، وهو ما أكده الملك عبد الله بن عبد العزيز - رحمه الله - حينما كان ولياً للعهد في كلمته التي ألقاها عند إنشاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، حيث أكد في خطابه أن الغرض من إنشاء المركز «يرتكز على أسس وقواعد شرعية ووطنية أهمها: أن المواطنة حقوق وواجبات، وأن المشاركة الإيجابية في الحوار وفي حماية الوطن ومكتسباته والارتقاء به واجب وطني ليس لأحد حق احتكاره أو الحجر عليه، وأن الاختلاف بين الناس في الرؤية والاجتهاد والموقف سنة من سنن الخلق، وأن هذا الاختلاف مقبول ما دام في إطار الثوابت الشرعية والوطنية، وفي توجهات الخير والنفع العام «ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات»، وأن المواطن الموفور الكرامة هو أساس بناء الدولة الحديثة، وأن أي إصلاح سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال احترام الإنسان وتكريمه ورعاية حقوقه ومنها حقه في المشاركة الإيجابية في صنع حاضر الوطن ومستقبله»، مشيراً إلى أن تعبيري (لا فضل إلا بالتقوى) و(الناس سواسية كأسنان المشط) تجسيد لواقع المساواة بين الناس.

فهذه المرتكزات التي وجه بها الملك عبد الله بن عبد العزيز - رحمه الله - شكلت الأساس الفكري الراسخ لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني الذي تجلّى في مختلف الرؤى التي يطرحها الشيخ صالح الحصين في كلماته.

وكان اللقاء الوطني الأول للحوار الفكري قد عقد قبل أن يتحول المجال الحواري في المملكة إلى عمل مؤسسي منظم، بإطلاق مركز الملك

عبد العزيز للحوار الوطني في الخامس من شهر جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ الموافق الرابع من أغسطس ٢٠٠٣م عبر خطاب وجهه للأمة الملك عبد الله بن عبد العزيز عندما كان وليا للعهد، جاء فيه: «لا يراودني أدنى شك أن إنشاء مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني وتواصل الحوار تحت رعايته سوف يكون - بإذن الله- إنجازا تاريخيا يسهم في إيجاد قناة للتعبير المسؤول، سيكون لها أثر فاعل في محاربة التعصب والغلو والتطرف، وتهيئة مناخ نقي تنطلق منه المواقف الحكيمة والآراء المستتيرة».

إن اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري عقد بعد إنشاء المركز، وبدا تمت له الصيغة المؤسسية الإدارية، وتحول الحوار الوطني إلى عمل مؤسسي منظم. حيث كان المشهد ما يزال في أوجه مطالبها باستمرار الحوار الوطني، متحفزا بمطالبات نخب العلماء والمثقفين باستمرار الحوار ومناقشة مختلف القضايا الوطنية في المملكة، والقضايا التي يأمل المجتمع السعودي في مناقشتها كالتعليم والصحة وقضايا المرأة والشباب.

كانت هذه هي المطالب الرئيسية التي عبر عنها العلماء والمثقفون وكتاب الرأي في الصحف اليومية.

وفي ظل هذا الوعي جاء انعقاد اللقاء الوطني الثاني، وهو لقاء مهم يؤكد على عدة دلالات:

الأولى: اختيار مكة المكرمة لعقد اللقاء الثاني لما لها من قداسة، ومن بعد ديني مهم يشكل القناعة الدينية الراسخة، ويشكل فضاء رحبا للاعتدال والوسطية والتسامح، وهي القيم التي جاء بها الإسلام، والتي أرساها كآلية طبيعة من آليات الحوار والتواصل مع الآخر.

الثانية: التأكيد على استمرار الحوار وتواصله.

الثالثة: العمل على استجابة النخب والعلماء والمفكرين بتحفيظهم على تقديم تصورات جادة ترتبط بصورة الوطن وقضاياها خلال تلك المرحلة التي عقد فيها.

الرابعة: التأكيد على القيم الدينية والثوابت الوطنية للبلاد.

إن اللقاء الوطني الثاني حمل عنوان: «الغلو والاعتدال: رؤية منهجية شاملة» وذلك في سنة ١٤٢٤هـ (٢٠٠٣م)، ليوصل البحث في مسألة الثوابت الوطنية والتشدد الديني والغلو والتطرف، وما يقابله من ظواهر أخرى منفتحة على الوعي الإنساني تتمثل في الاعتدال والوسطية وفي التعايش مع الآخر والتعاور معه، والإصغاء إلى ما يطرحه من تصورات ورؤى من مبدأ حق الرأي الآخر في التعبير عن أفكاره وآرائه.

ونظرا لأن موضوع الغلو والاعتدال من الموضوعات التي تتجلى وفقا لما يمر بالأمة من أحداث ومواقف، فقد اكتسب اللقاء أهمية كبيرة خاصة وسط جيشان المنطقة بالأحداث السياسية والحروب خاصة مع غزو العراق وأفغانستان من قبل قوات التحالف، وهي أحداث كانت شديدة الخطورة أذرت بتمدد ظاهرة الغلو والتطرف، مما استدعى نقاش هذه الظاهرة والوقوف عند أبرز ملامحها، تمهيدا لمقاربتها وعلاجها فكريا.

وقد جاءت الكلمة الافتتاحية للشيخ صالح الحصين في هذا اللقاء

كالآتي:

«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبیبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبدأ هذه الكلمة بالترحيب بالإخوة المشاركين والمشاركات في هذا

اللقاء وأشكرهم جميعاً على إجابة الدعوة وأدعو الله أن يهديهم جميعاً إلى الطيب من القول، وأن يوفقهم إلى السديد من الحكم.

هذا هو اللقاء الثاني للحوار الوطني الفكري في المملكة العربية السعودية، وكان اللقاء الأول هدفه وموضوعه هو فكرة الحوار في ذاتها. لقد كان الهدف والطموح هو إيجاد تقليد في المجتمع وترسيخه ليكون أسلوباً من أساليب الحياة باعتبار أن الحوار يخدم هدف الإصلاح العام، فالحوار وسيلة للتعرف على اتجاهات الرأي العام، وإيصالها إلى كل مهتم سواء كان صانع قرار أو منظرًا أو مجرد باحث أن يكون قناة للتعديل البناء الحر من التعبير الحر البناء فيتخلص من كثير من سلبيات الحرية المطلقة للتعبير فكان هذا هو الهدف، وكان القصد من اللقاء الأول اختيار إمكانية تحقيق هذا الهدف، واختبار مدى قبول أو وجود بيئة ملائمة له، وسوف تبدأ سلسلة اللقاءات، ويختص كل منها بموضوع مستقل يكون هو موضوع البحث والحوار.

وقد اختير لهذا اللقاء موضوع الغلو في مقابل الاعتدال على أساس أن توجد رؤية منهجية شاملة لبحث هذا الموضوع.

في اللقاء الأول كنت وزملائي تعهدنا أن يكون دورنا الوحيد في اللقاء هو إدارة الحوار وألا نتدخل فيه، ربما يورد بعضنا معلومة ولكنه لا يورد فكرًا وسوف يراعي زملائي وأنا إن شاء الله في هذا اللقاء هذا الأمر فلن نتدخل في الحوار، ولن نورد رأيًا خاصًا بنا ويكون دورنا هو مجرد إدارة هذا الحوار، أنا أتحدث إلى مشاركين لهم النضج العقلي والخلقي فلست في حاجة إلى أن أطيل في آداب الحوار وما نتوقع أن يسوده، وتجربته الأولى أثبتت والله الحمد أن هذا هو الذي اتبع وهو الذي استحبه الجميع، وقد كان الهم في توفير جو الحرية الكاملة للتعبير عن الرأي ومنتهى الصراحة

والشفافية والصدق في الخطاب، والابتعاد عن كل ما يؤثر على الحوار، وذلك بالتقيد بأدب القرآن وأدب الإسلام فلا يكون مجالا لهمز أو لمز أو سخرية سواء تتعلق بالأشخاص، أو تتعلق بالاتجاهات، أو تتعلق بالجماعات للمحافظة على هذا الموضوع.

ولضمان قدر أكبر من الحرية كان رأي الإخوان في اللقاء الأول أن يحاط بعدم العلانية وذلك لتمكينهم من الحرية الكاملة في التعبير دون أن يتعرضوا إلى ضغوط بأي شكل وبأي صورة، وأعتقد أن هذا إذا وافقتم هو الذي سوف يتبع في هذا اللقاء.

موضوع الحوار كما ذكرت هو الغلوفي مقابل الاعتدال، وهناك فقط بعض الحقائق أحببت أن أعرضها عليكم ربما يكون من المناسب التذكير بها وإلا ما دام أنها حقائق فهي معروفة للجميع.

الحقيقة الأولى: أنه عندنا مصدر رسمي لمعرفة التصور السليم لهذا، ومعرفة الطريق السليم للعلاج هذا المصدر هو القرآن الكريم، القرآن الكريم قد أوجد مساحة كبيرة لهذا الموضوع تناوله في زهاء ٧٠ موضوعاً، وعبر عنه بتعبيرات مختلفة أحياناً غلو، وأحياناً الإسراف، وأحياناً الاعتداء، وأحياناً الطفيان ولكنها كلها تصب في معنى واحد.

الحقيقة الثانية: أن الغلو هو ظاهرة إنسانية في كثير من الأحيان يكون لها أكثر من سبب وفي كثير من الأحيان يكون سببه غلواً من الجانب المخالف، ولكن الخطر في أن يكون نتيجة الغلو غلواً من الجانب المخالف لأن هذا يوجد الدخول في دائرة الحلقة المغلقة لأنه سينمي الغلو بعضه بعضاً فلا بد من الانتباه لهذه الحقيقة لبحث هذا الموضوع.

الحقيقة الثالثة: أن الغلو بحكم الطبيعة البشرية يوجد في تكوين

الإنسان بحكم طبيعته ميل إليه، وهذا هو ما يشكل خطورته، ويزيد هذه الخطورة أن يصاحب الميل أو يكون أحياناً نتيجته أو العامل فيه ميلٌ آخر هو العدوان، وقد نبهنا القرآن لهذا في غير موضع، فالطبيعة البشرية تميل أو تندفع في كثير من الأحيان إلى الإسراف في جانب معين؛ لأن قليلاً من الناس ينظر النظرة الشمولية فمهما صلحت النية ومهما صلح القصد فإنه من الناحية العقلية تكون الطبيعة البشرية من النادر أن تمكن الإنسان من النظر إلى الحقيقة نظرة شاملة؛ فللبحث في هذا الموضوع لا بد من ملاحظة هذا الأمر، وربما لأجل هذا الأمر ظهرت خطورة هذه الظاهرة، وهذه الظاهرة في خطورتها لم توجد ولم تظهر خطورتها كما ظهرت في العصر الحاضر، فهذا العصر بالرغم من أن الإنسان لغروه أحياناً يعتقد أنه هو عصر النضج الفكري، والنضج الخلقى لكن مع الأسف الشديد عند بحث هذه الظاهرة نرى أنها لم تبلغ من الخطورة في عصر من العصور مثل ما بلغت في هذا العصر.

لقد عانى القرن الماضي ٧٠ سنة من الغلوفي الأيديولوجية الشيوعية، ويواجه الآن غلواً آخر لا يقل خطورة. إن الدولة التي تحوز أكبر مخزون وأشرسه وأحدثه من أدوات الدمار نسبة كبيرة من سكانها يعتقدون أن خلاصهم في فناء العالم، وهذا ليس اعتقاد عدد من المهووسيين أو فئة مهووسة؛ ففي مسح للدين والسياسة أجرته جامعة اكرون في عام ١٩٩٦م أظهر أن ٣١% من البالغين المسيحيين في الولايات المتحدة يعتقدون في معركة أرمجدون التي سيفنى فيها العالم ما عدا من يكتب لهم الخلاص والخلاص كما يعتقدون مشروط بعودة المسيح، وعودة المسيح مشروطة بوجود هذه الحرب الكونية، هذا يمثل لنا خطورة هذه الظاهرة، وتتمثل طبيعة الخطر في الغلو والتطرف وأنه مهما تقدم الإنسان من الناحية



الفكرية أو من الناحية العلمية أو من الناحية الثقافية يبقى لديه الميل إلى التطرف بل ربما يزيد ﴿وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَبَ ﴿﴾ .

الحقيقة الرابعة: أن تصور هذا الموضوع والحكم عليه يتشكل بعامل النسبية فالغالي يعتقد أن الغلو هو توسط واعتدال، وعندنا مثل حاضر وظاهر مثل ما تعرفون تعد فرنسا ربما هي البلد الرائد في إصدار وثيقة حقوق الإنسان، وتعد رائدة للعلمانية، فالثورة الفرنسية إنما قامت تطبيقاً للعلمانية وكانت تتعايش مع الدين، طبيعياً يأتي فصل الكنيسة عن الدولة، ولكنها كانت تتعايش مع الدين وظلت ٢٠٠ سنة أخرى على هذا الرأي لولا أن حجاب المسلمة دخل في الصورة. ولما دخل في الصورة كان لابد من حجب الحجاب، لكن ما نمط الطريق إليه ؟ هو إصدار قانون وكي يصدر قانون مخالف للدستور وأو أن يعد الحجاب رمزاً دينياً ويساوى بالرموز الدينية الأخرى، طبعاً لا شك المغالطة معروفة وظاهرة هنا لأن الحجاب ليس رمزا دينيا وإنما هو واجب والتزام ديني فيمكن أن يوجد المسيحي الطيب والمسيحي الملتزم دون أن يحمل الصليب الكبير، كما يمكن أن يوجد الطالب اليهودي الملتزم في مدرسته دون أن يحمل القلنسوة. لكن المسلمة لا تستطيع ألا تلبس الحجاب في المدرسة، فالحجاب لها حكم من أحكام القرآن لا تستطيع مخالفته، ولا يقرها ضميرها الديني عليه؛ فهو التزام كالتزامها بالصلاة والتزامها بالصوم فتصور رفع الحجاب كالتزام ديني مثل منع الصلاة للطالبة في المدرسة الحكومية الفرنسية أو منع الصوم؛ فالحجاب ليس شعاراً وإنما هو التزام ديني ولا شك في أنه لو أخذ على حقيقته لكان معارضا للدستور معارضا لوثيقة حقوق الإنسان، معارضا لمادة ١٨ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فكانت هذه الحيلة، ولكن طبعاً هذه بما أنها حيلة سياسية، وحيلة لدوافعها أمور أخرى غير

الغلو في العلمانية فقد ظهرت بهذا المظهر الزائف؛ إنه مظهر الغلو في العلمانية والتشدد فيها. كذلك السويد، بلد مثل فرنسا ربما لا تستطيع أن تخفي كراهيتها الموروثة للإسلام فالأوساط الثقافية فيها بالغت في الحفاوة بكتابين كل ميزتهما أنهما وجها اتهامات إلى الإسلام وإلى نبيه و السويد ليست أضعف إيماناً بالعلمانية من فرنسا، ولكنها لم تر أن سماحا لمذبة مسلمة ترتدي الحجاب بالظهور في التلفزيون الحكومي ينافي العلمانية إذا الضجة التي أثارها ارتداء الحجاب في فرنسا ليست غلوا في العلمانية، وليس الغلو الموجود في تونس أو الموجود في تركيا وإنما هو تبرير سياسي متكرر في ثوب التشدد بالعلمانية، وهذا يهدينا إلى الحقيقة الأخرى التي أحببت أن أنبه إليها لأنه أحيانا تظهر الظاهرة في صورة الغلو وبشكل الغلو ولكنها في حقيقتها تكون ثوبا تنكريا أو شكلا تنكريا لأمر آخر، كما ذكرت في الأول أنه عندنا أسمى مصدر نأخذ منه التصور السليم لهذا الموضوع ونأخذ منه التصور السليم لطريقة علاجه وهو القرآن الكريم، وأيضا عندنا نموذج تاريخي لنموذج مثالي وتجربة تاريخية وقعت في الصدر الأول للإسلام فنحن نعرف أن الإسلام ابتلي بفرق كثيرة منحرفة انحرف بعضها عن الإسلام انحرافا بالغا، ولكن الفرقة الوحيدة التي يكاد يكون تواتر التحذير منها خصت بما ثبت وشاع عن النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر من التحذير منها هي الفرقة التي كانت ميزتها الغلو والعدوان والشذوذ عن الجماعة والعدوانية عليها هي الوحيدة التي اهتم بها النبي صلى الله عليه وسلم ومن التحذير منها. ربما يقال: إنها أول فرقة حصلت في الإسلام وربما يقال: إنها فرقة بسببها تولدت فرق أخرى ربما يقال إنها فعلا هي أول فرقة شقت عصا الإسلام وانحرفت عنه، وكان انحرافها عنه خطيرا لدرجة أنه وصل إلى قتل إمامين مهديين وخليفتين راشدين كلاهما صهر الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهذه وقعت في الصدر الأول،

ووقعت في عصر توافر فيه أفضل الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم وأزكاهم وأعرفهم بروح الإسلام وأعرفهم بأحكامه، وقد عالجوها، وفي هذا العلاج نستطيع أن نحكم ما هي الطريقة التي كانت مصيبة والطريقة التي كانت أقل صوابا ٥.

فعدنا إذا نموذج مثالي، وتجربة تاريخية يمكن أن تكون أيضا هاديا لنا في تصور هذا الموضوع، وفي علاجه طبعاً الأمر يختلف عن المصدر الأول لأن هذا مع الأسف الشديد تناولته أقلام المؤرخين أكثر مما تناولته أقلام المحدثين فلم يحظ بالتحقيق والتوثيق كما حصل بالنسبة للحديث فهو في حاجة عند الاستشهاد به إلى التثبت من المصادر.

حقيقة أخيرة: وأرجو أن تكون هي منارنا في الحوار وهي منهج الحكم في القرآن الحكم على الأشياء وعلى الأشخاص وعلى الآراء، هذا المنهج رده أسلافنا في كتبهم وأكثروا من الكلام فيه والقرآن أعطاه مساحة كبيرة تزيد على ٣٠٠ آية؛ وخلاصة هذا المنهج أن الحكم سواء على الشخص أو الشيء أو على الرأي. والإنسان دائماً يكون سلوكه نتيجة لحكم فالإنسان عندما يقول أو يعمل أو يمتنع عن القول إنما يكون نتيجة لحكم. هذا المنهج يشترط توافر عنصرين:

العنصر الأول: أن يبذل الإنسان كل ما يستطيعه للوصول إلى الحقيقة فلا يأخذ بالظن، ولا بالشائعة، ولا يأخذ بالفكرة الشائعة عند الناس، ولا يعجل وإنما يتحرى الحقيقة وهذا العنصر يطلق عليه علماءنا: التبيين.

العنصر الثاني: الموضوعية وعدم التحيز، ويطلق عليه علماءنا، ويطلق عليه القرآن عدم اتباع الهوى، أو العدل ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُفُؤًا قَوْمِينَ لَلَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾

(المائدة ٨) كما قال بعض المفسرين: لا يحملكم بغض قوم يقاتلونكم في الدين على ألا تعدلوا، ألا تعدلوا سواء في القول أو في العمل ويشهد بهذا الآية الأخرى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ فهؤلاء أعداء للمسلمين من الذين صدوهم عن المسجد الحرام وقاتلوهم وهموا بقتل نبيهم، ولكن الله ينهاهم عن العدوان يعني عدم العدل، وابن كثير في تفسير هذه الآية يقول: العدل مطلوب من كل أحد لكل أحد في كل حال فإذا لو اتبع الناس هذا المنهج لحلت الخلافات وحلت مشكلات كثيرة، ووصل الناس إلى الطريق السوي، ومثل ما ذكرت القرآن فصل فيه غاية التفصيل، وضرب الأمثال، وذكر القصص، وذكر أيضاً أن هذا قد يكون مستحيلاً على الإنسان في كل أحواله حتى ما يتعلق بالأنبياء وحتى ما يتعلق بأولي العزم من الرسل، حتى بما يتعلق بالملائكة. الله أخبرنا في كتابه عن داود بعد قصة الخصمين ﴿يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىَٰ﴾، وقص لنا قصة موسى عليه السلام، وهو من أولي العزم من الرسل، وقص لنا قصة الملائكة في أول سورة البقرة؛ فالإنسان لا شك في حكم بشريته، قد لا يستطيع في كل حال، وفي كل وقت أن يحقق هذا المنهج، ولكن يجب أن يسعى إلى تحقيقه وصلى الله على سيدنا محمد.

بهذه الكلمة الضافية افتتح الشيخ صالح الحصين فاعليات اللقاء الوطني الثاني، وهي كلمة تحمل الكثير من الأسس المشكلة لآليات الحوار، حيث ركز فيها على آداب الحوار، وكيفية التحاور، وبين أن مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني لا يعرض رأياً بقدر ما يدير حواراً بين النخب المشاركة، وهذه الإدارة هي إدارة محايدة لا تتحاز لرأي دون رأي، والمركز يقوم بالعملية التنظيمية للحوار. وقد أوضحت هذه الرؤية أن المركز يقوم

بدوره بشكل موضوعي منهجي لا يحتفي برأي على حساب رأي آخر، بل يترك المشاركات والمشاركين في الحوار يتوصلون عبر مناقشاتهم إلى رؤية حوارية تحوز على أغلبية المشاركين.

لقد حددت كلمة الشيخ الحصين في اللقاء الثاني جملة من الأمور تتعلق بموضوع اللقاء وبالحوار الوطني بوجه عام، حيث أوضح الشيخ الحصين أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، كما هو معروف، لكنه أكد على هذه الحقيقة الثابتة التي لا تقبل الجدل ثم السنة النبوية التي تشكل المصدر الثاني للتشريع الإسلامي.

وقد أوضح الشيخ معنى الغلو في الدين، بقوله: «الغلو هو ظاهرة إنسانية في كثير من الأحيان يكون لها أكثر من سبب، وفي كثير من الأحيان يكون سببه غلو من الجانب المخالف، ولكن الخطر في أن يكون نتيجة الغلو غلواً من الجانب المخالف لأن هذا يوجد الدخول في دائرة الحلقة المغلقة؛ لأنه سينمي الغلو بعضه بعضاً فلا بد من الانتباه لهذه الحقيقة لبحث هذا الموضوع».

كما أشار للعناصر النفسية المشكلة لظاهرة الغلو، وهو تفسير حقيقي إلى حد بعيد، كما بين منهج الحكم في القرآن على الأشياء والأشخاص.

إن الكلمة فتحت أفقا واسعا للحوار طرح فيه الشيخ أفكارا جديدة، بخصوص هذا الموضوع، لكن رؤيته الجوهرية تمثلت في إثارة الصالح العام وتأکید الثوابت الدينية والوطنية.

قضايا الواقع

شكلت القضايا الواقعية الحيوية مهادا جديدا لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، حيث استشعر مسؤولو المركز والمشاركون في اللقاءين السابقين قيمة أن تناقش قضايا واقعية حيوية، بحيث ينتقل المركز من مناقشة القضايا النخبوية النظرية إلى مناقشة القضايا العملية التي تسهم في تحسين أمور الواقع، وفي قراءة مختلف المشكلات التي قد يعاني منها المجتمع، بحيث يعمل المركز على طرحها ومناقشتها وقراءتها بشكل موضوعي محايد.

وكنموذج لهذه القضايا نجد أن ما جاء في اللقاء الوطني الثالث عن حقوق المرأة وواجباتها، وعلاقة التعليم بذلك يؤكد هذا الوعي المنفتح على الاجتهاد الإسلامي، ومعايشة الإسلام لقضايا العصر.

وقد شهد اللقاء الثالث لأول مرة مشاركة المرأة في الحوار الوطني، حيث اقتصر اللقاءان الأوليان على مشاركة رجالية، وكانت النقاشات حول قضايا فكرية ونظرية تتعلق بالموثيق والمعاهدات الدولية وبقضايا الغلو والتطرف والاعتدال.

جاء اللقاء الثالث بعنوان: «المرأة حقوقها وواجباتها وعلاقة التعليم بذلك» وعقد بالمدينة المنورة فيما جاء اللقاء الرابع بعنوان: « قضايا الشباب» وعقد بالمنطقة الشرقية.

وتحت هذين العنوانين جاءت كلمتا الشيخ لتركزا على عدد من القضايا الاجتماعية والوطنية والثقافية المتعلقة بذلك.

فقد تحدث الشيخ الحصين في مستهل كلمته في اللقاء الوطني



الثالث للحوار الفكري عن المرأة في الإسلام، وكيف حفظ الإسلام حقوقها وعيّن واجباتها، حيث استهل بقوله: «على هذه الأرض الطيبة وقبل أربعة عشر قرنا وجد حوار كان أحد أطرافه المرأة، وكان موضوعه يتصل بحقوق المرأة، وبلغ من أهميته أن جعل قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. (المجادلة الآية ١) إنه شعور يملأ قلب المسلم تجاه هذه الصحابية الجليلة وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾.

وأضاف الشيخ الحصين في رؤيته التأويلية لهذه الآية وموقف الإسلام من المرأة:

(على هذه الأرض الطيبة قبل أربعة عشر قرنا تم أعظم إنجاز عرفته البشرية في تحرير المرأة، حقق حريتها فأخرجها كالرجل من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، حفظ حقوقها وعيّن واجباتها، صان كرامتها، حقق المساواة بينها وبين الرجل بكلمات بليغة واضحة وليس أبلغ من قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ في الآية الكريمة ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَنِيٍّ مِنْكُمْ مِمَّنْ ذَكَرْتُ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ وليس أبلغ من كلمات نبيه صلى الله عليه وسلم: «إنما النساء شقائق الرجال» كان هذا فرعا مما حققه الإسلام وما أوضحه من عدم التمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس).

ويتحدث الشيخ الحصين حديث المفكر الذي استلهم ما جاء به القرآن الكريم وما جاء به الإسلام في موضوع المساواة حيث يرى أن: «هذه المساواة التي حققها هذا الإنجاز العظيم هي مساواة تتفق مع الفطرة وقوانين الطبيعة، هي مساواة التماثل في معنى الإنسانية، وفي الأهلية القانونية، وفي الكرامة البشرية، وفي المسؤولية والجزاء، ومساواة

التكامل في الوظائف الاجتماعية، وكان هذا توافقا واتساقا كاملا مع الفطرة وقوانين الطبيعة». وهذا ما نجده في جل اللقاءات الوطنية التي أسهم فيها الشيخ صالح بنصيب وافر من رؤيته المرتكزة على أسس الدين الإسلامي ومبادئه، سواء في مناقشته للآخر في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري: (نحن والآخر) حيث قُدمت رؤية إنسانية مشتركة للحوار مع الآخر وتعريف الآخر وأسس التعاون معه، أو في اللقاءات الوطنية التي عنيت بالجانب الخدمي التي تناولت التعليم، والعمل، والخدمات الصحية ثم الإعلام واقعه وسبل تطويره، وفي هذه اللقاءات التي شارك في أغلبها كلها تبدت حصافة الشيخ صالح الحصين ورؤيته الواعية لمختلف القضايا.

الإسلام والغرب

من أكثر الموضوعات التي كتب فيها الشيخ صالح الحصين موضوع: «الإسلام والغرب» وهو من الموضوعات التي يتعلق البحث فيها بزوايتين: الأولى زاوية الـ «نحن» باعتبارها تشكل مجمل الموقف التراثي والمعاصر من ظاهرة الآخر، وهو الآخر الغربي بالضرورة وما يتعلق به من قضايا دينية وعلاقات اقتصادية وسياسية وثقافية، والثانية: من زاوية: «الآخر» وهذا الآخر الذي يقدم ثقافة مغايرة، تعتمد على أسس عصر العلم، وتحولاته، ومناهجه الفلسفية والعقلانية له موقف من الثقافات الأخرى ثقافات العالم الثالث، وهو الذي فرض منذ عصر الكشوف الجغرافية، وبدايات عصر النهضة في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين الظاهرة الاستعمارية، وهي ظاهرة كشفت هذا التوتر التاريخي الكامن بين الأنا والآخر، أو الـ «نحن» والآخر الذي ما يزال مستمرا حتى اليوم وإن



بدرجات أقل حدة وأكثر نزوعاً إلى محاولة الفهم وربما التعايش. بيد أن هذا لا ينفي بالضرورة تأصل هذه الظاهرة على الأقل في قراءة الصورة النمطية للعالم الإسلامي والعالم الثالث في الإعلام الغربي والثقافة الغربية بوجه عام.

الشيخ صالح الحصين استوعب ذلك كله وقدمه في جملة من الدراسات والمقالات لم تكن لتتأى كثيراً عن مفهوم الحوار، الذي لا يتعلق بالقضايا المحلية فحسب بل يمتد إلى قراءة الآخر في مفاهيمه وتجلياته المتعددة، وهو الأمر الذي انعكس أكثر من خلال اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري الذي عقد بمدينة أبها في عام ٢٠٠٥م تحت عنوان: «نحن والآخرون».

يسأل الشيخ الحصين في أحد بحوثه المعنونة بـ «الإسلام والغرب»: هل الموروثات الثقافية culture للغرب المشحونة بالعداوة والبغضاء والتحقير والتشويه للإسلام هي المسؤولة عن اختيار العالم الغربي الإسلام عدوّه الحاضر؟ ربما كان ذلك سبباً، ولكن ليس كل السبب.

كما أن إلحاح الإعلام الغربي والأدبيات الغربية على تقديم الصورة النمطية الشوهاء للإسلام والمسلمين، ربما كان نتيجة أكثر مما هي سبب. ولعل النظرية التي قدّمها أحد المفكرين تجد لها مبرراً بعد التأمل، وخلاصة هذه النظرية أن الغرب وإن كان لا يشعر بالندية مع العالم الإسلامي من الجانب المادي، إذ الفجوة الهائلة بين القوة المادية للغرب والقوة المادية للعالم الإسلامي يستحيل في عقيدة الغرب تجاوزها إلا إذا وقف الغرب أجيالاً منتظراً العالم الإسلامي ليلحق به.

إلا أنه من الجانب المعنوي فالأمر يبدو مختلفاً، إذ إن الغرب يشعر

فعلاً من وجه آخر بأن الإسلام يمكن أن يكون نداءً منافساً، والشعور بالندية يبعث الخوف، والخوف أساس منطقي للعداء.

ويضيف الشيخ الحصين شارحاً هذه القضية المهمة: «إن الأمر لا يرجع فقط إلى القوة المعنوية التي يملكها الإسلام، بل أيضاً إلى نقط الضعف المعنوية الخطيرة التي تعاني منها الحضارة الغربية، فالحضارة الغربية تعاني من أزمة حقيقية ومحسوسة، لقد وصف تشرشل القرن العشرين بالقرن «الفظيع»، وعلق على هذا الوصف أحد المفكرين بقوله: (من الذي يتتبع مسيرة هذا القرن، ويتأمل تاريخه ولا يحكم عليه بالفطاعة؟! ليس من شك في أن الأزمة التي يعانيها الإنسان في العصر الحاضر لم يسبق لها مثل في تاريخ الإنسان، إنها أزمة تهدد الإيمان بالإنسان، هي أزمة علاقة الفرد بالطبيعة، وعلاقته بعمله، وعلاقته بغيره من الناس، وعلاقته بالنظام الاجتماعي. لاحظ شفيتزر في كتابه «الحضارة والأخلاق» عند كلامه عمّا أسماه «مأساة النظرة الغربية إلى العالم»: (إن حضارتنا تمرُّ بأزمة حادة، ويرد الناس هذه الأزمة إلى الحرب، ولكن الحرب وما يترتب عليها ليست إلا ظاهرةً من ظواهر انعدام الروح الحضاري الذي نجد أنفسنا فيه، وانعدام هذه الروح راجع إلى عدم التوازن بين تقدُّمنا المادي وتقدُّمنا الروحي، إن أكبر خطر في رفع العناصر المادية فوق العناصر الروحية هو ما يؤدي إليه من أن كثيراً من الناس عن طريق هذا الانقلاب الكلي في حياتهم بدلاً من أن يصبحوا أحراراً يتحوّلون إلى أناسٍ غير أحرار).

ولا حظ مفكّر آخر - كما يبين الشيخ صالح الحصين- أن الواقع أنه ما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كاد الناس يجمعون على أن الإنسانية أشرفت على عصر جديد من عصور الحضارة، عصر أزمةٍ



مفزعة شاملة قربت بين شعوب العالم لا بروح المحبة، ولكن بشعور الفزع الذي استولى على قلوب الناس، وظل هذا الشعور يتزايد وظلت المشكلات تتضاعف حتى آمن الكثير بقرب انتهاء الحضارة الغربية، وليس أدل على ذلك من استعراض عناوين كثير من الكتب التي ظهرت بعد نهاية الحرب.

لاحظ كارل جاسبرز أن الثورة التكنولوجية هي الأساس المادي للكارثة الروحية: (وإننا ندرك معنى انهيار المعايير الصحيحة، وندرك كيف يكون العالم قلماً حينما لا يدعو إلى تماسكه إيمان أو وعي اجتماعي).

إن الأمر بوضوح بحيث يقرر فيلسوف لا ديني، هو برتراند رسل، أنه (لم يعد للمذاهب العقديّة ولا القواعد التقليديّة للأخلاق والسلوك سلطانها الذي كان لها من قبل، وكثيراً ما يستولي الشك على تفكير الناس - رجالاً ونساءً - فيما هو حق، وما هو باطل. وعندما يحاولون أن يصلوا إلى رأي في ذلك يواجهون عقبة لا يطيقونها، إذ ليس هناك أمامهم هدف معين يسعون إليه، أو مبدأ واضح يهتدون بهداه هناك فقط مجموعتان من العقائد أمام الرجل الغربي الحديث عندما يكون منهوك القوى الروحية: نظام روما، ونظام موسكو. وكلاهما لا يخلق مجالاً للرجل الحر).

ويحدّد د. هوفمان معاناة الرجل الغربي ب (فقدان المعنى، وغياب أي هدف أسمى للحياة ... نقص روعي ينذر بتحويل الوجود الفردي إلى مهمة يائسة عديمة المعنى ... يصاحب هذه الورطة روح تشكيكية بعيدة عن اليقين والاطمئنان، تؤكد الناس أن المستقبل لا يحمل ما يتوقعونه، تلا انهيار الشيوعية فترة قصيرة ... وبدلاً من أن ينعم العالم بالسلام انتكس إلى قوميات وشوفينيات القرن التاسع عشر، وما يشبه من حروب مسعورة) (ص ٣١).

ويسأل الشيخ الحصين: «هل يمكن للغرب أن يتجاهل أن الديانات التقليدية التي تنشبت بها شعوبه في صورة أو أخرى أضعف من أن تكون نداءً للإسلام، سواء من حيث الموثوقية (القرآن لم يتغير فيه حرف منذ أن تلاه نبي الإسلام ﷺ أول مرة)، أو من حيث العقلانية، أو من حيث سلامته من المراجعة البشرية بين وقت وآخر - كما يحدث لديانات الغرب وكتبها المقدسة - أو من حيث سهولة الإيمان بمصدره الإلهي؟»

لندية الإسلام تجاه الحضارة الغربية وجهٌ آخر، ربما كان أهم، يظهر في فلسفة المنهج والنظرة العامة للحياة.

ويحدد الشيخ صالح الحصين بعد الاستشهادات من مفكرين غربيين حيث يقول: ولأترك لمفكرٍ أوروبي درس الإسلام دراسة عميقة، ثم اعتنقه أن يقوم بهذه المقارنة:

لقد أشار هذا المفكر إلى تحذير النبي ﷺ المتكرر والملح عن الدجال الذي يخرج في آخر الزمان ويصفه بأنه أعور يتمتع بقوى خفية خارقة للعادة، فيسمع ويبصر بهذه القوى ويسير في الأرض بطولها في وقت قصير، ويجعل الكنوز تظهر من تحت الأرض، يجيء بمثال الجنة والنار، فالذي يقول عنه جنة هونار، ويدعو القوم فيتبعونه فيتمتعون برغد العيش وتزهر لهم الحياة، ويدعو آخرين فيردون قوله فيصبحون محملين ليس بأيديهم شيء يواجهون ضيق العيش وضنك الحياة، يدعي أنه ينزل المطر وينبت الزرع ويحيى ويميت ويدعي الربوبية فيصدقه ضعاف الإيمان، أما أقوياء الإيمان فيقرؤون على جبهته «كافر» فيعرفون أنه ليس إلا وهما وخديعة يفتتن بها الناس.

ثم قال: (إن مثل الدجال ينطبق على المدنية الصناعية الحديثة،

إنها «عوراء»، أعني أنها تنظر إلى ناحية واحدة من الحياة: الرقي المادي غافلة عن الجانب الروحي. وبمعونة أعاجيبها التكنولوجية تمكّن الإنسان من أن يرى ويسمع على مسافات أطول جداً مما تمكنه قدرته الطبيعية ... وأن يقطع مسافات لا نهاية لها بسرعة خارجة عن نطاق التصوُّر، إن خبرتها العلمية تنزل الغيث وتبث الزرع، وتكشف من تحت الأرض عن كنوز لا تخطر ببال، ويعيد دواؤها الحياة إلى مَنْ يبدو كأنه يقضى عليه بالموت، بينما تبيد حروبها وأهوالها العلمية الحرث والنسل. إن تقدمها المادي من القوة والبريق بحيث إن ضعاف الإيمان آخذون في الاعتقاد بأنها إلهٌ بنفسها، إلا أن أولئك الذين ظلوا واعين لخالفهم يدركون بوضوح أن عبادة الدجال تعني الكفر بالله ... حقاً إن الإنسان الغربي قد أسلم نفسه لعبادة الدجال، لقد فقد منذ وقت طويل براءته، وفقد كل تماسك داخليٍّ مع الطبيعة، لقد أصبحت الحياة في نظره لغزاً. إنه مرتابٌ شكوكٌ. ولذا فهو منفصل عن أخيه، ينفرد بنفسه، ولكي لا يهلك في وحدته هذه فإنَّ عليه أن يسيطر على الحياة بالوسائل الخارجية، وحقيقة كونه على قيد الحياة لم تعد وحدها قادرةً على أن تُشعره بالأمن الداخلي، ولذا فإنَّ عليه أن يكافح دائماً وبألم في سبيل هذا الأمن من لحظة إلى أخرى، وبسبب من أنه فقد كل توجيه ديني وقرَّر الاستغناء عنه، فإنَّ عليه أن يخترع لنفسه باستمرار حلفاء ميكانيكيين، ومن هذا الاندفاع التائر اليأس في تقنيته. إنه يخترع كل يوم آلات جديدة، ويعطي كلاً منها بعض روحه كيما تنافح في سبيل وجوده، وهي تفعل ذلك حقاً، ولكنَّها في الوقت نفسه تخلق له حاجات جديدة ومخاوف جديدة وظماً لا يروى إلى حلفاء جدد آخرين أكثر اصطناعية وتضيع روحه في ضوضاء الآلة الخائقة التي تزداد مع الأيام قوةً وجرأةً وغرابةً وتفقد الآلة غرضها الأصلي: أن تصون وتقني الحياة الإنسانية. وتتطور إلى إلهٍ قائم بذاته إلى صنمٍ مفترس من فولاذ،

والظاهر أن كهنة هذا المعبود والمبشرين به غير مدرّكين أن سرعة التقدم التقني الحديث هي نتيجة ليس لنمو المعرفة الإيجابي فحسب، بل لليأس الروحي أيضاً، وأن الانتصارات المادية العظمى التي يعلن الإنسان الغربي أنه بها سيحققُ السيادة على الطبيعة هي في صميمها ذات صفة دفاعية فخلف واجهتها البراقة يكمن الخوف من الغيب. إن الحضارة الغربية لم تستطع حتى الآن أن تقيم توازناً بين حاجات الإنسان الجسمية والاجتماعية وبين أشواقه الروحية، لقد تخلّت عن آداب دياناتها السابقة، دون أن تتمكن أن تخرج من نفسها أي نظام أخلاقي آخر مهما كان نظرياً يخضع نفسه للعقل، وبالرغم من كل ما حققته من تقدم ثقافي فإنها لم تستطع حتى الآن التغلّب على استعداد الإنسان الأحمق للسقوط فريسة لأيّ هتاف عدائي أو نداء للحرب، مهما كان سخيلاً باطلاً، يخترعه الحاذقون من الزعماء . . . الأمم الغربية قد وصلت الآن إلى درجة أصبحت معها الإمكانيات العلمية غير المحدودة تصاحب الفوضى العملية، وإذ كان الغربي يفتقر إلى توجيه ديني صادق، فإنه لا يستطيع أن يفيد أدبياً من ضياء المعرفة التي تسكبه علومه، وهي لا شك عظيمة (1).

ثم كتب عن الإسلام بعد أن اعتنقه في كتابه (الإسلام على مفترق الطرق): (إن الإسلام على ما يبدو لي بناء تام الصنعة، وكل أجزاءه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ويشد بعضها بعضاً، فليس هناك شيء لا حاجة إليه، وليس هناك نقص في شيء. فنتج من ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص، ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض قد وضعت موضعها، هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي . . . سعيت إلى أن أتعلّم عن الإسلام كل ما أقدّر عليه، لقد درست القرآن الكريم، وحديث

(1) (295-The road to Mecca by M. Asad 4th ed. p. 293).

الرسول عليه السلام، ودرست لغة الإسلام وتاريخ الإسلام، وكثيراً مما كتب عنه أو كتب في الرد عليه... هذه الدراسات والمقارنات خلقت في العقيدة الراسخة بأن الإسلام من وجهتيه الروحية والاجتماعية لا يزال بالرغم من جميع العقبات التي خلقها تأخر المسلمين أعظم قوة نهضة بالهمم عرفها البشر^(١).

هذه المقالة المطولة التي نقلناها هنا تشكل رؤية الشيخ صالح الحصين من هذه القضية التي طرحت بشكل موسع في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري: «نحن والآخر» وقد طرح الشيخ صالح الحصين في هذا اللقاء تصورات في كلمة تجسد موقفه من الآخر مستندا على ما تقدمه الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي في هذا الصدد.

حيث قدم بداية رؤية مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني باعتباره رئيس اللجنة الرئاسية للحوار الوطني حيث ألمح إلى أن «هدف المركز من هذا اللقاء محاولة الوصول إلى صياغة رؤية وطنية للتعامل مع الآخر».

وقد أوضح الشيخ الحصين أن «نحن» المقصود بها المواطنون في المملكة العربية السعودية، والآخر هو غيرهم « ويشمل أصدقاءنا العرب والمسلمين وإخوتنا في الإنسانية».

وبين الشيخ صالح الحصين أن الرؤية الوطنية «مقومها الأساسي أنها رؤية واقعية وإنسانية، واقعية بمعنى أنها تأخذ معطيات الواقع كلها، وإنسانية بمعنى أنها في لبها وروحها وماء الحياة فيها الاعتبار الإنسانية والالتزام الأخلاقي».

(١) محمد أسد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة د. عمر فروح ص (١٣ - ١٤)



وقد عبر الشيخ صالح الحصين عن رؤيته للآخر، والرؤية الدينية والوطنية لهذا الآخر حيث قال: «المواطنون كلهم مسلمون بمقتضى ذلك أنهم كلهم يسلمون بأن الإسلام منهج شامل وكامل للحياة، وأنه يحكم علاقتنا مع الآخر، وعلماء الإسلام - رحمهم الله - حينما كانوا يحاولون أن يختصروا أو يلخصوا تعريف الإسلام في عبارة واحدة كانوا يقولون مثل ما قال ابن تيمية: «الإسلام كله يدور حول الإخلاص للحق ورحمة الخلق» وهذا شيء طبيعي لأن الله سبحانه وتعالى قال: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» الإسلام رسالته أن يكون رحمة للعالمين، من مظاهر هذه الرحمة أنه وضع حدا أدنى لعلاقة المسلم بغيره، هذا الحد هو العدل، فالعدل مثل ما كان يقول علماؤنا - رحمهم الله - مطلوب من كل أحد لكل أحد في كل حال، يعني مع الصديق والعدو والمسالم والمحارب، حتى العدو في ساحة المعركة لا خيار للمسلم في أن يعامله بغير العدل، فالعدل هو الحد الأدنى لعلاقة المسلم بغيره».

هكذا يحدد الشيخ صالح الحصين طبيعة العلاقة بين المسلم والآخر، وهي علاقة مستندة على ما جاء به القرآن الكريم وما جاءت به سنة نبيه، وجاء في القرآن الكريم: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾.

وتحدث في هذا اللقاء عن الأبعاد الحضارية للعلاقة بين نحن والآخر، «صدرت وثيقة حقوق الإنسان، وقرر هذا المبدأ قيمة حضارية قيمة يعترف بها الغرب، ويعترف بها العالم».

ويستدعي جانبا من تراث المسلمين في التعامل مع الأقليات غير الإسلامية فيقول: (كانت الأقليات غير المسلمة تحت السلطان السياسي

للمسلمين تمنح الحق في أن يكون لها قوانينها الخاصة، وأن يكون لها قضاؤها الخاص وأن تستثنى من القانون الجنائي العام بمعيار أن كل فعل يعد في القانون العام جريمة، ولكن لا يعد في ثقافة هذه الأقلية جريمة، وفرضت الحرية الدينية فكانت كل هذه الأقليات تمارس عبادتها وتمارس حريتها الدينية على أوسع نطاق).

إن رؤية الإسلام للآخر تبتغي دائما تحقيق قدر من العدل، وهذا العدل مرتكز على طبيعة الدين الإسلامي في وسطيته وتسامحه، وفي معاشته لآخر معايشة تقدر البعد الإنساني، وتقدر التعاون مع الأخوة في الإنسانية، وهذا ما كان يلح على إيصاله الشيخ الحصين في جل اللقاءات الوطنية التي شارك فيها. عبر قضاياها المختلفة وطروحاتها المتعددة.



مختارات

من كلمات الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين في افتتاحيات اللقاءات الوطنية لمركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني بالإضافة إلى مقالة إضافية له، رحمه الله، بعنوان: «تجربتي في الحوار مع الآخر - في مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني»

- ١ . كلمة اللقاء الوطني الأول للحوار الفكري
- ٢ . كلمة اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري
- ٣ . كلمة اللقاء الوطني الثالث للحوار الفكري
- ٤ . كلمة اللقاء الوطني الرابع للحوار الفكري
- ٥ . كلمة اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري
- ٦ . كلمة اللقاء الوطني السادس للحوار الفكري
- ٧ . كلمة اللقاء الوطني السابع للحوار الفكري
- ٨ . تجربتي في الحوار مع الآخر

كلمات مضيئة

نصوص كلمات الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين
في اللقاءات الوطنية للحوار الفكري

تشكل الكلمات الافتتاحية التي ألقاها معالي الشيخ الدكتور صالح بن عبد الرحمن الحصين - رحمه الله- في اللقاءات الوطنية للحوار الفكري خلال السنوات العشر التي قضاها مع مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني تشكل قيمة فكرية وحوارية مهمة في سياق العمل الوطني الحواري، فالكلمات التي كان يلقيها الشيخ - رحمه الله- بشكل تلقائي مرتجل أحياناً كانت تنطوي على قواعد وأسس للعمل الحواري، وكانت أكثر ملامسة للموضوعات المطروحة خلال كل لقاء وطني جديد.

إن كلمات الشيخ انصرفت بشكل مباشر إلى معالجة الموضوع المطروح، حيث عدد فيها الشيخ المجالات الحوارية التي يمكن أن

تمثل إشكالية من الإشكاليات التي ينبغي النقاش فيها، وكيفية قراءتها وصياغتها وطرح الأسئلة حولها.

كانت الكلمات هي أول ما يلقي في اللقاء الوطني، ولهذا كانت تمثل دعامة رئيسة للحوار المطروح، فيما تشكل في الوقت نفسه الأسس التي يمكن اتباعها في قراءة الحوار والإشكاليات والأسئلة والتصورات، كما أنها تضع الخطوط العريضة لكل حوار وطني يتم عقده والمناقشة حول قضاياها المختلفة.

ومما يسم كلمات الشيخ الحصين - رحمه الله - أنها كانت تتماس مع الموضوع المطروح بشكل مباشر، ولهذا اكتسبت قدرا كبيرا من الإقناع والمصداقية لدى المشاركين والمشاركات في اللقاءات الوطنية للحوار الفكري، وكان أثرها يتبدى خلال النقاشات في الجلسات الحوارية المختلفة.

لقد أكسبت شخصية الشيخ الحصين الرصينة والحكيمة، والهادئة الحوار الوطني أفقا من امتزاج الرؤية بالقيمة الحوارية، ودربا من دروب التفكير الهادئ العميق في الوقت نفسه، لقد كانت بصيرته ورؤيته الحسنة مما يؤكد على القيم المثلى للحوار الوطني. وهذا ما أكسب كلماته قدرا من المعاشة والتأمل الحقيقي من جانب المشاركين والمشاركات في اللقاءات الوطنية، وكانت كلماته بمثابة الوثيقة الحوارية التي يزهو بقراءتها المعنيون والمهتمون بالحوار الوطني خاصة فيما طرحه في اللقاءات الوطنية الأولى، وما طرحه في لقاء: "نحن والآخرون" وهو اللقاء الخامس الذي طرحت فيه وثيقة الحوار مع الآخر، وقدم فيه الشيخ برنامجا فكريا محوريا لكيفية التعايش مع الآخر، واستمر هذا الطرح الذي يلامس القضايا في العمق وبشكل مبسط معا، في مختلف اللقاءات الوطنية.

وفيما يلي الكلمات التي ألقاها الشيخ بحيث تعد هذه الكلمات صورة من الصور الحوارية التي طرحها مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني في مختلف اللقاءات الوطنية للحوار الفكري.

اللقاء الأول للحوار الوطني فكرة الحوار الوطني الثوابت الدينية والوحدة الوطنية كلمة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين رئيس اللقاء



إضاءة: في هذه الكلمة يطرح الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين، رؤية إستراتيجية لمفهوم الحوار والحريات المتصلة به، ومنشأ فكرة مشروع الحوار الوطني وتحديات العمل بها في ظل التحولات التي تشهدها الساحة الوطنية والإقليمية والدولية، كما يطرح فيها الدعوة إلى الحوار من قبل مفكرين وكتاب وباحثين؛ لإيصال معنى الحوار إلى آفاق متقدمة وإشاعته ليكون منهجية شاملة بين جميع فئات المجتمع باعتباره أرقى وسيلة لإدارة الاختلاف بينها، وفي الوقت عينه أهم آلية لإيصال الأفكار ومناقشتها. خصوصا موضوع الثوابت الدينية والوحدة الوطنية.

سوف أتحدث عن فكرة الحوار الوطني، التي نشأت منذ حوالي سبعة شهور حينما اجتمع مجموعة من المفكرين ممن يهتمون بالمصلحة العامة فرأوا أن حرיתי الفكر والتعبير هما أساس حل المشكلات التي يواجهها الوطن، وقد أخذوا في حساباتهم التحديات التي يواجهها الوطن الحبيب، والتي لم يواجهها من قبل، وهذه التحديات تواجه الوطن وتواجه الإسلام

كدين، كما كان من رأيهم أن حرية الفكر وحرية التعبير بما أنهما وسيلتان فاعلتان في التطور لما هو أفضل وللمعالجة المشكلات التي يواجهها المجتمع، فإن وسائل التعبير تختلف في مدى أثرها، سواء أكان إيجاباً أو سلباً؛ وظاهرة التعبير عن الرأي ككل الظواهر لا بد أن يكون لها إيجابيات، ويكون لها سلبيات فكان من المهم المحاولة في الاختيار أو الانتباه إلى أفضل السبل لأداء هذه الوسيلة، وكان من رأيهم أنه إذا كان لحرية التعبير في مخاطبة الجمهور بعض السلبيات فقد يكون تخفيف بعض السلبيات بأن يكون التعبير عن الرأي في دائرة مغلقة لا أقول مغلقة بأن تكون محفوظة بسريتها لا يطلع عليها أحد، وإنما بأن تكون بعيدة عن تأثير العواطف والتأثير الخارجي فكانوا يرون إيجاد عادة الحوار كأسلوب في الحياة في مجتمعنا، ربما كان هذا من أفضل الوسائل والصور التي يمكن أن تظهر حرية التعبير، وتؤدي نتيجتها وفائدتها المرجوة منها وكانوا يرون أنه لا بد من وجود تجربة في هذا الأمر فإذا نجحت أمكن تعميمها، وأمکن تطويرها، وأمکن إيجاد آلية لها بحيث تكون أسلوباً من أساليب الحياة فتكون بين شرائح المجتمع على اختلاف أنواعها واختلاف مستوياتها حتى تصل إلى المدارس بين الطلبة، ولا شك لو أمكن أن يحصل هذا عملياً فقد يكون إن شاء الله، من الأسباب الناجحة لإمكانية وجود نموذج ناجح ومشجع على البدء فيه، وكان هذا في الحقيقة من أهداف الإخوان الذين اقترحوا الأمر، ورفعوه للمقام السامي ووجد كل ترحيب، وطلب منهم موضوعات معينة لتكون موضوعاً للحوار مأخوذاً في الذهن؛ الغاية الأولى أن يكون وجود نموذج صالح للحوار، وأن الحوار هو أصلح الأدوات وأسلمها لحرية التعبير عن الرأي. وكذلك اختيار مجموعة من الأشخاص يتحاورون حول هذه الأطروحات، واختار الإخوان موضوعات محددة ستجدونها في هذه الورقة التي بين أيديكم مفصلة في محورين للحوار، كما اختاروا الأسماء



التي يرون أنها ملائمة لأول نموذج للحوار الفكري المرجو نجاحه، ولقد
كلفنا وزميلين كريمين هما: الدكتور: عبد الله نصيف، والدكتور: راشد
الراجح من قبل المقام السامي لإدارة هذا الحوار بموجب الخطاب رقم
٩٧٠٤١ في ٤/٣/١٤٢٤هـ، وعندما جاء التكليف بإقامة الحوار لمناقشة
(الخطاب الإسلامي، الداخلي والخارجي)، ونُصّ فيه على الرغبة بتوجيه
دعوة لأصحاب الفضيلة المشايخ، وطلبة العلم، والباحثين المرشحة
أسمائهم والمذكورة وفق الخطاب خطاب المقام السامي وإقامة الحوار
الفكري وفق الموضوع والمحاور التي نُصّ عليها، واهتم الخطاب بالإشارة
إلى أن يتطلع الحوار لمناقشة الخطاب الإسلامي الداخلي، والخطاب
الإسلامي الخارجي، و الأهداف المنشودة والرامية إلى تمسك المملكة
العربية السعودية بالعتيدة الإسلامية، وبما يمكّن من توثيق صلاتها بالعالم
الإسلامي، وتوثيق عرى الوحدة الوطنية في إطار الوسطية والاعتدال،
والبعد عن التشدد والغلو.

اللقاء الوطني الثاني للحوار الفكري الغلو والاعتدال كلمة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين



إضاءة: في مفتح هذه الكلمة، قدم الشيخ صالح تصورا نظريا محكما لمعنى الغلو، وطبيعته، وذكر بأن القرآن هو المصدر والمرجع الذي يضمن أدق الحلول لهذه الظاهرة التي اهتم بها في نحو ٣٠٠ موضع، وعبر عنها بكلمات مختلفة ذات دلالة واحدة، لأن الغلو كان سببا في خروج أول فرقة في الإسلام قتلت خليفتين راشدين. ولهذا ذكرها النبي. وأن خطورة الغلو كظاهرة إنسانية كلفت العالم ٧٠ عاما من الحياة في ظل الشيوعية. كما بين الشيخ صالح رحمه الله أن منهج الحكم على الناس ينبغي أن يكون بالمعرفة والعدل لكل الناس وفي كل حال حتى لا يظهر الغلو بالكثير من الحجج التي يتخذها بعضهم غطاء لتبرير نواياه السياسية كما فعلت فرنسا مع قضية حجاب المرأة المسلمة. وأخيرا أكد الشيخ أنه لا أحد يسلم من الطبيعة البشرية التي قد تخضع لإغراء الغلو.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا
وحبيبنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبدأ هذه الكلمة بالترحيب بالإخوة المشاركين والمشاركات في هذا
اللقاء، وأشكرهم جميعاً على إجابة دعوتهم، وأدعو الله أن يهديهم جميعاً

إلى الطيب من القول، وأن يوفقهم إلى السديد من الحكم.

هذا هو اللقاء الثاني للحوار الوطني الفكري في المملكة العربية السعودية، وكان اللقاء الأول هدفه وموضوعه هو فكرة الحوار في ذاتها. لقد كان الهدف والطموح إيجاد تقليد للحوار في المجتمع وترسيخه؛ ليكون أسلوباً من أساليب الحياة باعتبار أن الحوار يخدم هدف الإصلاح العام؛ فالحوار وسيلة للتعرف إلى اتجاهات الرأي العام، وإيصالها إلى كل مهتم سواء كان صانع قرار أو منظرًا أو مجرد باحث، وأن يكون قناة للتعبير البناء الحر؛ فيتخلص من كثير من سلبيات الحرية المطلقة للتعبير فكان هذا هو الهدف، وكان القصد من اللقاء الأول اختيار إمكانية تحقيق هذا الهدف، واختبار مدى قبول أو وجود بيئة ملائمة له، وسوف تبدأ سلسلة اللقاءات، ويختص كل منها بموضوع مستقل يكون هو موضوع البحث والحوار.

وقد اختير لهذا اللقاء موضوع الغلو في مقابل الاعتدال على أساس أن توجد رؤية منهجية شاملة لبحث هذا الموضوع.

في اللقاء الأول كنت وزملائي تعهدنا أن يكون دورنا الوحيد في اللقاء هو إدارة الحوار وألا نتدخل فيه، ربما يورد بعضنا معلومة، ولكنه لا يورد فكراً، وسوف يراعي زملائي وأنا - إن شاء الله - في هذا اللقاء هذا الأمر؛ فلن نتدخل في الحوار، ولن نورد رأياً خاصاً بنا، ويكون دورنا هو مجرد إدارة هذا الحوار، أنا أتحدث إلى مشاركين لهم النضج العقلي والخلقي فلست بحاجة إلى أن أطيل في آداب الحوار وما نتوقع أن يسوده، وتجربته الأولى أثبتت - ولله الحمد - أن هذا هو الذي اتبع، وهو الذي استحبه الجميع. وقد كان لهم في توفير جو الحرية الكاملة للتعبير عن الرأي ومنتهى الصراحة والشفافية، والصدق في الخطاب، والابتعاد عن كل ما يؤثر على الحوار؛ وذلك بالتقيد بأدب القرآن وأدب الإسلام،

فلا يكون مجالاً لهمز أو لمز أو سخرية سواء أ تعلق بالأشخاص، أو تعلق بالاتجاهات، أو تعلق بالجماعات للمحافظة على هذا الموضوع.

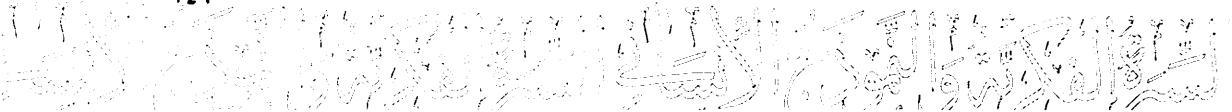
ولضمان قدر أكبر من الحرية كان رأي الإخوان في اللقاء الأول أن يحاط بعدم العلانية؛ وذلك لتمكنهم من الحرية الكاملة في التعبير دون أن يتعرضوا إلى ضغوط بأي شكل وبأي صورة، وأعتقد أن هذا إذا وافقتم هو الذي سوف يتبع في هذا اللقاء.

موضوع الحوار كما ذكرت هو الغلو في مقابل الاعتدال، وهناك بعض الحقائق فقط أحببت أن أعرضها عليكم ربما يكون من المناسب التذكير بها، وإلا مادام أنها حقائق فهي معروفة للجميع:

- الحقيقة الأولى: أنه عندنا مصدر رسمي لمعرفة التصور السليم لهذا الموضوع ومعرفة الطريق السليم للعلاج؛ هذا المصدر هو القرآن الكريم، القرآن الكريم، قد أوجد مساحة كبيرة لهذا الموضوع تناوله في زهاء ٧٠ موضوعاً، وعبر عنه بتعبيرات مختلفة أحياناً الغلو، وأحياناً الإسراف، وأحياناً الاعتداء، وأحياناً الطغيان، ولكنها كلها تصب في معنى واحد.

- الحقيقة الثانية: أن الغلو هو ظاهرة إنسانية في كثير من الأحيان يكون لها أكثر من سبب، وفي كثير من الأحيان يكون سببه غلواً من الجانب المخالف، ولكن الخطر في أن تكون نتيجة الغلو غلواً من الجانب المخالف؛ لأن هذا يؤدي للدخول في دائرة الحلقة المغلقة؛ ولأنه سبب سينمي الغلو بعضه بعضاً، فلا بد من الانتباه لهذه الحقيقة لبحث هذا الموضوع.

- الحقيقة الثالثة: أن الغلو بحكم الطبيعة البشرية يوجد في تكوين



الإنسان وبحكم طبيعته يميل إليه، وهذا ما يشكل خطورته،
 ويزيد هذه الخطورة أن يصاحب الميل، أو يكون أحياناً نتيجة
 أو العامل فيه ميل آخر هو العدوان، وقد نبهنا القرآن لهذا
 في غير موضع؛ فالطبيعة البشرية تميل أو تندفع في كثير من
 الأحيان إلى الإسراف في جانب معين؛ لأن قليلاً من الناس ينظر
 النظرة الشمولية، فمهما صلحت النية، ومهما صلح القصد فإنه
 من الناحية العقلية تكون الطبيعة البشرية من النادر أن تمكن
 الإنسان من النظر إلى الحقيقة نظرة شاملة، فلبحث في هذا
 الموضوع لا بد من ملاحظة هذا الأمر وربما لأجل هذا الأمر
 ظهرت خطورة هذه الظاهرة، وهذه الظاهرة في خطورتها لم
 توجد ولم تظهر خطورتها، كما ظهرت في العصر الحاضر،
 فهذا العصر على الرغم من أن الإنسان لغوره أحياناً يعتقد
 أنه هو عصر النضج الفكري والنضج الخلفي، لكن مع الأسف
 الشديد عند بحث هذه الظاهرة نرى أنها لم تبلغ من الخطورة
 في عصر من العصور مثل ما بلغت في هذا العصر.

لقد عانى القرن الماضي ٧٠ سنة من الغلو في الأيديولوجية
 الشيوعية، ويواجه الآن غلواً آخر لا يقل خطورة. إن الدولة التي
 تحوز أكبر مخزون من أدوات الدمار وأشرسه وأحدثه نسبة
 كبيرة من سكانها يعتقدون أن خلاصهم في فناء العالم، وهذا
 ليس اعتقاد عدد من المهووسين أو فئة مهووسة؛ ففي مسح
 للدين والسياسية أجرتة جامعة أكرون في ١٩٩٦م أظهر أن
 ٣١٪ من البالغين المسيحيين في الولايات المتحدة الأمريكية
 يعتقدون في معركة أرمجدون التي سيفنى فيها العالم ماعداً

من يكتب لهم الخلاص والخلاص كما يعتقدون مشروط بعودة المسيح، وعودة المسيح مشروطة بوجود هذه الحرب الكونية، هذا يمثل لنا خطورة هذه الظاهرة، وتتمثل طبيعة الخطر في الغلو والتطرف، وأنه مهما تقدم الإنسان من الناحية الفكرية؛ أو من الناحية العلمية، أو من الناحية الثقافية يبقى لديه الميل إلى التطرف، بل ربما يزيد (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَافٍ).

- الحقيقة الرابعة: أن تصور هذا الموضوع والحكم عليه يتشكل بعامل النسبية فالغالي يعتقد أن الغلو هو توسط واعتدال، وعندنا مثل حاضر وظاهر؛ مثل ما تعرفون تعد فرنسا ربما هي البلد الرائد في إصدار وثيقة حقوق الإنسان، وتعد رائدة للعلمانية؛ فالثورة الفرنسية إنما قامت تطبيقاً للعلمانية، وكانت تتعايش مع الدين، طبيعياً يأتي فصل الكنيسة عن الدولة، ولكنها كانت تتعايش مع الدين وظلت ٢٠٠ سنة أخرى على هذا الرأي لولا أن حجاب المسلمة دخل في الصورة، لما دخل في الصورة كان لا بد من حجب الحجاب، وكان الطريق إلى ذلك هو إصدار قانون، وكي يصدر قانون مخالف للدستور رأوا أن يُعدَّ الحجاب رمزاً دينياً، ويساوى بالرموز الدينية الأخرى، طبعاً لاشك المغالطة معروفة وظاهرة هنا؛ لأن الحجاب ليس رمزاً دينياً، وإنما هو واجب والتزام ديني فيمكن أن يوجد المسيحي الطيب والمسيحي الملتزم دون أن يحمل الصليب الكبير، ويمكن أن يوجد الطالب اليهودي الملتزم في مدرسته دون أن يحمل القلنسوة، لكن المسلمة لا تستطيع ألا تلبس الحجاب في المدرسة، فالحجاب لها حكم من أحكام القرآن لا تستطيع

مخالفته، ولا يقرها ضميرها الديني عليه؛ فهو التزام كالتزامها بالصلاة والتزامها بالصوم فتصور رفع الحجاب كالتزام ديني مثل منع الصلاة للطالبة في المدرسة الحكومية الفرنسية، أو منع الصوم. فالحجاب ليس شعاراً، وإنما هو التزام ديني، ولاشك لو أخذ على حقيقته لكان معارضاً للدستور ومعارضاً لوثيقة حقوق الإنسان ومعارضاً للمادة ١٨ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فكانت هذه الحيلة، ولكن طبعاً هذه بما أنها حيلة سياسية وحيلة لدوافعها أمور أخرى غير الغلو في العلمانية، فقد ظهرت بهذا المظهر الزائف، إنه مظهر الغلو في العلمانية، والتشدد فيها. السويد أيضاً بلد فرنسا ربما لا تستطيع أن تخفي كراهيتها الموروثة للإسلام. الأوساط الثقافية فيها بالغت في الحفاوة بكتابين كل ميزتهما أنهما وجها اتهامات إلى الإسلام وإلى نبيه، وهي ليست أضعف إيماناً بالعلمانية من فرنسا، ولكنها لم تر أن سماحاً لمذبة مسلمة ترتدي الحجاب بالظهور في التلفزيون الحكومي ينافي العلمانية، إذاً سبب هذه الضجة ضد الحجاب في فرنسا ليس غلواً في العلمانية، وليس الغلو الموجود في تونس أو الموجود في تركيا، وإنما هو ضرب من التكر في ثوب التشدد بالعلمانية، وهذا يهدينا إلى الحقيقة الأخرى التي أحببت أن أنبه إليها؛ لأنه أحياناً تظهر الظاهرة في صورة الغلو وبشكل الغلو، ولكنها في حقيقتها تكون ثوباً تنكرياً أو شكلاً تنكرياً لأمر آخر، كما ذكرت في الأول أنه عندنا أسمى مصدر نأخذ منه التصور السليم لهذا الموضوع، ونأخذ منه التصور السليم لطريقة علاجه وهو القرآن الكريم، وأيضاً عندنا نموذج تاريخي لنموذج مثالي وتجربة تاريخية وقعت في

الصدر الأول للإسلام، فنحن نعرف أن الإسلام ابتلي بفرق كثيرة منحرفة، انحرف بعضها عن الإسلام انحرافاً بالغاً، ولكن الفرقة الوحيدة التي يكاد يكون تواتر التحذير منها خست بما ثبت وشاع عن النبي ﷺ ومن التحذير منها ربما يقال لأنها أول فرقة حدثت في الإسلام، وانحرفت عنه، وكان انحرافها عنه خطيراً لدرجة أنه وصل إلى قتل إمامين مهديين وخليفتين راشدين كلاهما صهر الرسول ﷺ فهذه وقعت في الصدر الأول، ووقعت في عصر توافر فيه أفضل الخلق بعد النبي ﷺ وأزكاهم وأعرفهم بروح الإسلام وأعرفهم بأحكامه، وقد عالجوها، وفي هذا العلاج نستطيع أن نحكم ما هي الطريقة التي كانت مصيبة والطريقة التي كان أقل صواباً.

فعدنا إذاً نموذج مثالي وتجربة تاريخية يمكن أن تكون أيضاً هادياً لنا في تصور هذا الموضوع، وفي علاجه طبعاً الأمر يختلف عن المصدر الأول؛ لأن هذا مع الأسف الشديد تناولته أقلام المؤرخين أكثر مما تناولته أقلام المحدثين، فلم يحظ بالتحقيق والتوثيق، كما حصل بالنسبة إلى الحديث فهو في حاجة عند الاستشهاد به إلى التثبت من المصادر.

- حقيقة أخيرة: وأرجو أن تكون هي منارنا في الحوار؛ وهي منهج الحكم في القرآن الحكم على الأشياء، وعلى الأشخاص، وعلى الآراء، هذا المنهج رده أسلافنا في كتبهم، وأكثروا من الكلام فيه، والقرآن أعطاه مساحة كبيرة تزيد على ٣٠٠ آية، وخلاصة هذه المنهج: أن الحكم سواء على الشخص، أو الشيء، أو على الرأي والإنسان دائماً يكون سلوكه نتيجة لحكم؛ فالإنسان عندما

يقول أو يعمل أو يمتنع عن القول إنما يكون نتيجة لحكم. هذا المنهج يشترط توافر عنصرين:

العنصر الأول: أن يبذل الإنسان كل ما يستطيعه للوصول إلى الحقيقة فلا يأخذ بالظن، ولا بالشائعة، ولا يأخذ بالفكرة الشائعة عند الناس، ولا يعجل، وإنما يتحرى الحقيقة، وهذا العنصر يطلق عليه علماءنا: التبين.

العنصر الثاني: الموضوعية وعدم التحيز، ويطلق عليه علماءنا، ويطلق عليه القرآن عدم اتباع الهوى، أو العدل ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى ءَلَّا تَعْدِلُوْا﴾ كما قال بعض المفسرين لا يحملكم بغض قوم يقاتلونكم في الدين على ألا تعدلوا فيهم؛ ألا تعدلوا سواء في القول أو في العمل، ويشهد بهذا الآية الأخرى ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ اَنْ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اَنْ تَعْتَدُوْا﴾ فهؤلاء أعداء للمسلمين من الذين صدوهم عن المسجد الحرام، وقاتلوهم، وهموا بقتل نبيهم، ولكن الله ينهاهم عن العدوان يعني عدم العدل، وابن كثير في تفسير هذه الآية يقول: العدل مطلوب من كل أحد لكل أحد في كل حال فإذا لو اتبع الناس هذا المنهج لحلت الخلافات وحلت مشكلات كثيرة، وذكر القصص، وذكر أيضاً أن هذا قد يكون مستحيلاً على الإنسان في كل أحواله حتى فيما يتعلق بالأنبياء وحتى ما يتعلق بأولى العزم من الرسل، وحتى ما يتعلق بالملائكة. الله أخبرنا في كتابه عن داود بعد قصة الخصمين ﴿يٰۤاٰدُوْدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيْفَةً فِى الْاَرْضِ فَاَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ وقص لنا قصة موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، وقص لنا قصة الملائكة في أول سورة البقرة؛ فالإنسان لاشك بحكم بشريته قد لا يستطيع في كل حال، وفي كل وقت، أن يحقق هذا المنهج، ولكن يجب أن يسعى إلى تحقيقه وصلى الله على سيدنا محمد.



اللقاء الثالث للحوار الوطني المرأة: حقوقها وواجباتها وعلاقة التعليم بذلك معالي الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين رئيس اللقاء



إضاءة: قدم الشيخ صالح الحصين رحمه الله رؤية واضحة لمكانة المرأة في الإسلام، وتطرق إلى تنفيذ الكثير من الشبهات المعاصرة حول وضع المرأة في الإسلام. كما كشف عن الاستغلال الرخيص للمرأة تحت دعاوى التحرر والمساواة في الحضارة الحديثة. واستشهد ببعض شهادات الغربيين في هذا الصدد. لقد جسد الشيخ صالح الحصين بهذه الكلمة الضافية منهجا معاصرا للدفاع عن المكانة الموضوعية للمرأة في التصور الإسلامي. كما أبان عن الحكمة التشريعية من تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم؛ بالإضافة إلى بعض المحاور التي اقتضتها سياقات الحديث عن المرأة، والتحديات التي تطرحها التحولات الجديدة لوضع المرأة في العديد من مجالات العمل.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واجعلهم شاكرين نعمتك مثنين بها عليك قابليها منك، اللهم أهدنا إلى الطيب من القول.



أيها الإخوة والأخوات:

بالنيابة عن رئاسة اللقاء الثالث للحوار الوطني أرحب بكم وأشكركم على استجابتكم لهذا اللقاء وأتمنى لكم التوفيق.

أيها الإخوة والأخوات:

على هذه الأرض الطيبة وقبل أربعة عشر قرناً وجد حوار كان أحد أطرافه المرأة، وكان موضوعه يتصل بحقوق المرأة، وبلغ من أهميته أن جعل قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. إنه شعور يملأ قلب المسلم تجاه هذه الصحابية الجليلة وهو يقرأ قول الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾، على هذه الأرض الطيبة قبل أربعة عشر قرناً كان أعظم إنجاز عرفته البشرية في تحرير المرأة، حقق حريتها فأخرجها كالرجل من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، حفظ حقوقها وعيّن واجباتها، وصان كرامتها، وحقق المساواة بينها وبين الرجل بكلمات بليغة واضحة، وليس أبلغ من قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ في الآية الكريمة: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ مِنْ بَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾. وليس أبلغ من كلمات نبيه ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال». كان هذا فرعاً مما حققه الإسلام وما أوضحه من عدم التمييز بسبب العرق أو اللون أو الجنس، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ «لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» لكن هذه المساواة التي حققها هذا الإنجاز العظيم هي مساواة تتفق مع الفطرة وقوانين الطبيعة، هي مساواة التماثل في معنى الإنسانية، وفي الأهلية القانونية، وفي الكرامة البشرية



وفي المسؤولية والجزاء، ومساواة التكامل في الوظائف الاجتماعية، وكان هذا توافقاً واتساقاً كاملاً مع الفطرة وقوانين الطبيعة.

إذا كانت الفروق بين الجنسين تشمل الفروق الفسيولوجية والبيولوجية والسيكولوجية، فمن المعقول أن تكون هناك فروق سوسولوجية أي في الوظائف الاجتماعية والمسؤوليات الاجتماعية، وقد تخبطت البشرية وما تزال تتخبط في تصور هذه المساواة بعدما سلّمت بها قولاً، فأذكر عندما كنا ندرس وكنا نقرأ في المراجع القانونية في بحث الأهلية، كانت المراجع تمثل للأهلية الناقصة بالمرأة في القوانين، أي في بلاد القوانين اللاتينية ربما يكون الأمر قد تغير الآن في فرنسا، وبالتأكيد في إسبانيا منذ سنوات بعد أن عدل الدستور، لاشك في أنها بقيت في العمل وفي السلوك انتهاكاً لهذه المساواة؛ إذ نرى الآن كما رأينا من قبل أنه في كثير من الأحيان انتهكت إنسانية المرأة، ونُظر إليها باعتبارها شيئاً لا باعتبارها إنساناً. وكما ضلت البشرية فيما يتعلق بمساواة التماثل في مجالاته فقد ضلت أيضاً فيما يتعلق بمساواة التكامل في مجالاته، وربما تكون أهم تجربة خاطئة في هذا المجال، وأشملها وأطولها عمراً تجربة الاتحاد السوفيتي، فبعد ما أعلن الزعيم الأول لينين شعاره «الأمة لا تكون حرة ما دام نصفها في المطبخ» خرجت المرأة من المطبخ ولكن لم تتل الأمة السوفيتية الحرة، وقد نزلت المرأة إلى سوق العمل المأجور، وعملت كل أعمال الرجل، عملت مهندسة، ورائدة فضاء، وميكانيكية في المصنع، وعاملة في مجال البناء ورصف الطرق، وكنس الشوارع، وحفر الأنفاق، ولسوء حظها كان نصيبها من الأعمال الشاقة والمكروهة النصيب الأكبر، ثم كانت النهاية بكلمات الزعيم الشيوعي الأخير جورباتشوف الذي قال في «البروستوريكا» كلمات معبرة فقال: (لقد وضعت الدولة السوفيتية حدًا للتمييز ضد المرأة الذي



كان سائداً في روسيا القيصرية، فقد كسبت المرأة حق الرجل نفسه في العمل والأجر المتساوي، ولكن طول سنوات تاريخنا البطولي والشاق عجزنا عن أن نولي اهتماماً لحقوق المرأة الخاصة واحتياجاتها الناشئة عن دورها كأم، وربة منزل، ووظيفتها التعليمية التي لا غنى عنها بالنسبة للأطفال.

إن المرأة إذ تعمل في مجال البحث العلمي، وفي البناء، وفي مجال الإنتاج والخدمات، وتشارك في النشاط الإبداعي، لم يعد لها وقت للقيام بواجباتها اليومية في المنزل كتربية الأطفال وإقامة جو أسري طيب، لقد اكتشفنا أن كثيراً من مشكلاتنا في سلوك الأطفال والشباب، وفي معنوياتنا وثقافتنا، وفي الإنتاج تعود جزئياً لتدهور العلاقات الأسرية والموقف المترابي من المسؤوليات الأسرية، وهذه نتيجة مناقضة لرغبتنا المخلصة لمساواة المرأة للرجل في كل شيء، والآن في مجرى البروسترويكا بدأنا نتغلب على هذا الوضع؛ ولهذا السبب بدأنا نجري مناقشات جادة في الصحافة، وفي المنظمات العامة وفي العمل والمنزل بخصوص مسألة ما يجب أن نفعله لنسهل على المرأة العودة لرسالتها البحثية، وهكذا انتصرت قوانين الطبيعة الحتمية الواجبة).

أيها الإخوان على هذه الأرض الطيبة، ومنذ أربعة عشر قرناً من الزمان وجد نموذج يجسد طبيعة العلاقة الصحيحة بين الرجل والمرأة «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» كان الحبيب المصطفى ﷺ يؤم الناس في الصلاة حاملاً طفلة صغيرة يحملها عندما يقوم ويضعها عندما يريد أن يركع أو يسجد، وبعد قرون علق على هذه الحادثة الإمام الفاكهاني رحمه الله فأشار إلى أن الحكمة من هذا تكريم الأنثى لا كما كانت تفعل الجاهلية، ثم يقول رحمه الله: «التعليم بالعمل أقوى أثراً من التعليم بالقول».

وهكذا رسم لنا المصطفى ﷺ الطريق بعد أن أوضحت شريعته المنهج الكامل والصحيح لعلاقة الرجل بالمرأة، علمنا كيف نوجد هذا في المجتمع وأن السبيل إليه هو التعليم قولاً والتعليم عملاً، ولهذا أكد هذا المعنى ﷺ فقال: « من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها دخل الجنة».

وهذا الحديث وإن كان قد تكلّم في إسناده فإن له من الشواهد من الأحاديث الصحيحة، مثل: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم» «ساووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً أحداً على أحد لفضلت النساء على الرجال».

هكذا علمنا المصطفى ﷺ قولاً وعملاً بصورة واضحة، ولقد أوضح الواقع والتاريخ الحكمة من تعدد زوجات المصطفى ﷺ، إذ إنه وهو النموذج الأعلى والأعظم لنا لا بد أن نعرف عن حياته الخاصة والعامة ولا إشكال في معرفة حياته العامة والتي يشهدها أكثر من مئة ألف صحابي، ولكن كيف السبيل إلى معرفة حياته الخاصة؟، كان السبيل هو تعدد زوجاته ﷺ لو كانت زوجة واحدة لفاتنا الكثير مما نعرفه عن حياته الخاصة، ولربما نسيت زوجة أن تذكره لنا، ولربما لم تر أهمية لذكره أو لأي سبب آخر، ولكن عندما تعددت زوجات النبي ﷺ أتيج لنا أن نعرف حياته الخاصة يعرفها المسلم أكثر مما يعرف الحياة الخاصة لأبيه وأمه، أثبت التاريخ لنا هذه الحكمة ونتيجته معرفتنا لهذا النموذج البشري العظيم ومعرفتنا التصور الصحيح لعلاقة الرجل بالمرأة.

أيها الإخوة، عادة تتضمن كلمة الافتتاح التذكير بمبادئ وضوابط الحوار، وأول هذه المبادئ الإشارة أو التذكير بالمرجعية التي يرجع إليها الحوار، ولا بد لكل حوار من مرجع والا أصبح عقيمًا غير منتج، وهذا الأمر

ولله الحمد بالنسبة لنا أمر سهل إذ إننا كلنا مسلمون وكل مسلم يعتقد أن الإسلام منهج شامل للحياة؛ الإسلام مرجعه الكتاب والسنة الصحيحة؛ فمرجع هذا اللقاء هو الكتاب العزيز والسنة الصحيحة، الآيات في القرآن تدل على ذلك ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فالأساس والمرجع لهذا الحوار هو كتاب الله العزيز وسنة رسوله ﷺ.

ومن هذا المعين نستلهم المبادئ الأخرى للحوار، الحوار كناقاش مجرد وأيضا المبادئ التي تحكم موضوع الحوار هذا إنما يتم على وجهه الأفضل عندما يتم المقارنة بين الإسلام والثقافات والمناهج الأخرى. عندما نقارن بين الإسلام والجاهلية، ونحن نعرف أن في الجاهلية الأولى كانت فلسفة الحياة تقوم على فكرة الصراع، فكل قبيلة علاقتها بالقبيلة الأخرى علاقة الصراع والمغالبة؛ فمن لا يظلم الناس يظلم. ففكرة مصلحة القبيلة والقوة كانت هي الفكرة التي تنظم وتحكم العلاقات بين الناس في الجاهلية. هذه الصورة مثلما نرى هي صورة مكبرة في الجاهلية المعاصرة؛ إن العلاقات بين الأمم والدول كما تقررها المراجع المدرسية والجامعية هي المصلحة القومية والقوة أي الصراع؛ ففكرة الصراع هي التي تحكم الآن العلاقات بين الناس؛ فكرة المغالبة سواء بين الأفراد أو بين الجماعات فمثلا في هذا العصر حين انتصار الرأسمالية على الشيوعية وأساسها الفردية، والفردية تلد الأنانية ففكرة الصراع والمغالبة والمنافسة هي أساس الحياة، وهذا نشهده في الحوادث اليومية كما نشهده في التاريخ القريب والبعيد. في الإسلام كما نعرف الحد

الأدنى للعلاقة بين الناس هي العدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ
 ۞ أَلَّا تَعْدِلُوا ۖ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۞﴾ . قال المفسرون: لا يحملكم بغض
 قوم يقاتلونكم في الدين على ألا تعدلوا فيهم، حتى القوم الذين يقاتلوننا
 في ديننا على ألا نعدل فيهم، فالعدل هو الحد الأدنى لعلاقة المسلم
 بغيره، ولكن الله أرشدنا أيضا وأرشدتنا السنة النبوية إلى أن العلاقة،
 ولاسيما بين المسلمين يجب أن تكون التعارف والتآلف والتعاون على البر
 والتقوى. هذا كما يكون بين الأفراد يكون أيضا بين الجماعات، وكما
 يكون بين الأفراد يكون بين الجنسين، فالواقع أن العلاقة في الإسلام بين
 الجنسين هي علاقة التعارف والتعاون والتكافل ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
 بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ﴾ .
 إذا المبدأ الضابط الأول لهذا الحوار التعارف والتعاون على الوصول إلى
 الحقيقة ورفض فكرة الصراع والمغالبة والتنافس. علاقة الرجل بالمرأة
 يجب أن تقوم على التعاون والتعارف والتآلف، ورفض فكرة الصراع نحن
 نرى الآن في الجاهلية المعاصرة فكرة الصراع بين الرجل والمرأة أما
 بالنسبة للإسلام يجب أن نرفض هذه الفكرة، نحن نعرف أيضا بالنسبة
 للجاهلية الأولى التمييز بين الأجناس أو بين الأقوام على أساس من الخلق
 سواء كانت تتصل بالعرق أو تتصل باللون أو تتصل بالجنس و يجيء
 الحديث الشريف: (إن الله أذهب عنك حمية الجاهلية وفخرها بالآباء
 فكلم لآدم و آدم من تراب). حينما سب أو عير أحد الصحابة أخاه بأمه
 قال النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»، إخوانكم خولكم فحتى الرقيق
 هم إخوان لمن يملكهم لا فرق بينهم في معنى الإنسانية، هذه الصفة أو
 السمة من سمات الجاهلية الأولى نراها الآن واضحة ومكبرة في الجاهلية
 المعاصرة؛ فالتمييز على أساس العرق أو على أساس اللون أو على أساس



الجنس أو على أساس الجغرافيا نجدها شائعة ومؤثرة وعاملة وصانعة للأحداث، كما نشاهدها نجد التعبير عنها سواء كان في كلام الساسة أو تصريحاتهم، أو ما يكتبه رجال الفكر فالمدينة الغربية تنظر إلى الأجناس الأخرى على أنها أجناس أدنى. كان أرسطو اخترع عبارة العبد الطبيعي National Slave ليعبر عن تصور اليونان، وبعدهم تصور الرومان للشعوب الأخرى فهم يرونهم عبيدًا طبيعيين أي أن الطبيعة جعلتهم عبيدًا، مثل ما نعرف كان الرومان ينظرون للشعوب الأخرى باعتبارهم برابرة. في القرن السادس عشر كان هناك قس دومينيكي اسمه بارتولومي دكاساس اخترع اصطلاحًا ملطفاً وهو الطفل الطبيعي National Child لاشك في أن هذا القسيس اختار هذا الاصطلاح بعد أن رأى فظائع المستعمرين في تعاملهم مع الشعوب المحلية، جاء بهذا الاصطلاح ليخفف من تصور المستعمر للشعوب المحلية، وليدعوهم إلى شيء من الرأفة والرحمة، وكان يصور الشعوب الأخرى بأنهم كالأرض الطبيعية التي تنتج الأعشاب الوحشية والأشواك، ولكنها قابلة للتنمية وقابلة للتطوير، فهو يراها شعوباً محرومة من وسائل التقدم، ولكنها قابلة للتعليم والتربية إلى أن تبلغ مستوى المدنية، وقد تلقف الاستعمار هذا الاصطلاح فرآه مصورا دقيقاً لشعوره أو لتفكيره في الشعوب المستعمرة، وظلت الشعوب المستعمرة ترى الشعوب المستعمرة أنها طفل طبيعي استفادت من هذا لنشر الاستعمار وترسيخه. لأن من المعروف أن العبد لا يملك ولا يتصرف فكانوا محتاجين إلى أن يمنحوا هذه الشعوب حق الملكية والتصرف لكي يستطيعوا أن ينقلوا ملكيتهم إليها. أما العبد لا يستطيع أن ينقل ملكيته ونعرف كان وجود التنافس بين الشعوب المستعمرة في ذلك الوقت مثلاً بين إنجلترا وأسبانيا والبرتغال فاستخدم هذا الاصطلاح لفائدة المستعمر، وظل في ذهن الشعوب الغربية تجاه الشعوب الأخرى وطبعاً الأمر غير خفي دائماً

نسمع التصريحات والأحكام في الإعلام والكتب وفي غيرها بالنسبة للموضوع أيضا كان التمييز بين الجنسين شائعا في الماضي بصورة وهو الآن مع الأسف شائع بصورة أخرى بالرغم من دعاوى التحرير، ودعاوى المساواة بين الجنسين، فالمرأة مثل ما نرى في الغرب عندما نزلت إلى سوق العمل، ونزلت إلى سوق التجارة في السلع والخدمات صارت جزءا من السلعة أو جزءا من الخدمة، فالمرأة في الواقع حينما تكون بائعة في متجر أو ساقية في مقهى أو مضييفة على الطائرة إنما تكون أنوثتها جزءا من السلعة أو الخدمة المباعة بالإضافة إلى هذا قد اعتبرت أيضا شيئا مثل ما يعبرون شيئا للمتعة sexual object فهذه هي حالة المرأة فبالرغم من دعاوى عدم التمييز التي في الواقع هي في ذاتها سببت تميزا وانتهاكا فعليا للمرأة أعطتها الكلمة ولكن أخذت منها بالفعل.

مثل ما عرفنا الإسلام حتى من أعداء الإسلام أو المحايدين يعترفون كلهم أن الإسلام ميزته الظاهرة هي عدم التمييز سواء من ناحية العرق أو اللون أو الجنس، إذا هذه الصفة أو الميزة هي التي تحكم علاقة الرجل بالمرأة في الإسلام ولكن كما ذكرنا التمييز الذي ينكره الإسلام هو التمييز الحقيقي الذي تنتهك فيه حرية المرأة أو ينتهك فيه شرفها أو ينتهك فيه حقها فإنكار مساواة التكامل على النحو الذي أشير إليه فيما سبق هو في الواقع انتهاك لإنسانية المرأة، وانتهاك لشرفها وكرامتها كما أثبتت التجربة و، كما أثبتها الواقع التاريخي. الأمر الآخر عندما حدث نزاع بين بعض المهاجرين والأنصار وسمع النبي e أحد الصحابة يقول: يا لأنصار والآخر يقول: يا للمهاجرين فقال: أبدوى الجاهلية دعوها فإنها منتنة؛ فإذا التعصب سواء تعصب قبلي أو تعصب مذهبي كل هذا من أمر الجاهلية، وكما أنه موجود في الجاهلية الأولى فهو موجود في الجاهلية

المعاصرة، ويظهر ذلك واضحًا وصريحًا فيما يسمونه اليمين المتطرف ولكنه يظل خافيا ومؤثرا في الأحداث وفي الجميع.

بالنسبة للإسلام ومثل ما نعرف الأمر فيه هو رفض التعصب، وقد تنبه إلى هذا علماء الإسلام، وتنبهوا إلى أن التعصب للرأي مرض، فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: (كل طائفة ترى أن ما عندها هو الحق، وترى أن ما عند غيرها هو الباطل فتقبل كل ما عندها وترد كل ما عند غيرها، والذي عند غيرها فيه حق وباطل فإذا ردت جملة ردت الحق) إذا المبدأ الثالث من مبادئ هذا الحوار هو رفض التعصب، والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، بقيت مسألة أخيرة وهي صفة من صفات الجاهلية وسمة من سماتها وهي ما أشار إليه الله سبحانه وتعالى عندما قال: ﴿وَلَا تَبْرَحْ أَجْهَلِيَّةَ الْأُولَى﴾ فإساءة استخدام أنوثة المرأة كانت سمة من سمات الجاهلية، وواضح الآن أنه في الجاهلية المعاصرة لم يبلغ سوء استخدام لأنوثة المرأة كما وقع في الوقت الحاضر.

الإسلام مذهبه في هذا كما هو واضح الإلحاح على فكرة العفاف والستر والحياء وهذا في الواقع هو البوصلة التي تهدينا وتوجهنا إلى الطريق الصحيح تتشابه الأمور ولكن الذي يهدي إلى الطريق الصحيح هو فكرة العفاف والحياء والستر والمحافظة على شرف الأنوثة. ونحن نعرف الآن أنه كيف بلغ الآن في الجاهلية المعاصرة مدى التبرج والانحلال وآثاره التي يشكو منها الجميع فالعفاف والستر والحياء ينبغي أن يكون هو بوصلتنا للاتجاه الصحيح وفي التفريق بين الأمور المتماثلة فأحيانًا تتشابه الأمور فالمرأة عندما تبع إنتاجها أو سلعتها في سوق عامة أو حتى على الرصيف أمر معروف ولكنها عندما تكون أجيرة في مركز تجاري أو ساقية في مقهى أو مضييفة فالأمر يختلف وسبب الاختلاف هو أن الأنوثة

صارت جزءاً من السلعة المباعة أو جزءاً من الخدمة المباعة فالمرضة في المستشفى يشبه علمها المضيئة على الطائرة ولكن المتطلبات التي تطلبها المستشفى لوظيفة الممرضة غير المتطلبات التي تطلبها شركة الطيران للمضيئة.

إذا مسألة العفاف هي مسألة أساسية والمحافظة على شرف الأنوثة وعدم تسليع المرأة أو اعتبارها شيئاً وليست إنسانا كل هذه الأمور يرفضها الإسلام ومن المتوقع والمفروض أن تراعى في النقاش والحوار. أيها الإخوة أنتم في جوار أحب حبيب لا يؤمن الإنسان حتى يكون أحب إليه من نفسه من والده وولده وعلى هذه الأرض الطيبة وقبل أربعة عشر قرناً وجد أنبل شعب استحق أن يصفه الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ، هذا الشعب النبيل برأه الله من الشوفينية البغيضة التي نرى مع الأسف إعلامنا ينفخ فيها حتى أصبحت شيئاً وأمرًا مسلمًا به فلنا قدوة بهذا الشعب الكريم. وما دمنا على هذه الأرض الطيبة فلنتذكر هذا الشعب الذي كانت سمته المحبة، محبة الناس استحق هذا الشعب أن يقسم النبي e أنه تحبه. هذه الأرض الطيبة أيضاً ليست بشعبها وإنما بجماها كان النبي e يقول: «اللهم حبب إلينا المدينة» وأجاب الله دعاءه وكان إذا قفل من غزوة أو من سفر وأقبل على المدينة ورآها أسرع الخطى وأسرع إليها وقال: «أحد جبل يحبنا ونحبه» فهذه الأرض الطيبة هي أرض المحبة ولهذا نتوقع إن شاء الله أن يكون الجو السائد في هذا الملتقى الكريم أن يكون جو المحبة. عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كُنَّا معشر قريش نَغْلِبُ نِسَاءَنَا فَلَمَّا جِئْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ وَجَدْنَا الْأَنْصَارَ تَغْلِبُهُمْ

نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من أدب نساء الأنصار» إن الأرض تطبع أهلها بطابعها إن كان هذا الأمر صحيحاً فأخشى أن يكون المشتركون واقفين على أرض غير محايدة، ولهذا أتوجه للأخوات المشاركات بهذا الرجاء: يا أنجسه رفقاً بالمشاركين، والسلام عليكم ورحمة الله.

اللقاء الوطني الرابع للحوار الفكري (قضايا الشباب) كلمة الشيخ صالح الحصين



إضاءة: في افتتاحه لهذا اللقاء تحدث الشيخ صالح الحصين رئيس رئاسة شؤون الحرمين والرئيس السابق لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني عن دور الشباب بوصفهم أحد أهم الموارد البشرية للوطن، وثروة أخرى في موازاة الثروة النفطية الطبيعية، وعن أهمية هذه الفئة العمرية للمجتمع والدولة، ولاسيما وأن أغلب الشعب السعودي هم من فئة الشباب. وعبر مقارنة سريعة بين الواقع والتاريخ من خلال مستوى التعليم لدى السعوديين في منسوبي شركة أرامكو كشف الشيخ صالح عن انتشار التعليم السريع خلال ٢٠ عاما كما تعرض لدور الشباب السعودي في مقاومة الرفاهية أثناء الطفرة، عندما استجاب لداعي الجهاد ونفض عنه آثار الترف. واليوم إذ يواجه الشباب مشكلات البطالة ومخرجات التعليم يؤكد الشيخ صالح ثقته في هذا الشباب لتجاوز هذه المشكلة. وفي الختام يوضح الشيخ صالح أهمية الحوار، وطبيعته، وآدابه، ودوره الطبيعي في تأسيس القناعات المشتركة بين الشباب، ومنبها إلى ضرورة تغليب العقل على العاطفة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. الحمد لله رب العالمين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك وخليك سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوك وعدوهم، واجعلهم شاكرين نعمتك، مثنين بها عليك، قابليها منك، وأتممها عليهم يا أرحم الراحمين.

أيها الإخوة والأخوات: في البدء، أبدأ بالترحيب بكم جميعاً، وأشكركم على مشاركتكم بهذا اللقاء، وأدعو الله لكم بالتوفيق، والتسديد، والهداية إلى القول الطيب والعمل الصالح، وأخص بالترحيب الشباب بأية من كتاب الله، وأثر من السنة، قال الله تعالى في وصف المهتدين: ﴿لأنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ (الكهف: ١٢)، وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه كان يستشير الشباب، يريد حدة أذهانهم.

أيها الإخوة والأخوات: تُظهر الإحصاءات أن أقل من ١٨٪ من المواطنين جاوزوا سن الشباب، هذا يعني أن بلادنا تعيش في بيئة الشباب، والشباب حيوية، وتجدد وقدرة على التواكب مع التغير السريع الذي هو سمة هذا العصر، نحن لا نشكو من ندرة الموارد البشرية، عندنا موارد بشرية كافية ليس كما فقط، وإنما أيضاً كيفاً، ويمكن التديل على أن نوعية الموارد البشرية لا تقل عن أي موارد بشرية أخرى، تجربتان مررنا بهما في مسيرة تاريخنا الحديث قبل ستين سنة، عندما بدأت شركة أرامكو في هذه المنطقة أعمالها، وبلغت ذروة تشغيلها في بناء البنية الأساسية في عام ١٣٧٠هـ، جاءت بفرص عمل كثيرة، لكن هذه الفرص كانت لها متطلبات تقنية غريبة عن بلادنا فكان من الطبيعي أن تعتمد على العمالة الأجنبية،

وبخاصة من القارة الهندية، وجاء شباب المملكة من كل أنحاء المملكة، من كل قبيلة ومن كل منطقة، ومن كل مدينة، من البادية والحاضرة، ومن كل الفئات، للمشاركة في فرص هذه الأعمال، ولكنهم فوجئوا بأنهم يدخلون ميداناً فيه منافسة غير متكافئة؛ ففرص العمل لها متطلبات تقنية غريبة عن البلد، والذين ينافسونهم لديهم التعليم والتدريب، أما شباب المملكة، فكان تعليمهم نادراً، وكانت الأمية غالبية في طالبي هذه الفرص، ولم يكن هناك محفزات خارجية تعينهم على ذلك، ومع ذلك في خلال عشرين سنة ١٢٧٠ إلى ١٣٩٠ هـ بلغت نسبة المواطنين السعوديين في موظفي شركة أرامكو أكثر من ٩٠٪، وهذا له دلالة على قوة الإرادة والاستعداد للتواكب مع الظروف والمتغيرات، هناك مثل آخر: قبل ربع قرن، كان الترف قد مس كثيراً من شباب هذا الوطن، والترف مرض، والأمراض لا تفرق بين شخص وشخص، وكان التخوف من أن يكون هذا المرض، وقد ظهرت أعراضه على الشباب من العجز، والكسل، وضعف الإرادة، أن يكون قد بلغ منهم مبلغه المعتاد بالنسبة إلى البشر، ولكن الأيام كذبت هذه الظنون، فما إن دعا داعي الجهاد في ذلك الوقت حتى استجاب له شباب هذه الأمة من كل منطقة ومن كل قبيلة، ومن كل فئة وطيف من الأطياف، استجابوا له بهمة الرجولة، ونخوة الفتوة، ونبل البطولة، وأظهروا في جهادهم همة عالية، وثباتاً وصبراً، وقدرة، وعزيمة وثبات أقدام، ورباطة جأش، لسوء الحظ أننا انشغلنا ببعض الظواهر الشاذة، فأعشت أعيننا أن تبصر هذه الدلالات التي ظهرت من هؤلاء الشباب، وهي دلالات تدل على قوة كامنة ورائعة في شبابنا؛ فهذان المثالان يدلان على أن مواردنا البشرية بوفرتهما الكمية، هي أيضاً تتسم بالوفرة النوعية، فالوفرة كما وكيفاً، لكن رجل الاقتصاد لا يهتم بوفرة الموارد وتعبئة الموارد فقط، ولكن يهتم أيضاً بالاستخدام الأمثل لها، أي: حسن استخدامها، فكما ينطبق هذا القانون



على الموارد المالية ينطبق أيضاً على الموارد البشرية، وهذا ينبهنا إلى أهمية التفكير الجاد في الاستخدام الأمثل لهذه الموارد البشرية، التي حبانها الله بها، كما أننا مررنا بتجربة أظهرت نجاحاتنا بالنسبة إلى الموارد البشرية والمادية، كما أننا أيضاً استفدنا من مواردنا، لكننا نلاحظ قبل ثلاثين سنة وجد فيض من الأموال في بلادنا، حتى سمي بحق "الطفرة" ولاشك أن المجتمع السعودي استفاد من هذه الوفرة في الموارد المالية، ولاشك أيضاً أنه تمت بها إنجازات كبيرة، ولكن لاشك أيضاً أن المجتمع السعودي أخفق في بعض الأحيان في الاستفادة من هذه الموارد، آية هذا الإخفاق أننا الآن نواجه مشكلة الفقر، ونواجه مشكلة البطالة، ولو أمكن الاستخدام الأمثل لمواردنا المالية، ربما لم نكن نواجه التعقيد والصعوبة نفسيهما، وكل هذا يدل ويظهر أن المهمة الكبيرة التي نتحملها، ونتحمل المسؤولية عنها، هي كيفية الوصول إلى القدرة إلى الاستخدام الأمثل لمواردنا البشرية والمادية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتغيير طريقة التفكير بأن نجعل العقل دائماً حاكماً على العاطفة، ولا نجعله مقوداً للعاطفة، نتعود التفكير العقلاني، ولا ننساق وراء الشعارات السطحية، والتفريق بين الخيال والواقع، لعل الحوار يسهم في وصولنا إلى هذه المبتغى، ويهيئ للمجتمع السعودي التعود على التفكير العقلاني، التفكير الشمولي الذي من دونه لا نستطيع أن نواجه مشكلاتنا، ولا نستطيع أن نصل إلى حلول لها.

أيها الإخوة: تعودنا في كلمة الافتتاح التذكير بمنهجية الحوار، أول قضية تعرض للذهن بالنسبة إلى الحوار، أن الحوار لا بد أن يكون له مرجعية؛ لئلا ينقلب إلى لغو من الحديث، ليكون الحوار منتجاً وبناءً، لا بد من أن يكون له مرجعية، والحمد لله، نحن لن نبحث عن المرجعية هنا أو هناك، فتهدينا لها البداهة، فحقيقة أن كل المواطنين والمقيمين

إقامة دائمة في هذا البلد الكريم مسلمون، والمسلم يقبل أن يكون الإسلام منهجه الكامل والشامل للحياة، والإسلام مرجعه الحقيقي في صفائه ونقاؤه الوحي: الكتاب والسنة، فمرجعية هذا الحوار يجب أن تكون الكتاب والسنة، والحرية في الاجتهاد فيما وراء ذلك. الحرية المضبوطة بالإخلاص، وبالعلم، وعدم التحيز. فأسلافنا -رحمهم الله- كانوا دائماً في حديثهم عن آداب الحوار وفي غيره، وفي رسمهم لمناهج التفكير، يصرون ويؤكدون على عنصرين مهمين هما: أن يبذل الإنسان ما في وسعه للوصول إلى الحقيقة، ثم العلم، فلا يبني على الظن أو الشائعة أو الأوهام، ثم بعد ذلك عدم التحيز والموضوعية، وآيات القرآن في ذلك كثيرة ربما تبلغ أكثر من ٣٠٠ آية تتناول هذه القضية، ومن الآداب التي التزم بها بقدره فائقة المشاركون في اللقاءات الأخرى، هي حملة من الآداب لخصها الإخوان من الالتزام بالموضوعية، وعدم التعميم في الأحكام، واحترام ما يطرحه الآخرون من رؤى، وعدم المقاطعة، وعدم التعرض لذوات الأشخاص، أو لما ينتسبون إليه من قبائل أو مناطق أو فئات، واختصار الأفكار ووضوح العرض، والتركيز على الفكرة المناسبة، وأن يكون التعقيب والحوار ضمن موضوع الجلسة فقط، ولا يخرج عنها، واستشعار الإخلاص، والصدق، والتوافق الفكري، سوف يعرض فيلم يوضح إجراءات ورش العمل التي يبني على نتائجها حوار اليوم، ولست بحاجة إلى استعراض هذه الإجراءات فهذا الفيلم سوف يكون أوضح في التعبير عن ذلك.

في الختام أشكر الإخوة والأخوات المشاركين، وأدعو الله أن يوفقهم، ويسددهم للقول الطيب والعمل الصالح، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



اللقاء الوطني الخامس (نحن والآخر: رؤية وطنية للتعامل مع الثقافات العالمية) كلمة الشيخ صالح الحصين



إضاءة: في افتتاحه لهذا اللقاء تحدث الشيخ صالح الحصين رئيس رئاسة شؤون الحرمين والرئيس السابق لمركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، رحمه الله، عن مفهوم التمييز العنصري من خلال قراءة مقارنة، بين تشريعات الشعوب الغربية المتأخرة، وبين تشريع الإسلام، منوها في الوقت ذاته بأن التشريع لا يعني اختفاء الممارسة بقدر ما يعني إدانتها ومحاكمتها. كما تناول مفهوم الآخر بمعنى وطني، بحيث جعل الآخر هم غير السعوديين من الأشقاء العرب، وبقية البشر في الأخوة الانسانية. مؤكدا في الوقت نفسه أن المملكة العربية بحدودها الراهنة كانت ولاتزال بإجماع المسلمين ديارا خالصة للمسلمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم،
والحمد لله رب العالمين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك
وخليتك سيدنا محمد وآله وصحبه.

أبدأ هذه الكلمة بالترحيب بالإخوة والأخوات، وأشكرهم جميعاً
على إجابة الدعوة في هذا الملتقى، أرجو أن يكون لقاء مباركاً واجتماعاً

مرحوماً، كان هدف المركز من هذا اللقاء محاولة الوصول إلى صياغة رؤية وطنية للتعامل مع الآخر، قد وضعنا في البيان الذي نشر إعلاناً باللقاء بالمقصود من نحن والآخر: فنحن مقصود بها المواطنون في المملكة العربية السعودية، والآخر هو غيرهم، يشمل أشقاءنا العرب والمسلمين، وإخوتنا في الإنسانية، كان الهدف محاولة الوصول إلى صياغة مقترحة، لرؤية وطنية ستعرض على الرأي العام، وذلك تمهيداً لإيجاد تصور عام واحد للمملكة العربية السعودية، يحدد علاقتها بغيرها، عقدت ثلاثة عشر لقاء في مناطق المملكة المختلفة، لقاءات تمهيدية لمحاولة الوصول إلى أفكار تبني عليها هذه الصياغة المقترحة، كان هناك قاسم فكري مشترك بين كل هذه اللقاءات الثلاثة عشر، وهي أن رؤيتنا الوطنية مقومها الأساسي أنها رؤية واقعية وإنسانية، واقعية بمعنى أنها تأخذ معطيات الواقع كلها، وإنسانية بمعنى أنها في لبها وروحها وماء الحياة فيها، الاعتبار الإنسانية والالتزام الأخلاقي، هناك حقائق أحب أن أذكر بها، كثير منها كان من الأفكار التي وصل إليها الإخوان في اللقاءات السابقة، ولا شك أن لهذه الحقائق اعتبارها في صياغة الرؤية الوطنية للتعامل مع غيرنا، أول هذه الحقائق: المواطنون كلهم مسلمون بمقتضى ذلك أنهم كلهم يسلمون بأن الإسلام منهج شامل وكامل للحياة، وأنه يحكم علاقتنا مع الآخر، وعلماء الإسلام رحمهم الله، حينما كانوا يحاولون أن يختصروا أو يلخصوا تعريف الإسلام في عبارة واحدة، كانوا يقولون مثل ما قال ابن تيمية: الإسلام كله يدور حول الإخلاص للحق ورحمة الخلق، وهذا شيء طبيعي، لأن الله سبحانه وتعالى قال: وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين، الإسلام رسالته أن يكون رحمة للعالمين، من مظاهر هذه الرحمة أنه وضع حدًا أدنى لعلاقة المسلم بغيره، هذا الحد هو العدل، فالعدل مثل ما كان يقول علماؤنا رحمهم الله، مطلوب من كل أحد لكل أحد في كل حال، يعني

مع الصديق والعدو والمسالم والمحارب، حتى العدو في ساحة المعركة لا خيار للمسلم في ألا يعامله بغير العدل، فالعدل هو الحد الأدنى لعلاقة المسلم بغيره، من وراء ذلك علاقة المسلم بالمسالم وإن كان على غير دينه البر والإحسان والتعاون، وهذا بنصوص القرآن الصريحة: لا ينهاكم الله عن الذين لا يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، فيما وراء ذلك بالنسبة لعلاقة المسلم بالمسلم، فهي فوق ذلك علاقة ولاء، ترتفع عن علاقته مع غيره بالتزامه بالولاء للمسلم، وهذا ما يسلم به كل المسلمون، ونحن نرى أمة الإسلام وطوال أربعة عشر قرناً، وبالرغم من وجود كيانات سياسية مختلفة ومتعددة لكن كان دائماً شعور الأمة شعوراً واحداً يشتركون في آلامهم وآمالهم وأفراحهم وأتراحهم، ويهتمون بقضاياهم اهتماماً متساوياً، وحتى في هذا العصر كما نراه وكما تثبت الأحداث في ولاء المسلمين بعضهم ببعض، وعلاقتهم المتميزة ببعضهم، عندما يجري الحديث عن العلاقة بين المسلم وغيره، يرد إلى الذهن تصور الإنسان عن غيره، لأنه بناء على هذا التصور سيبنى علاقته معه، في عام ١٩٦٤م، أي قبل ٤٠ سنة صدر في الولايات المتحدة الأمريكية قانون إلغاء التمييز العنصري، وبعد ذلك صدر قانون إلغاء قانون التمييز العنصري في روديسيا الشمالية، وفي جنوب إفريقيا، فأصبح العالم كله يعترف قانونياً بإلغاء التمييز العنصري، نحن نعرف أن الإسلام قرر هذا المبدأ قبل أربعة عشر قرناً في آية الحجرات: ”يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا“، وفي خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع التي قرر فيها المبادئ المهمة للإسلام، لا شك أن تقرير المبدأ لا يعني اختفاء التمييز العنصري ويكفي أن نقرأ تقرير جمعية هلسنكي العالمية لحقوق الإنسان الصادر في هذا العام، لنرى الفرق بين المثال والحقيقة، لكن مما يعترف به العالم أن الإسلام حتى في

عصور انهيار المسلمين الحضاري، الإسلام لا ينهار ولكن المسلمين قد ينهارون بالتخلي عن الإسلام، كان هذا المبدأ يطبق ويعترف به ويمارس كما لم يمارس في أي حضارة أخرى، في علاقة الإنسان بغيره في كثير من الأحيان الأمور التي تتصل بالعاطفة أو التي تتصل بالأيدولوجية هي التي يكون لها دور مهم في هذه العلاقة ولعل أهم مظهر لذلك هو مدى ما تعطيه الحضارة للحرية الدينية، قبل ثلاثة قرون ونصف أي في عام ١٦٤٩م أصدرت إحدى الولايات الأمريكية ولاية ميريلاوند قانون حرية الدين وممارسة العبادة، بالرغم من أن هذا القانون كان محصوراً في عقيدة تثليث لكنه كان رائداً بالنسبة للغرب في إيجاد هذه القيمة، قيمة الحرية، حرية الاعتقاد حرية الدين، حرية ممارسة العبادة، بعد حوالي قرن ونصف صدرت وثيقة حقوق الإنسان، وقرر هذا المبدأ قيمة حضارية، قيمة يعترف بها الغرب، ويعترف بها العالم، وإن كانت الممارسة في بعض الأحيان تكون مخالفة للحقيقة، لكنها كانت تطوراً حقيقياً في طريق الوصول إلى ترسيخ هذه القيمة والاعتراف بها قيمة حضارية، ومن الدلائل على تطور هذه القيمة في التفكير البشري أنه في القرن السادس عشر، صدر قانون في أسبانيا يمنع المرأة المسلمة من ارتداء الحجاب، وفي ذلك الوقت لم يرتفع صوت بالاعتراض على هذا القانون، وفي هذا القرن عندما صدرت قوانين في بعض الدول تحدد حرية المسلمة في ارتداء الحجاب، رأينا كيف ارتفعت الأصوات من الشرق والغرب بالاعتراض على هذه القوانين، وعدها منتهكة لهذه القيمة من القيم الكونية، بالنسبة للإسلام نعرف أنه من البداية قرر هذا المبدأ، ربما كان هذا المبدأ هو الذي لازم تاريخ المسلمين في كل العصور والأقطار، فكانت الأقليات غير المسلمة تحت السلطان السياسي للمسلمين كانت تمنح الحق في أن يكون لها قوانينها الخاصة، وأن يكون لها قضاؤها الخاص، وأن تستثنى من القانون الجنائي



العام، بمعيار أن كل فعل يعد في القانون العام جريمة ولكن لا يعد في ثقافة هذه الأقلية جريمة، فإنه لا يعد جريمة في حقها، وفرضت الحرية الدينية فكان كل هذه الأقليات تمارس عبادتها، وتمارس حريتها الدينية على أوسع نطاق، كان هذا في كل العصور، وفي كل الأقطار، وعندما تحدث مخالفات ينهض الضمير الإسلامي بالاعتراض والإنكار، هذه حقيقة من حقائق التاريخ التي يشهد بها كل المؤرخين سواء من المسلمين ومن غير المسلمين، كما ذكرت التزم بها المسلمون في كل عصورهم، سواء عصور نهضتهم وعزهم، أو في عصور انحطاطهم وتخلفهم، استثنى من هذا بقعة معينة وهي حسب تعبير الفقهاء مكة المكرمة ومخالفها، والمدينة المنورة ومخالفها، واليمامة ومخالفها، أي تقريباً أرض المملكة العربية السعودية الحالية، فتقرر ألا يوجد فيها وجود دائم لغير الإسلام، قد يوجد وجوداً مؤقتاً، ولكن الوجود الدائم سواء للعبادة أو للمواطنة، تقرر في كل العصور استثناء هذا، هذا الاستثناء يقرر القاعدة ولا يناقضها، فمما تميزت به الحضارة الإسلامية هو عدم التمييز العنصري، وبقدر ما كان المسلمون يلتزمون بالإسلام كانت هذه تطبق بأدق تطبيق، لا أريد أن أطيل وأترككم للحوار، وأنا واثق أن الأفكار التي ستصلون إليها إن شاء الله، ستشكل صياغة رؤية وطنية مقترحة تعرض على الرأي العام، ولا شك أننا سوف نصل إلى نتائج من الأفكار التي تكون أساساً وقاعدة في صياغة هذه الرؤية الوطنية، أشركم مرة ثانية، وأرحب بكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

اللقاء الوطني السادس للحوار الفكري التعليم: الواقع وسبل التطوير كلمة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين



إضاءة: افتتح الشيخ صالح الحصين رحمه الله هذه الجلسة مستخدماً أسلوباً جديداً في مداولات فاعليات الحوار بالمركز يقضي بالجمع بين فئتين من المجتمع في مجال واحد وهو هنا مجال التعليم، بحيث يكون الحوار تفاعلي مهمته تدوير زوايا النظر في قضايا التعليم من محورين مختلفين تكون نتيجة الحوار فيه بينهما ثمرة عامة لمجال التعليم وفائدة لطرفي الخدمة التعليمية. ولقد أشار الشيخ صالح، إلى قضية المنهج التعليمي ومدى حاجته إلى التوحد أو الثنائية، كما أشار إلى قضية تعليم اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية والسجل حولها، داعياً في الختام إلى إدارة الحوار بروح تعاونية تشاركية لندية تنافسية، بحيث يكون الهدف واحد وهو تطوير العملية التعليمية. وفي الختام أبان عن الوظيفة الحيادية للمركز في إدارة الحوار وذلك لضمان مناخ أكثر لحرية الحوار.

بسم الله الرحمن الرحيم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،
الحمد لله رب العالمين، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك
وخليتك، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أبدأ بالترحيب بالإخوة جميعاً المشاركين والمشاركات، وأشكرهم

جميعاً على إجابة دعوة مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، لهذا اللقاء الذي أرجو أن يكون لقاءً مباركاً، كما لا بد أن تكونوا لاحظتم جميعاً التغيير في آلية الحوار، فكما لاحظت في اللقاءات الخمسة السابقة، كان اللقاء الحواري، على اختيار موضوع معين، وتتم حوله المناقشة، والحوار، بدءاً من هذه السنة، ففي اللقاءات الثلاث عشر الماضية وفي هذا اللقاء، تبدأ الحلقة الأولى من سلسلة من اللقاءات الحوارية، تتم بين مؤسسات الخدمة العامة والمجتمع، أي بين مقدمي الخدمة وملتقيها، بلغة أخرى بين منسوبي المؤسسة الخدمية وممثلين للمجتمع، وذلك للنقاش حول تطلعات واهتمامات وتوقعات المجتمع لمؤسسة الخدمة العامة من جانب، ومن جانب آخر، الظروف التي تقدم فيها الخدمة، ومحددات هذه الخدمة، قد اختير أن يكون أول حلقة اختيار مؤسسة التعليم، وفي جلسات هذا اليوم يُحاور حول التعليم العام، عندما نتكلم عن مقدمي الخدمة، وملتقي الخدمة، ينصرف الذهن إلى نوعين من هذا التقابل، هناك خدمة تُتجز عن طريق المشاركة بين مقدمي الخدمة وملتقيها، ونوع عن طريق المعاوضة، مثل ما يكون بين البائع والمشتري، فمقدم الخدمة في النوع الأخير يعاوض على خدمته من قبل متلقي الخدمة، يقدم له الخدمة ويأخذ عوضها، من الطبيعي أن يكون هناك نوع من التعارض بين المصالح، لأن مقدم الخدمة، يفضل أن يقل عليه العبء ويزيد عائده من تقديم الخدمة، وملتقي الخدمة، يحرص على أن يتلقى الخدمة بعوض عادل، فيما يتعلق بالنوع الأول، طبعاً من التقابل بين الخدمة المقدمة والخدمة المتلقاة، لا توجد هذه المعارضة، بينما يحكم موضوع المشاركة، التعاون، من هذا الباب، موضوعنا في هذه الجلسة، فالموضوع ليس فقط، ينفي فيه التنافس أو الندية بسبب أن مقدمي الخدمة هم أنفسهم أيضاً متلقين للخدمة، فاهتماماتهم بها كاهتمامات أي فرد في المجتمع، بل لأن هذه الخدمة كما ذكرت، المصلحة



فيها مشتركة، يحكمها المشاركة والتعاون، ولا تحكمها المنافسة والندية، أو المعاوضة، فالمصالح فيها متفقة، المصلحة الواحدة هي تطوير التعليم وتميمته ليحقق الأهداف المطلوبة منه، معنى هذا أن من المتوقع ألا تكون جلسة للمحاسبة أو الاستجواب من ناحية أو للتبرير والدفاع من ناحية أخرى، الحوار سيناقش الموضوع من مهتمين به من الجانبين، ومهتمين به على قدر واحد من الحرص، في اللقاءات السابقة الثلاث عشر، لاحظنا أنه كثيراً ما يتكرر في الحوار النقاشات التي في الصحف وفي الندوات وفي المجالس، ولا بأس بأن تتكرر هذه النقاشات والحوارات، ولكن يا حبذا لو ركز على موضوعات معينة، موضوعات يتناولها عاملان متعارضان في الظاهر، أي يكون الهدف متفق عليه، ولكن هناك عاملين متعارضين يحكمان الموضوع، علي سبيل المثال هناك قضية صفة المنهج: هل يكون واحداً أو يكون متنوعاً؟ هل يكون متنوعاً كما هو المنهج التقليدي الذي مشينا علي، مثلاً علمي: وأدبي أو شرعي، بما يتعلق بالمرحلة الثانوية، أو أن يكون منهج واحد لكل الطلبة حتى نهاية المرحلة الثانوية، هذه قضية مثل ما نرى فيها عاملان متعارضان، الشيء نفسه، تدريس اللغة الإنجليزية في المرحلة الابتدائية، نواجه عاملين الهدف متفق عليه ومعروف أن تعلم اللغة بالنسبة للطالب، يعد قدرة إضافية، وقدرة مطلوبة ومرغوبة، وقد تكون ضرورية في هذا الوقت الحاضر، فهذا أمر متفق عليه، لكن بما يتعلق بالوسيلة، عاملان متعارضان، أي تكون حجج متعارضة، ففي الجانب الأول تكون حجة عاطفية على أساس أن الناس يرغبون في تعليم أولادهم في وقت مبكر اللغة الأجنبية، اللغة الانجليزية في موضوعنا هنا، والدليل عليه أن المدارس التجارية تحرص على تضمين هذا في المنهج اعتقاداً منها أن هذا سوف يكون عامل جذب، بمعنى أن الناس يرغبون في هذا، هنا من المفروض الاستجابة تكون للعاطفة التي لدى المواطنين، وتحقيق

رغبتهم، الناحية الموضوعية، فمثل ما نعرف أن اللغة تُتعود لا تتعلم، أي لا بد أن يتعود الإنسان عليها، اللسان يعتاد على التحدث بها، والأذن تعتاد على السماع، والدماع يعتاد على ربط اللفظ بالمعنى مباشرة ودون وساطة، العامل المقابل أيضاً عامل عاطفي وعامل موضوعي، العاطفي أن تكون الحجة أن من المفروض أن نحرص على ما هو أنفع للناس، وليس ما هو أكثر تحقيقاً لرغبتهم، والتي قد لا تكون الرغبة التي تحقق مصالحتهم، وهي مصلحة الوطن، فننظر لهذا من ناحية الكلفة التي تتحملها المؤسسة، وأقصد بالكلفة التي تتضمن الجهد والوقت والمال، تدريب المعلمين، يكون المعلمون ملائمين، ووافين للحاجة، لا بد أنه يحتاج لجهود ووقت وتكلفة كبيرة، قد لا تساوي المخرجات والنواتج منها، هذه الناحية العاطفية، تقول الحجة الأخرى، أننا تعودنا في كل السنوات الماضية، أن ندرس في المتوسط والثانوي، وفي النهاية الواقع أن الطالب أو الطالبة بعد أن يتحمل عبئاً كبيراً أثناء الدراسة، وفي النهاية الحصيلة محدودة قد لا تفيد في تحقيق الهدف المطلوب، فأنفع من هذا أن تكون دراسة مكثفة مثل: دورات أو كورسات مكثفة لتضمن أن يصرف أكثر الوقت في تعليم اللغة في هذه الدورات، فيتحقق تعود اللغة مع تعليمها، مثل ما نرى؛ عاملان متعارضان وحجج متعارضة، فلا شك في أن الحوار إذا ركز على مثل هذه القضايا، ومثل ما نعرف دائماً القضايا ترى من زوايا مختلفة، وفائدة الحوار أنه يتيح الفرصة إلى الإحاطة بهذه الزوايا، وكما يقول التعبير الإنجليزي: (الحقيقة لها جوانب كثيرة) true has many sides الحوار يتيح الفرصة للاطلاع على الزوايا المتنوعة والجوانب المختلفة للموضوع ليتمكن الوصول إلى الحقيقة.

على كل حال، مثل ما تعرفون الذي يدير الحوار يلتزم دائماً بالحياد التام، فلا يسمح لنفسه بأن يوجه الحوار، بل ولا أن يعلق ولا أن يكون

له رأي، سواء كان الذي يسمعه مقبولاً لديه أو غير مقبول، فالحياد لي ولزملائي الذين سنتولى هذا الحوار، يوجب ألا يكون لنا رأي، وكما ذكرت هذا الموضوع لا أقصد منه تحديد الموضوعات التي يتناولها الحوار، فالمناقشين لهم كامل الحرية في اختيار الموضوعات التي يحبون أن يتكلموا فيها.

أدعو الله أن يجعلنا من الذين وصفوا بقوله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ الحج: ٢٤.

وعلى بركة الله، وفي النهاية أكرر شكري وترحيبي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

اللقاء الوطني السابع للحوار الفكري مجالات العمل والتوظيف: حوار بين المجتمع ومؤسسات العمل كلمة الشيخ صالح بن عبد الرحمن الحصين



إضاءة: قدم الشيخ الحصين رحمه الله في هذه الكلمة الافتتاحية للقاء الوطني السابع والذي كان موضوعه عن الحوار بين المجتمع ومؤسسات العمل في مجالات العمل والتوظيف ملاحظات مهمة في هذا الملف؛ بداية من مشكلة القلق الدولي العام من مشكلة التشغيل والتوظيف، ثم تحدث عن التفرد الخاص للمملكة في هذا المجال، حيث فرص العمل فيها أضعاف فرص الطلب نتيجة لهجرة العمالة المكثفة. وبالرغم من الإقرار بعالمية مشكلة التشغيل إلا أن حلولها طرحت خيارات متقابلة، وأحيانا متناقضة بين دور التنمية ودور تدخل الدولة. ودعا الشيخ إلى أن الحالة الخاصة لوضع المملكة حيال هذه المشكلة تقتضي حلا خاصا ونابعا من طبيعة مشكلاتها. كما تطرق الشيخ صالح إلى عمل المرأة وأبان أن الخلاف ليس في عمل المرأة بل في عملها خارج منزلها، وما إذا كان ذلك حاجة أم اختيارا. طارحا كل تلك القضايا للنقاش بين المتحاورين.

الحمد لله رب العالمين الحمد لله رب العالمين، اللهم صلي وسلم

وبارك على عبدك ورسولك وخليلك، سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه.
نرحب بالإخوة والأخوات المشاركين والمشاركات في هذا اللقاء،
وأشكرهم على الاستجابة لدعوة المركز للمشاركة في هذا اللقاء الرئيس
لحلقة اللقاءات التي عقدت لهذه الدورة، وهي الدورة السابعة، وموضوعها:
مجالات العمل، ولا شك في أن مشكلة التشغيل ربما كانت هي القاسم
المشترك بين كل بلدان العالم، فكل بلدان العالم تهتم أشد الاهتمام بهذه
المشكلة، سواء في ذلك الدول الصناعية أو الدول الأخرى، سبق هذا اللقاء
الرئيس، لقاءات خمسة تحضيرية، نتأجها وما دار فيها بين أيديكم، ولا
يمكن تقادي تكرار وترديد بعض الآراء، ولكني مقتنع أننا سنسمع في هذا
اللقاء الرئيس الجديد مما يثري الموضوع ويهدي إن شاء الله إلى سبيل
أقوم في مواجهة هذه المشكلة التي تؤرق مثل ما ذكرت كل بلدان العالم.

لا شك في أن مشكلة التشغيل هي من المشكلات الاقتصادية،
وتخضع لقوانين الاقتصاد، ويحكمها قانون العرض والطلب، فالإشكال
الذي يواجه البلدان المختلفة، كيف يوازن بين العرض والطلب في هذا
المجال، المملكة العربية السعودية، وطننا الحبيب، تنفرد في مواجهة هذه
المشكلة - ربما لا يشركها فيه غيره - الإشكال بالنسبة للبلدان الأخرى
هو مثل ما ذكرت كيف ترفع حجم عرض العمل ليواجه الطلب؟ ما يتعلق
للمملكة وهي بلد مستورد للعمالة، وعرض فرص العمل فيه أضعاف الطلب،
ولهذا فإن لها فرادة في مواجهة ومعالجة هذه المشكلة، هذه الفرادة تتطلب
حلولاً وأفكاراً ربما تختلف عن غيرها، هنا يثور السؤال: هل بالإمكان أن
نستعير أو نستورد الأفكار والحلول التي تقدمها البلدان الأخرى لهذه
المشكلة، مع وجود هذه الانفرادية في مواجهة المملكة لهذه المشكلة، هذه
المشكلة مثل ما نعرف، تواجه باتجاهات متقابلة في العالم، وهي اتجاهات

في بعض الأحيان متناقضة، فعلى سبيل المثال: هنا اتجاه يرى التركيز في حل هذه المشكلة على أساس النمو الاقتصادي كشرط أساسي لخلق فرص العمل، ومن ثم زيادة حجم العرض ليواجه الطلب، في مقابل هذا الاتجاه، اتجاه يركز في حل هذه المشكلة على السلطة والقانون، فالإشكال أن هذين الاتجاهين متقابلان وفي الوقت نفسه قد يكونا متناقضين، لأن التركيز على السلطة والقانون في حل هذه المشكلة يعني التركيز على نفاذ القيود على الاستثمار، وتقييد الاستثمار لاشك في أنه يؤثر على النمو الاقتصادي، ومن ناحية أخرى، اتجاه يرى أن مسؤولية حصول المواطن على الوظيفة تقع بالدرجة الأولى على الدولة وعلى المجتمع، يقابل الاتجاه الآخر الذي يرى أن المواطن نفسه عليه مسؤولية في الحصول على العمل، يعتمد على مبادرته وعلى إرادته، وعلى صبره وكفاحه في هذا السبيل، من ناحية ثالثة مثلاً: عمل المرأة، له اتجاهات متقابلة، والمقصود بعمل المرأة ليس مضغة عمل المرأة، دائماً المرأة تعمل في كل العصور، وفي كل البلدان، والنبي ﷺ، قال: كلهم حارث وكلهم همام، فالمرأة دائماً عاملة، ولكن المقصود عندما تثار قضية عمل المرأة، هو عمل المرأة خارج المنزل، أي العمل المأجور، أن تعمل أجيرة تحت قوامة رب العمل الذي يمثله رجل أو امرأة، فنرى هنا أيضاً اتجاهين: الاتجاه الأول يرى أن عمل المرأة بهذا المفهوم، أي عمل المرأة أجيرة تحت قوامة رب العمل، أنها حاجة وليست اختيار، أي هي تضحية من المرأة، ويجب أن يراها المجتمع تضحية للمرأة، لأنها تتحمل بالإضافة إلى عملها الطبيعي كربة البيت، تتحمل عبئاً آخر، أو يكون عملها على حساب عملها الأساسي، يقابل هذا الاتجاه، اتجاه آخر، يرى أن عمل المرأة أجيرة خارج المنزل، هو اختيار، بمعنى أن الدافع إليه ليس فقط الحاجة، وإنما الدافع إليه هو تحقيق الذات، والاستقلال في الإرادة، والتخلص من التبعية للرجل،

وتحقيق شرط التقدم، كما وضع لينين، عندما قال قبل ٨٠ سنة: «المجتمع لا يتقدم مادام نصف أفراده في سجن المطبخ».

سوف تشارك هذه الموضوعات في هذا اللقاء، وبحكم فرادة المملكة في مواجهة هذه المشكلة، فلا بد أننا سوف نسمع الجديد، ليس الجديد بالنسبة للمملكة، وإنما الجديد بصفة مطلقة، في هذا اللقاء الرئيس، سوف يتولى إدارة الجلسات أصحاب المعالي مديرو الجامعات.

تجربتي في الحوار مع الآخر في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني

بقلم الشيخ الدكتور / صالح بن عبدالرحمن الحصين (رحمه الله)



إن نقد المملكة في: «عدم قبولها وجوداً دائماً دائماً لأفراد، أو مؤسسات، أو منشآت، لدين آخر يخالف الإسلام» نقد يتكرر في كل حين، وتثار مثل هذه الموضوعات من قبل الأمريكيين والأوروبيين وغيرهم في مواجهة السعوديين داخل المملكة وخارجها، ويجرّئهم على ذلك أن القضية، وإن كانت في جانب المملكة عادلة وعقلانية تستند إلى حجج قوية مثل الصلب قاطعة مثل مشرط الألماس، إلا أن المحامي مع الأسف ضعيف.

السعوديون عندما يُواجهون بمثل هذا النقد يشعرون بالحيرة والحرَج وضعف الحيلة، لأنهم يُسَلِّمون منذ البداية بأن هذا النقد منطقي، ومبرراته صحيحة، وقد يتذاكى بعضهم فيحاول الدفاع بأن: صفة المملكة في هذا مثل صفة الفاتيكان، الذي لا يُسمح فيه بوجود ديانة أخرى غير الكاثوليكية، أو أن هذا مقتضى القانون الداخلي للمملكة، وللمملكة كغيرها الحق في وضع قوانينها الخاصة، ويجب على الوافدين إليها احترامها.

وبسهولة يرد الآخرون: بأنهم لا يمانعون أن تعامل مكة والمدينة معاملة الفاتيكان باعتبارهما مكانين مقدسين، لكن الاعتراض يبقى وارداً على ما عداهما من أرض المملكة، أما مسألة القانون الوطني فالاعتراض أصلاً موجه إليه على أساس أنه قانون غير أخلاقي، ينتهك حقوق الإنسان، التي وافقت المملكة عليها، بصفتها عهداً دولياً.

في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ينذر أن لا يثير شخص

أو وفد من أمريكا أو أوروبا هذا الإشكال، ولكننا في المركز نسلك في الرد عليه مسلكاً مختلفاً، يتلخص في الآتي:

أولاً: ننتقل في المركز من: ثقة بالنفس، وثقة بعدالة وعقلانية قضيتنا، وبعد إحاطة بالواقع والعوامل المؤثرة في القضية، وطبيعة بنائها المنطقي، وما يحكمها من شأن معرفي.

ثانياً: ندرك أبعاد «الإطار الشامل»^(١) الذي تقع داخله القضية، ليس لدينا لبس في أننا في «حالة حرب أيديولوجية» موجهة من قبل الغرب، حرب أيديولوجية معلنة مكشوفة ضد الإسلام، وضد المملكة بخاصة، بحكم صلتها المميزة بالإسلام.

ثالثاً: لم يكن مركز الملك عبد العزيز من الغفلة بحيث لا يدرك الصلة بين الإطار الشامل المشار إليه - الحرب ضد الإسلام - وبين الهجوم الدعائي مثل موضوع البحث، فكما ذكرتُ نسلك تجاه موضوع البحث مسلكاً يختلف عن مسالك الآخرين، فمن البداية ننتقل من ثقة مبررة بالنفس، ومن وعي بالحقائق على أرض الواقع، ومن قدرة على الاستخدام الأمثل لهذه الحقائق.

من البداية نتحدى بشجاعة وحكمة، ونرفع أمام عيني الخصم مرآة صافية يرى فيها وجهه الحقيقي وليس الزائف، بعد أن نزيل الغشاوة عن عينيه فيرانا في صورتنا الحقيقية وليست الزائفة، وكل ذلك ضمن الأدب

(١) "الإطار الشامل" يمكن تلخيصه في: الحقيقة الواقعة المتمثلة في "الحرب على الإسلام" والتي تواترت تصريحات السياسيين والعسكريين ورجال الفكر الغربيين على التصريح بها منذ ما يزيد على عقدين، ويدعم ذلك الواقع التطبيقي والضغوطات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتشريعية، راجع مقالة الكاتب "الحرب الأيديولوجية" على سبيل الإشارة المختصرة



العالي للحوار، آخذين في الاعتبار لغة الخصم ونهج تفكيره، وعدم الحيدة شعرة عن استعمال المقاييس الموضوعية الدقيقة.

فمثلاً ندرك في المركز أن أنجح وسيلة لإخراس الخصم وفضح زيف تصوراته وأفكاره هو إبراز تناقضاتها إما من داخل الفكرة نفسها أو بينها وبين أفكاره الأخرى، وهي السياسة العقلية المنطقية.

رابعاً: من التطبيقات للسياسة المشار إليها آنفاً:

تعاملنا مع التقارير الأمريكية عن الحرية الدينية في المملكة، فقد دأبت الإدارة الأمريكية في تقاريرها، وكذلك اللجنة الأمريكية للحرريات الدينية في العالم على تأكيدات خاصة بالمملكة العربية السعودية بأنها ضمن الدول التي لها الأولوية في انتهاك الحرية الدينية، كما ذكر مثلا تقرير اللجنة الأمريكية «U. S. A Commission» (تقرير 2011، P. 8)، وحيث قال التقرير إن اللجنة الأمريكية تعتبرها مبعث قلق خاص (P. 141)، وإن الانتهاكات المنظمة والمنهجية والفضيحة للحرية الدينية لا تزال مستمرة في السعودية (P. 12)، وقد استمرت السعودية في ارتكاب مجموعة من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان كجزء من قمعها لحرية الدين والمعتقد شملت التعذيب والمعاملة الوحشية المهينة (P. 141)، ولا تزال تصر على حظر كافة أشكال التعبير الديني التي تخالف التوجه الحكومي الذي يفسر الدين طبقاً لإحدى المدارس السنية (P. 141)، بل وُصفت المملكة بأنه لا يوجد فيها حرية دينية مطلقاً (P. 147)، وأوصى التقرير الحكومة الأمريكية بالضغط على السعودية لتمتنع عن الإكراه في شأن الدين والمعتقد (P. 154).

في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني نواجه من العدو مثل هذه القذائف ولكن الأرض لا تهتز تحت أقدامنا، لأننا نعرف أن في قدرتنا

رد قذائف العدو إليه وهي أبلغ أثراً وأدق إصابة وإننا سنُري الخصم رأياً العين أنه إنما يرمي، من بيته الزجاجي، الأحجار على قلعة حصينة.

ففي البداية نواجه الخصم - الذي يتحدث عن جهل أو هوى- بأنه لا ينكر أن وصف سلوك (ما) بأنه ينتهك، بدون مبرر، الحرية الدينية يختلف بين سلوك يتفق العقلاء والأسوياء من البشر على وصفه كذلك، وسلوك يختلف فيه رأي الناس وفقاً لتنوع ثقافتهم، وبيئاتهم الاجتماعية، فلا يملك الخصم إلا الموافقة.

ثم نقول - والأصول تقضي بأن يتمحور الحوار حول مبدأ يتفق عليه المتحاوران ولا يختلف الأشخاص عليه - فلنؤسس حوارنا على أمر لا يختلف عليه الأسوياء من حيث اعتباره انتهاكاً للحرية الدينية وهو: «أن تجبر شخصاً على فعل أمر يحرمه دينه أو تمنعه من ممارسة واجب يوجبه دينه، أو تميز بين الأشخاص أو المجموعات في الحقوق والرخص العامة بسبب الاختلاف في الدين»، فلا يملك إلا الموافقة.

ثم نتحدها بأن يذكر حالة واحدة في أي وقت أو مكان أجبرت فيها السعودية مسلماً أو غير مسلم على فعل أمر يحرمه دينه أو منعه من فعل أمر يوجبه دينه فلا يحير جواباً، لأنه لا يوجد في الواقع شيء من ذلك.

ثم نتحدها بأن يذكر حالة واحدة في أي وقت أو مكان ميزت فيها القوانين أو الإجراءات أو حتى الممارسات المعتادة للبشر، في حق الوافدين إليها، بين الهندي المسلم والهندي الهندوسي أو بين الفلبيني المسيحي والفلبيني المسلم أو بين التايلندي البوذي والتايلندي المسلم أو الحالات المشابهة، وبالطبع لا يستطيع أن يذكر حالة واحدة لأن حالة مشابهة لم تقع فعلاً.

ثم نلتفت إلى الناحية المقابلة وإلى سلوك أمريكا والغرب فنذكره بأن أوروبا لم تمنع المسلمة، مواطنة أو وافدة، من وضع غطاء على رأسها يوجبه دينها ويسمى بالحجاب إلا في فترتين من الزمن في عهد محاكم التفتيش في إسبانيا، وفي القرن الواحد والعشرين في فرنسا بالقانون الذي أصدرته عام ٢٠٠٥م، وبالقوانين المماثلة في ثمان ولايات من ستة عشر ولاية في ألمانيا، ونذكره بالدعوات القائمة القوية إلى تطبيق ذلك في البلدان الأخرى، ويوشك أن يستجاب لها.

ثم نتلو عليه مما يلائم الموقف من الكم الكبير من اعترافات قمم النخبة في السياسة والفكر والمركز الاجتماعي في الولايات المتحدة، مثل شهادة الرئيس الأمريكي نيكسون في شأن التمييز بين مسلمين أوروبيين وجيرانهم المسيحيين الذين يتفوقون معهم في الجغرافيا والعرق وغالب طريقة العيش، وإنما يختلفون عنهم في الدين حيث يقول: «إنها حقيقة مرة ولكن لا يمكن إنكارها أنه لو كان سكان سراييفو يهوداً أو مسيحيين لما سمح العالم المتمدن بأن يصل الأمر إلى ما وصل إليه حينما قصف الصرب في ٥ نوفمبر السوق المكتظ بالجمهور»^(١).

أو الإجراءات التي تناقض روح العدل ومفهومه لدى الأسوياء من البشر التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية العقد الأخير من القرن المنصرم وأعني «الجريمة بالارتباط» *Guilt by Association*، و«الأدلة السرية» *Secret Evidences*، حيث طبقت حصراً على المسلمين في أمريكا عدا حالات نادرة مثل حالة كينية مسيحية زوجها مسلم.

أو تطبيقات «قانون الوطني» *Patriot Act US* الذي صمم لتطبيقه

(١) كتاب "Beyond Peace" للرئيس الأمريكي الأسبق R. Nixon ص ١٥٤

على المسلمين في أمريكا، لأنه لم يظهر أي دليل أو حتى خبر أنه طُبق على غير المسلمين.

وقد شهد على ذلك الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر بقوله: «بعد هجمات ١١ سبتمبر بالغت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية برد الفعل، بقيامها باحتجاز أكثر من ١٢٠٠ شخص برئ لم يسبق لأحد منهم مطلقاً أن أدين بأي جريمة لها علاقة بالإرهاب، واستبقيت هوياتهم سرية، ولم يعطوا أبداً الحق في سماع التهم الموجهة إليهم، أو تلقيهم المشورة القانونية، كلهم تقريباً كانوا مسلمين».^(١)

وفي مجال التمييز الديني نلتفت بالمُحاور الذي يتهم المملكة - في مجال انتهاك الحرية والتمييز الديني بالتعذيب والمعاملة الوحشية - دون تقديم أدله بل دون تقديم مجرد معلومات، إلى حقيقة واقعة لا يستطيع المحاور إنكارها وهي اختطاف أمريكا الناس مباشرة أو بالتعاون مع حكومات أخرى أمريكية أو أوروبية وشحنهم بالطائرات إلى «المواقع السوداء Black Sites»، وهي ما تعرف أمريكا أنها أسوأ مراكز التعذيب في التاريخ، في بلاد مثل أوزباكستان أو أوروبا الشرقية أو بعض بلدان الشرق الأوسط كسوريا التي تصنفها الدعاية الأمريكية بأنها محور الشر في حين تتعاون معها الحكومة الأمريكية في أكثر المجالات حساسية: المباحث والاستخبارات، وتتعاون الحكومات الأوروبية مع الولايات المتحدة الأمريكية بالدعم اللوجستي أو التعامي عن أفظع انتهاك لحرية الإنسان وكرامته وحقوقه.

(١) أنظر كتاب "Our Endangered Values: Americas Moral Crisis" للرئيس الامريكي

من المتوقع تحت ظروف التعذيب في هذه المراكز أن لا يقاوم الإنسان أو أن يبقى على قيد الحياة، وهذا قد يفسر ندرة من نجا من العدد الذي لا يعلمهم إلا الله، الذين شحنوا ولا يزالون يشحنون بالطائرات لمراكز التعذيب هذه من مثل مسلمين؛ جزائري وألماني، أسعدهما الحظ فنجيا من التعذيب - الذي مات تحته قبلهما آخرون - في سجن باجرام سييء السمعة، أو المواطن الكندي المسلم الذي اختطفته أمريكا وأرسلته إلى سوريا لاستجوابه تحت التعذيب، والذي أطلق سراحه من سجون سوريا بعد أن أكدت سوريا أن لا شيء لديه ينتزع بالاعتراف بالتعذيب مما يهم أمريكا.

هذا لا يوضح فقط التمييز ضد المسلمين، بسبب دينهم، ونقول ضد المسلمين لأنه لم يظهر أي دليل، أو حتى خبر، أن هذه السياسة طبقت على غير مسلم- بل إن هذا التمييز يتم في أشنع عمل وحشي يتصوره الإنسان وأبعده عن السلوك الحضاري والإنساني والأخلاقي، وأفضعه انتهاكاً لحرية الإنسان وكرامته وحقوقه.

ألا يشعر المحاور في مثل هذا الموقف بخزي الهزيمة ويجبر على التسليم بلا عقلانية اتهاماته للمملكة العربية السعودية بانتهاك حرية الدين والمعتقد؟

يُظهر تقرير اللجنة الأمريكية «U. S. A Commission» عن الحرية الدينية في العالم (التقرير السنوي ٢٠١١) هجومه على المملكة بأنها: «تحظر بصفة عامة كافة أشكال التعبير الديني عدا تفسيرها الخاص للإسلام وفقاً لأحد المذاهب السنية» (PP. 12,142)، «وفيما عدا ذلك تمارس الإكراه الديني على الآخرين» (P. 142) «وتمنع وجود الكنائس ومعابد اليهود ومعابد الأديان الأخرى غير الإسلام» (P. 142).



ويقول التقرير: «إن السعوديين يحتجون بحديث لا يبقى دينان في جزيرة العرب في حين أن هذا الحديث مختلف في تفسيره» (P. 147)، وفي المقابلات التي تتم مع السعوديين دائماً كانت تُرد حجتهم بتشبيه منع المعابد الأخرى في المملكة بمنع المعابد غير الكاثوليكية في الفاتيكان «مع الأخذ بالفرق بين مساحة من الأرض تبلغ ميلين مربعين يسكنها من ٨٠٠ إلى ٩٠٠ من البشر ومساحة المملكة الشاسعة التي يقطنها بين مليونين وثلاثة ملايين من البشر غير المسلمين» (P. 147).

«وكذلك لا تسمح السعودية للقادة الدينيين من الأديان الأخرى غير الإسلام بالدخول إلى المملكة، وقيادة الخدمات الدينية لاتباع تلك الأديان» (P. 147).

«وأن المملكة العربية السعودية لا تعطي جنسيتها لغير المسلمين» (P. 147) وتهاجم المملكة بـ «أنها تصادر الكتب المقدسة، والمنشورات الدينية الأخرى لغير المسلمين، وإن كانت الجمارك تسمح بالمواد الدينية التي تستورد للاستعمال الشخصي» (P. 148).

وفي الوقت نفسه يهاجم التقرير المملكة بـ «أنها تساعد على نشر أيديولوجيتها خارج المملكة وتدعم مالياً المدارس الدينية والمساجد حول العالم» (P. 150).

«وان مكاتب وزارة الشؤون الإسلامية في السفارات السعودية في الخارج مسؤولة عن نشر مواد تتضمن التطرف وعدم التسامح، ومنح الصفة الدبلوماسية للدعاة في هذه السفارات، وإن كان قد تم إغلاق هذه المكاتب مؤقتاً» (PP. 151-150).



زمان أو مكان، وطوال أربعة عشر قرناً كانت هذه الشعوب ذات الأديان أو الثقافات المناقضة للإسلام تتمتع بحرية العبادة وممارسة الطقوس وحماية المعابد، وبحقهم في أن يكون لهم قوانينهم الخاصة وقضاؤهم الخاص واستثنائهم من القانون الجنائي العام، بمعيار أن كل شيء مقبول في دينهم أخلاقياً لا يعتبر فعله جريمة في حقهم، وإن كان يعتبر جريمة في القانون الجنائي العام المطبق على المسلمين، وذلك مثل: شرب الخمر وتصنيعها وتسويقها والتعامل بالربا... إلخ.

بالطبع مثل هذه الحرية لا توجد الآن في أي بلد من بلدان العالم، غير العالم الإسلامي، وكان المسلمون لا يكثرون الضجيج والضوضاء بالتمدح بمنح هذه الحرية وتحقير الآخرين بدعوى أن مثل هذه الحرية لا يوجد لديهم، ذلك لأن المسلمين كانوا يؤمنون وفقاً لمبادئ دينهم أن هذا السلوك يقتضيه التفكير العقلاني كما يقتضيه العدل والأخلاق.

وفي الوقت نفسه استثنوا مساحة صغيرة سميت في الحديث الشريف «جزيرة العرب» وهو اصطلاح يختلف عن الاصطلاح الجغرافي الذي يستعمله الناس اليوم في الإشارة إلى شبه الجزيرة العربية، ففي هذه المساحة التي حددها الفقهاء في وقت مبكر بمكة المكرمة وتوابعها الإدارية والمدينة المنورة وتوابعها الإدارية واليمنية وتوابعها الإدارية أي تقريباً ما تشمله حدود المملكة العربية السعودية فهذا الجزء اعتبر «مركزاً للإسلام» وطبقت فيه الأحكام المشار إليها.

كانوا يؤمنون وفقاً لمبادئ دينهم أن هذا الاستثناء، الذي يثبت القاعدة، يقتضيه المنطق العقلاني ويقتضيه العدل وقواعد الأخلاق، ولو كان الأمر غير ذلك وأن الدافع لتطبيق هذه الأحكام شيء مما يعتبره الناس



أساساً للتمييز ضد الأديان الأخرى لظهر ذلك في غير «مركز الإسلام» في أي زمان أو في أي مكان، في تاريخ العالم الإسلامي، الأمر واضح لغير الأحق أو المكابر، إذ كيف يسمح بأن يوجد في مركز الإسلام من يصف الإسلام بأنه: دين زائف، وأن القرآن أساطير الأولين، وأن نبي الإسلام كاذب أو غير سويّ نفسياً، أو كيف يسمح لشخص يعتنق هذه الأفكار ويعتق هذه الأحكام ضد الإسلام، بجنسية هذا المركز (مركز الإسلام).

هناك جانب آخر أن كل دولة لها مرجعها الثقافي الأعلى الذي يحكم قوانينها وإجراءاتها وتصرفاتها ويسمي القانون الأساسي للحكم أو «الدستور»، المملكة مرجعها الثقافي الأعلى ليس قانونها الأساسي للحكم بل هو «مرجع أعلى» يحكم قانونها الأساسي ويحكم قوانينها الأخرى، وهو الإسلام الذي يختلف عن غيره من الأديان بأنه منهج شامل للحياة الممثل في الكتاب الكريم والسنة الصحيحة.

ولا يتصور أن دولة في العالم تسمح بوجود دائم فيها لأشخاص أو مراكز ثقافية أو منشآت تحقر قانون تلك الدولة الأساسي للحكم «الدستور» وتعلن في ممارساتها زيف الدستور وقيمه وتشوهها، فهل من المنطق أو العدل أن تسمح المملكة في جانبها للغير بمثل ذلك.

ج- باقي الهجومات على المملكة، التي ذكرها التقرير، فأمرها غريب لأن قوتها وتأثيرها جاء من تخاذل الهجوم المضاد وهوانه على نفسه، وعدم إدراكه الحقائق على أرض الواقع، وإليك التفصيل:

يهاجم الأمريكيون المملكة بأن الخطباء يذمون اليهود والنصارى ويدعون عليهم، وقال السفير الأمريكي في الرياض: «إن سبعة من

هؤلاء الخطباء بقوا بعد أن أوقف الآخرون، أو أعيد تأهيلهم» (التقرير السنوي ٢٠١١)، ولكن ما أثر ذلك إذا علمنا أن هؤلاء الخطباء في حارات لا يسمعونهم إلا عدد محدود، ومع ذلك لا يفهم السامعون من كلام الخطيب أن المقصود كل النصارى وكل اليهود، ولذا يصفونهم بالصليبيين والصهاينة، فهم يعرفون أن الخطيب لا يقصد النصارى واليهود العرب، ولا النصارى في أي بلد من بلاد العالم إذا ما كانوا مسالمين للمسلمين.

يقارن هذا بمرشح في سباق الوصول إلى الرئاسة الأمريكية (هيلاري كلينتون)، حين تورد خلال حملتها الإنتخابية، قصة سخيفة نشرتها صحيفة سعودية، مع أن الجهة المعنية بالمملكة أوضحت عدم صدق هذه القصة، فهذا المرشح جعلت من هذه القصة قضية عالمية ومادة انتخابية، وشوهت المملكة وأعلى رموزها «القضاء» مع علمها بعدم دقة كلام الصحفي، والعالم كله كان حينذاك يتابع السباق الرئاسي فحتمًا شوهت سمعة المملكة دون حق، وعلى مسمع من العالم كله، بما لم يسبق له مثيل. وبالإضافة إلى ذلك، نذكرهم بأن استطلاعًا أمريكيًا أجري عام ١٩٨٠ في أمريكا أظهر أن حوالي نصف الشعب الأمريكي يرون المسلم: «متعطش للدم، ومخادع، ومضطهد للمرأة، وعدو للسامية وللمسيحية»^(١).

وفي كتابه اقتناص الفرصة (أو كما يترجم أحيانا الفرصة السانحة) *Seize the Moment* أوضح نيكسون - الرئيس الأمريكي السابق أن: «معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة إلى المسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلايين، لا يسترعون انتباهنا إلا لأن

(١) كما ذكرت الدكتورته كاثرين بولوك Katherine Bullock في كتابها *Rethinking Muslim*



الحظ حالف بعض قاداتهم وأصبحوا حكاما على مناطق تحتوي على ثلثي الاحتياطي العالمي المعروف من النفط»^(١)

هذه الصورة النمطية لم تأت من فراغ وإنما بسبب الإلحاح الإعلامي على تكريس هذه الصورة سواء ظهر ذلك في خبر في نشرات الأخبار أو في أفلام هوليوود أو في كتب لكتاب مشهورين أو مقالات لصحفيين كبار أو سياسيين أمريكيين أو في كتب مدرسية أمريكية.

وأما فيما يخص الاتهام المتعلق بالكتب المدرسية السعودية فإن مثل هذه المعلومات التي تضمنتها إنما تشير إلى الأحكام التي نص عليها القرآن والسنة الصحيحة التي يؤمن بها كل المسلمين، في داخل المملكة وفي خارجها، ولورجعنا في المقابل للكتب المدرسية في الولايات المتحدة الأمريكية ورأينا كيف ترسم الصورة النمطية عن الإسلام والسعودية^(٢) لظهر لنا التناقض في الاتهام بصورة واضحة.

وأما عن الاتهام بنشر الثقافة السعودية فالملاحظ أن أحدا غير أمريكا لم يوجه هذا الاتهام للمملكة، إن نشر هذه الثقافة في الواقع لم يؤذ أحدا من العالم ولم يكن له أثر سلبي كما يزعم التقرير.

(١) كما نص على ذلك الرئيس الأمريكي Richard Nixon في كتابه: Seize the Moment: Americas Challenge in a One-Superpower World ص ١٩٤

(٢) أنظر التفاصيل في American School Textbooks – How They Portrayed the Middle East from 1898 to 1994 American Educational History Journal. Volume 35, Number 1 and 2, 2008, edited by J. Wesley Null

وأنظر Interpreting Islam in American Schools The ANNALS of the American Academy of Political and Social Science July 2003 588: 52 –72

وأخيرا فيعترف التقرير^(١) الصادر في مايو ٢٠١٠، في إشارته للبيان الختامي للحوار بين الأديان المنعقد في يونيو ٢٠٠٨ بمدينة مدريد، بالآتي: «وعلى رغم تقدم السعودية بمقترح قرار ينص على إدانة أي (سخرية من الرموز الدينية) إلا أن العديد من الدول الأوروبية رفضت النص، مستندة إلى عدم التعدي على حرية التعبير»

«ولقد خلى البيان الختامي من أي إشارة إلى التشهير بالأديان أو الرموز الدينية»

هذه الواقعة لوحدها كافية لنسف كل اتهام بما يتصل بتشويه المملكة للثقافات الأخرى.

بعد أن صار اتهام المملكة بدعم الإرهاب رخيصا، وأستفد إمكاناته أو كاد، تحولت لغة الاتهام من اصطلاح «الإرهاب» إلى اصطلاح «الأصولية»، وصار التركيز على وصم الثقافة السعودية السائدة بأنها «أصولية»، وأنها «خطرة على العالم» وأن المملكة تشط لنشر هذه الثقافة الأصولية في العالم، والمطالبة بتحجيم نشاط المملكة في هذا السبيل.

ومرة أخرى وكما حدث في اتهام المملكة بالإرهاب فقد صدق عدد من المثقفين السعوديين وبعض الخاصة مع الأسف الخصم في وصف الثقافة السعودية بالأصولية، وأنه محق في مطالبته المملكة في تحجيم نشاطها في نشر ثقافتها الأصولية.

وفي مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ننطلق في حوارنا مع الخصم باستحضار الحقائق على أرض الواقع، ومنها:



١. أن اصطلاح الأصولية ترجمةٌ عربيةٌ للفظ - Fundamenta ism الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية كوصف لمذهب مسيحي برز في آخر القرن التاسع عشر، ويعتمد التفسير الحرفي لنصوص وردت في أحد نسخ الكتاب المقدس Bible، وفي النصف الأخير من القرن الماضي (العشرين) انتشر هذا المذهب بصورة قيل عنها أنه المذهب المسيحي الأسرع انتشاراً^(١).

ويعتقد معتنقو هذا المذهب أن عودة المسيح سوف تتم بعد تحقق شروط ظرفية:

I - قيام دولة إسرائيل

II - إعادة بناء الهيكل في القدس للمرة الثالثة

III - وقوع معركة أرمجيدون Armageddon، وهي الحرب التي تقع على مسافة ٢٠٠ ميل من حدود القدس، ويقتل فيها ١٠٠ مليون من الكفار (المسلمين).^(٢)

وقد أظهر المسح الوطني للدين والسياسة الذي أجراه معهد Bliss Institute بجامعة أكرون University of Akron عام ١٩٩٦ أن ٢١٪ من البالغين المسيحيين يؤمنون بأن نهاية العالم ستكون في حرب أرمجيدون، بين المسيح وأعداء المسيح^(٣) كما أظهر نفس المعهد في مسحه الرابع عام ٢٠٠٤ أن هذه النسبة ارتفعت

(١) انظر كتاب Grace Halsell المعنون Forcing Gods Hand: Why Millions Pray for a Quick Rapture And Destruction of Planet Earth ص ٩

(٢) نفس المرجع السابق ص ٢١

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٩

لتصل إلى ٧٧٪^(١).

وانتقل تأثير معتقدات هذه الطائفة إلى سياسات الإدارة الأمريكية بصورة «تدعو للقلق» بحسب تعبير الرئيس الأمريكي كارتر، والذي ذكر بأن تحقيق هذه المعتقدات يعتبر مسؤولية شخصية - لدى المؤمنين بها - لا بد لهم من الوفاء بها، وأضاف بأن من أبرز أجندة المؤمنين بهذه المعتقدات الدعوة للحرب في الشرق الأوسط «ضد الإسلام»، والدعوة ليأخذ اليهود جميع الأرض المقدسة ويطردوا غيرهم.^(٢)

بل وكان الرئيس الأمريكي ريجان نفسه «يتشوف» أن تقع هذه الحرب في مدة رئاسته^(٣).

أما الرئيس الديموقراطي الليبرالي كلينتون فقد ورد في خطابه أمام الكنيست الإسرائيلي بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٩٤ ما نصه:

«We visited the holy sites. I relived the history of the Bible, of your scriptures and mine, and I formed a bond with my pastor. Later when he became desperately ill he said he thought I might one day become president and he said, more bluntly

(١) أنظر ملخصاً لهذا الاستطلاع في صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية على الرابط: <http://query.nytimes.com/gst/fullpage.html?res=9C05EFD8163FF935A25757C0A9609C8B63&pagewanted=all>

(٢) أنظر كتاب "Our Endangered Values: America's Moral Crisis" للرئيس الأمريكي الأسبق Jimmy Carter ص ١١٢ - ١١٤

(٣) انظر كتاب Grace Halsell المعنون Forcing God's Hand: Why Millions Pray for a Quick Rapture And Destruction of Planet Earth ص ١٧



than the Prime Minister did. if you abandon Israel, God will never forgive you. He said that it is God's will that Israel, the biblical home of the people of Israel, continue for ever and ever»⁽¹⁾

«قمنا بزيارة الأماكن المقدسة، وعشت هناك تاريخ الكتاب المقدس Bible، الكتاب المقدس الخاص بي وبكم، وأعطيت مرشدي^(٢) (القسيس) موثقا، وعندما نال من مرشدي المرض في وقت لاحق، قال إنه يعتقد أنه ربما أصبح يوم (ما) رئيسا، ثم وجهني بصرامة، أشد مما فعل رئيس الوزراء، حيث قال: (إذا تخليت عن إسرائيل، فلن يغفر الله لك)، لقد كانت إرادة الله أن تبقى إسرائيل - موطننا لشعب إسرائيل بحسب الكتاب المقدس - إلى الأبد»

وفي خطابه أمام الكنيست في ١٥ مايو ٢٠٠٨ قال الرئيس الأمريكي المحافظ بوش الصغير:

«We gather to mark a momentous occasion. Sixty years ago in Tel Aviv, David Ben-Gurion proclaimed Israel's independence, founded on the) natural right of the Jewish people to be masters of their own fate. (What followed was more than the establishment of a new country. It was the redemp-

http://www.knesset.gov.il/description/eng/doc/speech_clinton_1994_eng.htm (١)

(٢) كاهنه اللوثري الذي رعى تربيته الروحية

tion of an ancient promise given to Abraham and Moses and David -- a homeland for the chosen people EretzYisrael»⁽¹⁾

«إننا اجتمعنا لإحياء مناسبة بالغة الأهمية. كان دافيد بن غوريون قد أعلن قبل ستين عاماً في تل أبيب استقلال دولة إسرائيل القائم على أساس (الحق الطبيعي للشعب اليهودي لتقرير مصيره). وما تلا هذه الخطوة كان أكثر من مجرد إقامة دولة جديدة: إنه كان استيفاء وعد قديم مُنح لأبراهام وموشيه ودافيد بمعنى وطن قومي للشعب المختار على أرض إسرائيل»⁽²⁾

٢. ولا يوجد في الإسلام مصطلحا يقابل اصطلاح «الأصولية»، ولكن ربما كان أقرب لفظ عربي لمصطلح الأصولية هو اصطلاح «الغلو»، والثقافة السائدة في السعودية كما هو معروف تعتمد النسخة الأصلية للإسلام التي حفظها الله وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الثابتة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي ثقافة ترفض الغلو، وكل من له أدنى معرفة بالإسلام يعرف أن أصدق وصف للإسلام، طبقاً لنسخته الأصلية، أنه دين الوسطية والاعتدال، وفي القرآن وجد ذم الغلو وتجاوز الحد (التطرف) في أكثر من سبعين موضعاً.

ومن الناحية العملية فكل أحد يعرف أنه في دروس المشايخ في الحرمين أو في الأطروحات العلمية التي تكتب في الجامعات

(١) http://www.knesset.gov.il/description/eng/doc/speech_bush_2008_eng.htm

(٢) النص العربي هنا هو عين ترجمة قسم الإعلام بمكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية للكلمة. doc.bushspeecjAR1٥٠٥٠٨ على الشبكة العنكبوتية



السعودية يعامل أئمة الإسلام (كالأئمة الأربعة والإمام الأوزاعي والإمام الثوري والإمام جعفر الصادق) معاملة الاحترام والرجوع إلى أقوالهم الثابتة والاستئناس بها والاهتداء بهديهم، وبعد أن كان المسلمون يتفرقون في الحرمين الشريفين على أربعة أئمة أو خمسة عندما تقام الصلاة، وُحِدَت الإمامة، وصار الإمام يمكن أن يكون مالكيا أو حنبليا أو حنفيا أو شافعيا دون أن يثير ذلك أي إشكال^(١).

وفي مواجهتنا للخصم نستحضر هذه الحقائق وأمثالها ونبدأ بمطالبتة أن يذكر أي جزء من الثقافة السعودية السائدة يشكل خطورة على العالم؟ أو أن يذكر حالة واحدة جرى فيها الفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل تأسيسا على الثقافة السعودية، كما يحدث في الحاضر أو في الماضي من الثقافة الغربية، فلا يستطيع أن يذكر حالة واحدة، لأن حالة واحدة لا توجد.

وفي الحقيقة أن الذين يصفون - من الغرب - الثقافة السعودية بالأصولية، كما تدل تجربتنا في الحوار مع الآخر، ليس لديهم معنىً محددٌ متفق عليه لهذا الوصف، وإنما الغالب أن المقصود بالوصف بـ «الأصولية» هو الاعتقاد السائد في ثقافة المملكة بوجود الالتزام بالعقائد والتعليمات التي جاءت بها النسخة الأصلية للإسلام، القرآن والسنة الصحيحة، وكما يُعبر بعضهم: كيف نطبق في القرن الواحد والعشرين تعليمات جاءت قبل أربعة عشر قرنا؟ ونرد بأن قَدَم الأفكار لا يكون مبررا لرفضها، وإنما ترفض الأفكار أو تقبل بناء على «موافقتها للعقل» و«لمصلحة

(١) لتفصيل أكثر فضلا ارجع لكتابتنا "الحرية الدينية في المملكة العربية السعودية"



الإنسان» وفي هذا المعنى نعتقد أن تعاليم النسخة الأصلية للإسلام هي أرقى وأكثر تقدما ورقيا من الناحية الإنسانية في التاريخ الحاضر والماضي أو كما يعبر محمد أسد^(١): «ولا تظهر إشارة إلى أن البشرية في حالتها الحاضرة قد تجاوزت الإسلام، فلم تتمكن من إنتاج نظام أخلاقي خير مما تضمنه الإسلام، ولم تتمكن من وضع فكرة الأخوة البشرية على أساس عملي كما فعل الإسلام في معنى الأمة. . . ولم تتمكن من إعلاء كرامة الإنسان وشعوره بالأمن ورجائه الأخروي- وأخيرا وليس آخرا- سعادته».

«في كل هذه الأشياء فإن الإنجازات الحديثة للبشرية أقصر بوضوح عما حققه الإسلام فأين المسوغ، إذا، لمقولة: إن الإسلام قد انتهى زمنه؟»

«لدينا كل الأسباب لنعتقد أن الإسلام قد دلت عليه كل إنجازات البشرية الصحيحة، لأنه قررها وأشار إلى صحتها قبل تحقيقها بزمن طويل، ومساويا لذلك فقد دلت عليه أيضا النواقص والأخطاء والعقبات التي صاحبت التطور البشري، لأنه حذر منها بقوة ووضوح قبل أن يتبين البشر هذه الأخطاء بزمن طويل».

«ولو صرفنا النظر عن الاعتقاد الديني للفرد فإن في وجهة النظر الفكرية حافزا لإتباع هداية الإسلام العملية بكل ثقة» انتهى.

ولقد كتب ريتشارد نيكسون، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية، في آخر مؤلفاته المعنون Beyond Peace ما يأتي:

(١) راجع تعبير محمد أسد باللغة الانجليزية في كتابه Islam At The Crossroads ص ٩٩-



«أصولية الإسلام عقيدة قوية. . . إنها تستجيب لحاجات الروح وليس لحاجات الجسد (فقط) والقيم العلمانية في الغرب لا تستطيع أن تغالبها، وكذلك لا تستطيع ذلك العلمانية في العالم الإسلامي»^(١).

وفي بعض الأحيان يورد بعض المحاورين: أن الثقافة السعودية «أصولية» لأنها تدم اللوطين والسحاقيات الذين يجمعونهم باسم «المثليين» وقد ورد هذا الاتهام صراحة في تقرير الحرية الدينية في العالم.

فنجيب بأن هذا ليس خاصا بالثقافة السعودية إنما هو عقيدة المسلمين جميعا على اختلاف ثقافتهم المحلية، وولفت نظرهم إلى أن ذم اللوطين وأمثالهم من الشواذ جنسيا وردت به نصوص القرآن كما ورد في كتابهم المقدس، فبأي حق يطالبون المسلمين والنصارى واليهود بحذف هذه النصوص من كتبهم المقدسة لديهم.

ونواجه الخصم بالتناقض في مسألة تحصين اللوطين والسحاقيات وأفعالهم من الذم، في حين لا يعطون هذه الحصانة للبغايا والبلغاء الذين يصفونه بأنه أقدم مهنة في التاريخ، وقد شرعن الغرب البغاء في بلاده أو في البلاد التي بليت باستعمارهم قبل شرعنته الشذوذ الجنسي، فلماذا يكون اللوطين والسحاقيات أحق بالحصانة من الذم من البغايا.

(١) كتاب "Beyond Peace" للرئيس الأمريكي الأسبق R. Nixon ص ١٥١

وأى انسجام وعدم تناقض في قبول تعدد الزوجات في زواج اللوطيين والسحاقيات وفي الوقت نفسه تجريمه فيما يسمونه بالزواج التقليدي.

ويضطر الخصم في نهاية المطاف أن يسلم بما ننهي به حوارنا معه من قولنا: إذا افترضنا أن الثقافة السعودية السائدة «أصولية» فهي «أصولية درداء» أي بدون أسنان، فلا تقارن بأصولية أسنانها «الرؤوس النووية» و«صواريخ توما هوك».

لا يمكن أن يغيب عن ذهن إنسان واع أن أعظم المصائب التي منيت بها البشرية في القرون الأخيرة، وما يهددها بالفناء في مستقبلها، نشأ عن المبدأ الهمجي؛ مبدأ الثقافة الغربية في العلاقات الدولية: «المصلحة القومية والقوة»، يقارن هذا بمبدأ الإسلام في العلاقات الدولية وهو «العدل، والقوة الإلزامية للمعاهدات والعقود»^(١) وهذا المبدأ هو المبدأ الذي بنيت عليه الثقافة السعودية السائدة^(٢).

وأخيرا وبعد هذا كله فهل بقي عذر لإخواننا الطيبين في تصديقهم الآخر في وصمه الثقافة السعودية بالأصولية، ورؤيتهم له على أن محق في مطالبة المملكة بتحجيم نشاطها ونشاط مواطنيها الدعوي في الخارج.

(١) لمزيد من التفصيل والايضاح أقرأ الكتيب المعنون "العلاقات الدولية بين منهج الإسلام ومنهج الحضارة المعاصرة"، لكاتب هذه المقالة

(٢) في الحقيقة فإن المملكة من حين وجدت كدولة (عام ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م) لا أعرف أنها انحرفت عن هذا المبدأ في الحرب والسلم

٣. لا أعلم أن وفداً أو شخصاً من أوروبا وأمريكا زار المركز وأجرى الحوار معه دون أن يثير قضية «منع المرأة السعودية في المدن من قيادة السيارة»، وكأنما هي مشكلة العالم الكبرى، وفي مثل هذه الأحوال نبدأ بإيراد بعض الحقائق، ومنها على وجه الاختصار:

١- أن المجتمع السعودي طوال العقود الأربعة السابقة، لم يرفض قبول قيادة المرأة للسيارة خارج المدن، بل إن المرأة التي كانت تشترط عدداً من الجمال كمهر لها أصبحت تطلب سيارة «بك أب» كمهر أو جزء من المهر لها.

٢- ولكن المجتمع في المملكة في أغلبيته لم يتقبل سيطرة المرأة للسيارة في المدن لمبررات عقلانية وعملية، قد تختلف وجهات النظر فيها، ولكن قطعاً ليس من بين الدوافع والمبررات - كما يظهر للعقلاء - «التمييز ضد المرأة» أو «النظرة الدونية لها».

ونقارن هذا بحالة تشيع في الغرب، ربما كانت تمثل أكثر صور الظلم للمرأة التي حدثت في مجتمع ما، ونعني بذلك الحالة الواقعية التي تظهر من دلالة الإحصاءات^(١) بأنه في أمريكا وأوروبا تصل نسبة حالات العائل الوحيد Single-Parent، وأغلبها من النساء، إلى نسب مروعة وبوتيرة نمو مطردة تصل أحياناً إلى الضعف في مدة محدودة^(٢).

(١) كما أشارت صحيفة The Observer البريطانية "The stereotypical family image ... is fast becoming a myth. Today's census is expected to confirm that a greater proportion of the UK's households now comprise single parents" <http://www.guardian.co.uk/uk/2011/mar/27/census-family-housing-ageing-population> وأنظر على سبيل المثال: إحصاءات مكتب الإحصاءات الأمريكي - وزارة التجارة الأمريكية http://www.census.gov/compendia/statab/cats/international_statistics.html

(٢) نفس المصدر السابق

وتعني هذه الحالة أن النساء في المجتمع الأوربي والأمريكي يُكَلَّفْنَ لا بإعالة أنفسهن فحسب بل بإعالة عدد من أفراد الشعب يزيد عن عددهن، في حين أن دخول النساء المالية في العادة أقل من دخول الرجال، وفرصهن في نمو الدخل من الناحية العملية أقل من الرجال، ففي هذه الحالة لا يكتفى بأن تُحْمَلِ المرأة أعباء فوق الأعباء التي تتحمّلها بحكم طبيعة المرأة، كما يحدث عند اضطرار المرأة للعمل في المجتمعات الأخرى، بل تُحْمَلِ أعباء إضافية على النحو الذي ذكرنا، وتُتسي جزرة «الحرية والمساواة» التي تُظهر أمام عيني المرأة في الغرب سياط الظلم التي تلهب ظهرها في مثل قضية «العائل الوحيد».

وفي فضح تناقض الأوربيين والأمريكيين في اتهامهم للمملكة فيما يتعلق بقضية الحرية، نذكرهم بالمعيار المزدوج الذي يستعملونه عند تعاملهم مع هذه القضية، حيث يتندر المجتمع السعودي بقصة السيدة السعودية التي قيل لها: إن الرئيس الأمريكي (بوش) يريد أن يعطيك الحرية في المشاركة في القرار السياسي، فقالت: أوه. . أوه. . يكفيني أن يمنحني بوش الحرية عندما أعرف أن أختا لي ذات صبية في أفريقيا توشك أن تموت وأطفالها من الجوع، أن أنقذها، ويكفّ عن سلب حريتي في إيصال مساعدتي لها.

السيدة السعودية كما هو واضح تشير إلى جهود أمريكا بخاصة في تحجيم النشاط الخيري السعودي خارج المملكة، وإلى حجب حرية الفرد في ممارسة حقه المشروع في البذل التطوعي الإنساني.

في مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني نرانا، ولله الحمد والمنة،

في موقف القوي لا الضعيف، قوي الحجة لا ضعيفها، وإن كنا مع الأسف في بعض الأحيان نضطر إلى أن نمتنع عن استعمال أقوى حججنا في بيان تناقض الجهات الأمريكية في اتهاماتها للمملكة العربية السعودية بانتهاك الحرية الشخصية، لا بسبب من الخصم ولكن لأننا كما قال القائل: «في فمي ماء، وهل ينطق من في فيه ماء».

إن الأمر سهل والهجوم المضاد أيسر، وإنما نحتاج إلى إدراك الحقائق على أرض الواقع وإلى قليل من الشجاعة وكثير من الحكمة.

وأخيراً، ننبه أننا على خلاف ما توهمه أحد مراجعي هذا المقال حيث وصف بعض عباراته بأنها صادرة من موقف غاضب، ودفاعي، و تغلفة العاطفة.

ونقول لقد قصد اختيار العبارات الواردة في هذا المقال لأنها أدق في التعبير عن المعنى المقصود، ولاختلاف المعنى بالخطاب هنا، وبالطبع فإننا لا نستعمل هذه العبارات - المنتقدة - في حوارنا المباشر مع الآخر، بل نستعمل في التعبير هناك اللغة المناسبة من الأدب العالي للحوار، ونستخدم العبارات الأكثر لياقة ولباقة (لعله يتذكر أو يخشى)، ولا ننحرف عن هذه اللغة الأخلاقية حتى لو استثارنا الآخر بجهله أو طيشه وتعاليه، مستهدين بهدي الله ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾.

وأما المعبّر عنه من الحقائق فإنها لا تتغير ولا تتبدل باختلاف المخاطب، وتبقى ملتزماً بها نفسها.

صالح بن عبد الرحمن الحصين

رمضان ١٤٢٣هـ



استقبال الملك عبدالله للشيخ صالح الحصين.



توقيع مذكرة تفاهم بين المركز وكلية دار الحكمة



ندوة الإعلام والحوار الوطني



ندوة تحرير مفهوم الوطنية السعودية



محاضرة الشيخ صالح

السِّبْهُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْبَهْرَةُ الْأَيْدِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْبَهْرَةُ الْأَيْدِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْبَهْرَةُ الْأَيْدِيَّةُ



معالي الشيخ مع الوفد الكازخستاني



معالي الشيخ مع الوفد القرغيزي



معالي الشيخ مع الوفد الماليزي



معالي الشيخ مع الوفد اليمني



خلال ندوة الإعلام والحوار الوطني



خلال ندوة تحرير مفهوم الوطنية السعودية



اللقاء الوطني الأول



اللقاء الوطني الثاني حمل عنوان: «الغلو والاعتدال: رؤية منهجية شاملة»



اللقاء الوطني الثالث بعنوان: المرأة وحقوقها وواجباتها وعلاقتها بالتعليم بذلك.



اللقاء الوطني الرابع بعنوان قضايا الشباب.



في اللقاء الوطني الخامس للحوار الفكري: «نحن والآخر»



في اللقاء الوطني السادس



في اللقاء الوطني السابع